١١٤٧
داژم. النحاس

١٩١٢
HARLEQUIN

عبير

الاستسلام

شارلوت لامب

www.elromancia.com
مرمورية

الاستسلام

شارلوت لامب

كان يتسلط على نيكولاس كاسبيان، الذي يدير امبراطورية اوروبية كاملة للصحافة، كان يتسلط عليه هاجس واحد، هو الحصول على ولاء جينا تيربل، الشيء الوحيد، الذي كان يبدو بعيدا عن متناوله.

لقد كانا دوما صاحبين جريدة سنتمال اللندنية ومع ذلك فقد حرب عليه ... فقد كانت مصممة على إعادة صحيفة مجدها السابق مهما كلفها الثمن.

ولكن جينا كانت بـ نيكولاس حتى في تقديرها لمبـ في كل معركة بينهما كانت هي البادئة. فهو كان يستعمل أي سلاح ليحملها على الاستسلام، بما في ذلك العبث بمشاعرها، لكي يحـ بها وولائها، ولكن ماهو موقف جينا من كل ذلك؟

سوريا: ٧٥ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - لبنان: ... - مصر: ... السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار ... عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

عالم باربري وارف

مؤسسة هارلكان وشارلوت لامب مؤلفة أكثر الكتب مبيعاً يرحبان بكم في عالم باربري وارف.

في هذه الرواية الخلابة، ستتعرف إلى عالم الصحافة المثير والمتألق، سترقب العمل الداخلي في غرفة صياغة الأخبار، وتشارك في معرفة الأسرار التي تناقش خلف الأبواب المغلقة وتسافر إلى أكثر المدن إثارة في العالم.

في الكتاب الأول، تتعرف إلى نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل واللذين قصة حبهما تتكشف خلال هذه السلسة، كما انك سترى وقوع هيزل وبييت فان ليدن في الغرام. في معركة التملك يستمر الحب والرغبة، ولكن المعركة الحقيقية لا تبدأ.

لا تدع هذه المغامرات الشاعرية تفوتك... والتي هي أكثر الروايات الشاعرية شعبية في العالم.

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي إحدى أكثر كتّاب مؤسسة هارلكان شعبية كما أن رواياتها هي أكثر الكتب رواجاً، إن مهنتها غير العادية، وقد صدر لها حتى الآن أكثر من مئة رواية، قد ساهمت في نشر الشاعرية في انحاء العالم.

ولدت في شرق لندن حيث أمضت طفولتها متنقلة بين بيوت اقاربها هرباً من الغارات الجوية اثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد أن عملت سكرتيرة في الإذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً يعمل في جريدة التايمس، وهي تقول انها ابتدأت الكتابة بناء على اقتراح منه. «لأنه عمل يمكنني أن اقوم به دون الإضطرار إلى ترك أولادنا الخمسة.» وهي تعيش الآن مع أسرتها في إحدى الجزر البريطانية جزيرة الانسان وهو مكان رائع لمن يكتب القصص الشاعرية مثلها.

عبير ١١١٢

Abir 1112

الاستسلام

شارلوت لامب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كان شهر كانون الثاني يناير مدلهماً أغبر، كما أخذت جينا تفكر وهي تنظر من نافذة غرفة الاجتماعات، تنظر إلى الرياح الشمالية تلفح مياه النهر. كان كانون الثاني، هذا العام أسوأ من العادة. كان شهراً جاثماً حول المدينة كالذئب بيقظته ومخالبه.

ومن خلفها، كانت تسمع صوت هيزل فان ليدن وهي تتحدث برقة إلى صوفي، الفتاة التي جاءت بديلاً عنها للعمل رئيسة قسم سكرتيرية كاسبيان. وكانت هيزل تقول: «يجب أن يكون لديه إبريق ماء مثلج وكوب بجانبه. ومجموعة أقلام من كل نوع، ودفتر ملاحظات هنا...»

تنهدت جينا وقد كرهت فكرة رحيل هيزل خلال أيام. فقد اشتغلتا معاً مدة طويلة وستفتقدها حتماً. ولم تكن هذه بداية سعيدة للسنة الجديدة.

لكن كل شيء كان يبدو كئيباً مقبضاً. فلا أوراق على الشجر، لا أزهار ولا لون في أي مكان، ولا شمس... كل شيء كان يبعث على الإكتئاب... هذا الإكتئاب الذي أخذت تشعر به منذ العيد. ربما بتأثير الجو، فهي لم تستطع أن تتذكر شتاء مر عليها أكثر برودة من شتاء هذه السنة.

لقد أخذ الثلج يتساقط منذ أسابيع فتجمدت البحيرات وادلهمت السماء، وتساقطت العصافير ميتة من الأشجار العارية، وكان المارة يسرعون منحني الرؤوس في

الشوارع التي كانت تكنسها الرياح... وفي مجمع باربري وارف وبالرغم من التدفئة المركزية كانت جينا تجد نفسها على الدوام باردة الأطراف سهلة الغضب والاستثارة.

كانت هيزل قد لاحظت مزاجها غير العادي هذا، وحيث انها صديقة قديمة لها فقد جرؤت على أن تسألها: «جينا، لقد أصبح طبعك غريباً في المدة الاخيرة. ما الذي حدث لك؟»

فقالت جينا: «لقد تعبت من هذا الجو الشتوي.»

منحتها ابتسامة جانبية جافة: «حسناً ألسنا جميعاً نعاني نفس الشيء، إن عليّ أن أحاذر في كل خطوة أخطوها. فالأرصفة شراك للموت، والناس من التهافت على الهرب من ذلك البرد بحيث يتدافعون حول المنعطفات دون أن ينظروا أمامهم.»

على الفور نسيت جينا مشاكلها، فنظرت إلى صديقتها بعينين يملأهما القلق: «الحق معك. ربما عليك أن تكفي عن العمل حالاً، فإذا حدث لك شيء فلن أصفح عن نفسي على الإطلاق.»

«لم يبق أمامي سوى أسبوعين أو نحو ذلك... وأنا حذرة جداً، فلا تقلقي.» وكانت هيزل تطمئنها بهذا الكلام، ذلك إنها في هذا الشهر قد برز حملها كثيراً، ما أثقل على قوامها الرشيق. فكانت تتحرك ببطء وتثاقل، وهي تضع يدها، غالباً، على ظهرها ما يشير إلى أنها في آخر فترة الحمل. وأحياناً كانت جينا تنظر إليها فلا تكاد تعرفها. لقد تغيرت هيزل تماماً، ليس بجسدها فقط، ولكن بعقلها أيضاً. فهي تعمل بجانب جينا مباشرة، ولكن عقلها كان في هولندا حيث زوجها بييت فان ليدن قد شرع في انشاء شركته الخاصة.

كان تخليه المفاجيء عن نيكولاس كاسبيان بمثابة

صدمة لهذا الأخير. فقد كان بييت يعمل في مؤسسة كاسبيان الدولية للهندسة يصمم المباني ويجدد القديم منها وذلك منذ استلم نيكولاس شركة والده. وكان نيكولاس يثق في بييت أكثر من أي رجل آخر يعمل معه. فهو يعلم أن بييت لا يمكن أن يفشي سراً أؤتمن عليه، كما كان يأخذ نصيحته بجد، فهما يعرفان بعضهما البعض منذ عهد الدراسة معاً، فقد كانت علاقتهما شخصية أكثر مما هي عملية. وأحست جينا بمبلغ ألم نيكولاس عندما أخبره بييت برغبته في ترك المؤسسة.

منذ ذلك الحين والجو حوله تحت الصفر. وزاد الأمر سوءاً رفضها الذهاب معه إلى سان فرنسيسكو لقضاء فترة العيد معه ومع والدته. لقد رحل عند ذاك بصمت ولم يعد إلا منذ أسبوع، وفي نفس المزاج وذلك بعد غياب طال أكثر مما كان يتوقعه أحد، ويبدو أنه بعد سان فرنسيسكو، ذهب لزيارة عدد من صحفه مبتدئاً بميلانو، ثم برلين حيث كان لديه بعض المشاكل في جهاز التوزيع.

غاب حوالي الثلاثة أسابيع، وكانت هذه أطول مدة أمضاها خارج لندن منذ شرائه للصحيفة طوال السنة الماضية أخذت سنتنال مقداراً كبيراً من اهتمامه، رغم زياراته المتكررة إلى الأقسام الأخرى من امبراطوريته الدولية لمدة قصيرة. اعتاد أن يغادر لندن مساء الأحد، فيمضي عدة أيام في أي بلد يتطلب اهتمامه، أو يستقل الطائرة إلى لكسمبورغ، مركز مؤسسته، ثم يعود إلى لندن في منتصف الأسبوع.

تعال رنين الهاتف في قاعة الاجتماع ما جعل جينا

تجفل. فقالت هيزل لصوفي: «هل لك أن تجيبي الهاتف؟» ثم نظرت إلى جينا عابسة: «هذا أول واحد منهم، فهو لا بد السيد هنري هارينغتون... فهو عادة أول من يصل إلى الاجتماعات.»

وكانت صوفي تتكلم بصوتها الهادىء الحذر: «نعم، أرسلي السيد هارينغتون إلى أعلى، من فضلك.»

فخفضت هيزل من صوتها إلى ما يشبه الهمس: «إنها سكرتيرة مثالية، وهي أفضل مني كثيراً.»

فقالت جينا: «لا تكوني حمقاء، ولا تستجلبي بهذا القول، المديح لنفسك. إن صوفي ستكون فتاة قديرة جداً، وطيبة أيضاً، ولكنني سأبقى افتقدك. وأنت تعلمين جيداً أنك لا يمكن تعويضك بالنسبة إلي.»

فابتسمت هيزل بشيء من الغموض وهي تقول: «أشكرك لرفعك معنوياتي.» ونظرت إلى ساعة يدها: «أظن علينا أن نخبر نيكولاس بأنهم ابتدأوا يتوافدون.»

قالت جينا وهي تسرع نحو باب نيكولاس: «سأخبره بنفسي.» ووجدت نيكولاس خلف مكتبه بالقميص دون سترة رجلاً قوي البنية ذا شعر أسود ووجه قوي الملامح. كان متكئاً إلى الخلف في مقعده الدوار، رافعاً ساقيه على المكتب وهو يتصفح الملفات التي ستناقش في اجتماع مجلس الإدارة.

قالت جينا لاهثة: «لقد وصل هنري.»

فرفع أهدابه السوداء ينظر إليها بعينيه الباردتين كرياح الشمال والرماديتين كسماء يناير. كانت تكره نظرته إليها بهذا الشكل، وكانا قد أمضيا طوال السنة الماضية في حالة

مواجهة وخصام، ولكنها لم تصل إلى مثل هذا العداء. هل ما يزال نيكولاس غاضباً لأنها رفضت الذهاب معه إلى سان فرنسيسكو؟

قال بإيجاز: «قدمي إليه شراباً، إذن واجعليه سعيداً إلى حين حضوري.» كان يقول ذلك آمراً وكأنها مستخدمة جديدة عنده. فقالت وقد امتلأت نفسها استياء: «إن هيزل ستقوم بذلك، ولكنني ظننتك ربما تريد أن تعلم...»

«حسناً، ها إنني أعلم الآن، ولكنني مشغول. عودي إليه وكوني ظريفة معه فأنت تصلحين لذلك.» وعاد ينظر إلى الملف الذي بين يديه، وكأنه بهذا يطردها دون كلام فسحبت نفساً عميقاً وقد اوشكت على الانفجار غاضبة، ولكنها ما لبثت أن تسلحت بالحكمة.

ودون أن تنطق بحرف، استدارت وخرجت صافقة الباب خلفها بعنف بحيث تجاوب صدى ذلك من أنحاء الطابق بأكمله. كان بإمكانها أن تتصور النظرات التي تبادلها كل من كان يعمل في حدود السمع. فقد كانت تعرف اقاويل الموظفين في مجمع باربري وارف لقد كانت الشائعات هي الهواء الذي يتنفسونه، وخصوصاً إذا كان يتعلق بالشخصين اللذين كانا يملكان معظم الأسهم في سنتنال. والآن بعد أن سمعوا صفق الباب ذاك، ستنتشر الشائعات.

عندما عادت إلى غرفة الاجتماع، كادت تصطدم بمحررة بارزة في الصحيفة، كوليت تسي والتي كانت خارجة من المصعد، ابتسمت لها كوليت وإذ رأت الضيق البالغ المرتسم على ملامحها، رفعت حاجبيها تسألها: «مشاكل؟»

«إنه دوماً كذلك.» قالت جينا ذلك دون لباقة فارتسمت

على شفتي كوليت إحدى ابتساماتها الصغيرة الماكرة: «نيكولاس؟ نعم، فقد أصبح مؤخراً لا يطاق، ولكن الرجال يكرهون دوماً تغيير نظامهم، وقد حدث هذا حالياً بالنسبة إلى ترك بييت وهيزل الشركة في نفس الوقت. أتريدين نصيحتي خففي عنه عندما يتغير مزاجه... ولا تناقشيه.»

توهج وجه جينا غضباً. ما الذي تعرفه كوليت عن مزاج نيكولاس؟ إنها تعلم أن نصيحتها لا تؤدي إلى شيء.

لم تزعج نفسها بالجواب، وإنما نظرت إلى ساعتها: «عليّ أن أسرع إلى غرفة الاجتماع وإلا تأخرت.»

واندفعت في طريقها ولكنها لم تستطع التوقف عن التفكير في ما عسى يجول في ذهن كوليت، تلك المرأة الرائعة الجمال ذات الوالد الصيني والأم الانكليزية كانت كوليت في الثلاثينات من عمرها... لم تتزوج، ولكنها ناجحة جداً مهنياً، وإن لم يكن بقدر ما تصبو إليه، فجوائز الصحافة البراقة لم تكن تكفيها إذ كان من الواضح كالشمس أن ما تصبو اليه كان هو بلوغ القمة في مؤسسة كاسبيان.

لم تكن تخفي رغبتها في أنها كانت تريد أن تترك التحرير لكي تدخل عالم السلطة في الصحافة بما يتبع ذلك من راتب ضخم وكثير من علاوات الاسفار والسيارة الفخمة والملابس الثمينة.

لم تتأكد جينا قط مما إذا كانت تحب كوليت أم لا. فقد التقطت جينا من صوت كوليت وهي تتحدث عنه، التقطت نبرة شخصية جداً. ولم يكن هذا مجرد تخيلات منها، فقد كانت واثقة من ذلك. وقطبت حاجبيها وهي تدخل غرفة الاجتماع. لقد كانت كوليت طموحاً، ونيكولاس هو أكبر صيد يمكن أن تحلم به امرأة... فهل تراها معجبة به؟

«آه، ها هي ذي.» تصاعدَ صوت هيزيل بهذه الكلمات بلهجة الارتياح، فتمالكت جينا نفسها، مبتسمة بحرارة وهي تتقدم لمقابلة هارينغتون.

نهض هذا واقفاً، ممسكاً بكلتا يديها يحييها وهو يهتف: «جينا، يا عزيزتي.»

كان رجلاً ضخم الجسم في الستينات من عمره، ذا شعر رصاصي اللون وبشرة ناضرة هذا الى مشاعر ابوية وعدم اهتمام بأي شيء ما عدا لعبة الغولف والتي يزاولها بحماس بالغ. وقد كان السير جورج تيريل صاحب صحيفة سنتنال الاسبق، كان عينه في مجلس الادارة إذ كان من اقرب اصدقائه. وكانت جينا تعرفه منذ زواجها من جايمس تيريل حفيد السير جورج، ولكنها لم تشعر نحوه بالمحبة إلا بعد وفاة زوجها.

لقد حطمتها خسارة زوجها تلك، وكذلك بالنسبة الى جده السير جورج، فجاء هنري هارينغتون إلى منزلهما وأرغمها على الذهاب معه الى نزهة في الارياف، ثم أخذهما الى المسرح. ولو تركهما وشأنهما لغرقا في الكآبة واليأس والتعاسة، ولكن هنري لم يسمح بأن يحدث لهما ذلك.

قال هنري باسماً: «ها أنذا الأول كالعادة.»

«إنك دوماً الأول، يا هنري.»

فقال ضاحكاً: «الأول في القدوم، والأول في الخروج. هذا هو شعاري. أقوم بعملي، ثم أخرج.»

قالت جينا مازحة: «تخرج الى ملعب الغولف.»

«اتمنى لو استطيع ذلك. فأنا لا استطيع اللعب في هذا الجو، فالعشب يغطيه الثلج بارتفاع الكاحل.»

كان هنري رجلاً بالغ الثراء وقد أمضى حياته يدير شركة أسرته لصنع الماكنات وغياراتها. وقد تقاعد الآن تاركاً ادارة الشركة لأكبر ابنائه جوني والذي كان يملك عشرة اضعاف طاقة ابيه مبرهناً على أنه مصدر للطاقة. وهكذا سلمه والده المقاليد بسرور حالما أبدى جوني الرغبة في ذلك، وتقاعد لكي يقوم بالعمل الذي يرغب فيه وهو لعب الغولف طوال النهار، ولكنه كان عضواً في مجلس ادارات عدة ما جعل له دخلاً طيباً، بالاضافة إلى دخله من شركته الخاصة. وكان هنري من نوع المدراء الذي يرغب فيه الكثير من الشركات فهو يحضر الاجتماعات بانتظام، كما أنه ودود لطيف المعشر، يوافق على ما يطلبونه منه، ولا يتدخل في سير العمل. فلا عجب من سرور نيكولاس بوجوده في مجلس الادارة.

وكان هو متشوقاً إلى الحديث عن الغولف وكان ما يزال مسترسلاً في الحديث عنه عندما ابتدأ المدراء الآخرون في التوافد.

كان عدد من الاعضاء قد ترك مجلس الادارة خلال السنة الماضية، فاستبدل نيكولاس بهم رجالاً اختارهم بنفسه. ولكن والحق يقال جرت مناقشة حول هذا الموضوع وصوت بقية الاعضاء لصالح اختيار نيكولاس ولكن لم يعترض عليه أحد أو يفضل أي شخص آخر، ما عدا جينا.

لقد ابدأت المقاومة عدة مرات، ولكن ذلك لم يصبح قط امراً قابلاً للتنفيذ، والسبب الغالب هو أنها استغرقت طوال الوقت لتثبيت قدميها لتصبح واثقة تماماً من قدرتها على تحدي نيكولاس في معركة حقيقية.

كانت مشاحناتهما، حتى هذا الحين، ما زالت تافهة، ولكنها اصبحت بمرور الايام، اكثر ثقة بنفسها، وابتدأ يتكون لديها حس سياسي، وقدرة على تقييم المدراء الآخرين ومحاولة التكهن بما إذا كانوا من النوع المعادي، أو الطبيعي، أو من ذوي القابلية للوقوف ضد نيكولاس.

في نهاية السنة الماضية، سألها أحد المدراء، وكان هذا صديقاً آخر للسير جورج تيريل الراحل، واسمه السير ديرموت غاسكيل، سألها ان كانت تقبل الالتحاق بمجموعة تخطط للقيام بمناورات ضد نيكولاس كاسبيان في مجلس الادارة وذلك بالتصويت ضده في معظم المشاريع آملين أن يرغموه بذلك على الاستقالة. فإذا خسر نيكولاس ثقة معظم المدراء في مجلس الادارة، فوضعه في سنتنال سيضعف، ولكن أي هجوم عليه يجب أن يكون مسنوداً بمعظم مالكي الاسهم.

عندما توفي السير جورج إثر نوبة قلبية بعد اكتشافه أن نيكولاس كاسبيان يقوم سراً بتحركات تجعله يفوز بالسيطرة الكاملة على الصحيفة، كانت جينا من الحزن والمرارة بحيث اقسمت على ان تجعل نيكولاس يدفع الثمن، ولكن مرور الزمن قد خفف من شعورها العدائي، فقد كان لديها الكثير مما يشغل بالها، كما حدث الكثير منذ ذلك الحين، خصوصاً وكانت ترى نيكولاس كل يوم تقريباً، وقد اصبحت تعرفه الآن أكثر مما كانت تعرفه منذ سنة. لقد كان من الصعب ان تبقى على كراهية انسان تعرفه إلى هذا الحد.

ولهذا ازعجتها خطة السير ديرموت هذه ولم تعرف ماذا تفعل. نعم، إنها ما زالت تريد ان تأخذ منه بثأر السير جورج

تيريل، ولكن عندما واجهتها فرصة القيام بذلك، إذا بها تتردد ويتملك ذهنها التشوش والارتباك.

ولكن السير ديرموت أخذ يعنفها بغضب، مذكراً إياها بما هي مدينة به لزوجها الراحل وأسرته، قائلاً بأنه بصفتها الوحيدة التي تملك القسم الاعظم الآخر من الأسهم، من الضروري أن تنحاز إلى صفهم في هذه المؤامرة ضد نيكولاس.

لم يكن امامها خيار. كيف يمكنها أن ترفض الانضمام إلى أعداء نيكولاس وهي التي كانت قررت بأنها يوماً ما سترغمه على التخلي عن سيطرته على الصحيفة سنتنال.

لقد شعر السير ديرموت عند ذلك بالارتياح البالغ، وأخبرها بأن بإمكانها ان تترك ترتيبات ذلك له، وسيتحدث إليها مرة أخرى عندما يؤلف مجموعة قوية تسندهما في مجلس الادارة. فهل تراه فعل ذلك؟ أخذت تتساءل عن هذا وهي تنظر في انحاء الغرفة.

كانت جينا قد رأت السير ديرموت أثناء حفلة خطوبة احد المديرين والذي هو فيليب سليد، ولكن نيكولاس كان هناك، هو أيضاً ولهذا كان من المستحيل التحدث في أي امر لا تريد نيكولاس أن يسمعه.

حتى انها لم تكن تعلم سيبدأ السير ديرموت هجومه، وكانت تتمنى، وقد تملكها التوتر، ان لا يحدث ذلك في وقت قريب. فقد كان الرعب يتملكها من هذا الأمر ومجرد التفكير في التعبير الذي سيرتسم على ملامح نيكولاس حين يعلم بما يحدث، يجعل شعر رأسها يقف فزعاً، وهكذا حاولت اثناء عطلة العيد، أن تنسى كل شيء عن خطة السير ديرموت هذه.

لقد كانت أمضت عطلة العيد مع أحد محرري مكتب

الشؤون الاجنبية وخطيبته روز ايميري والتي كانت صديقتها منذ عهد الدراسة. وكان هذا عيداً عائلياً لأنه ضم أيضاً والد روز وأختها غير الشقيقة، ايرينا وزوجها استيبان، والذي هو مدير التسويق في مؤسسة كاسبيان الدولية، ما جعلها عطلة عادية ارتاحت اثناءها وان كانت بشكل ما بقيت تتذكر وجه نيكولاس عندما رفضت دعوته لقضاء العيد معه ومع أمه، فتجفل لهذه الذكرى.

في هذه اللحظة، جاءت هيزل إليها تسأل: «أين نيكولاس؟»

فتمتمت جينا عابسة شاحبة الوجه: «إنه سيأتي في الوقت الذي يحلو له.»

نظرت إليها هيزل متأملة: «آه، هكذا إذن؟»

فحملقت جينا فيها، قائلة: «لا تقولي إنك لم تلاحظي سوء طباعه في المدة الأخيرة.»

«طبعاً لاحظت ذلك، فقد اصبح كالدب الذي يؤلمه رأسه وذلك منذ استقالة بييت. إنه لن يصفح عنا قط، كما تعلمين فقد اعتبرها مسألة شخصية، ولم يرها من وجهة نظرنا نحن، وهذا ما جعل بييت في غاية الكدر. فبعد كل هذه السنوات من العبودية لينكولاس، ولأنه أراد ان يصنع شيئاً لنفسه، يعامله نيكولاس وكأنه كان سدد إليه طعنة في الظهر، كما أنه اصبح قليل التهذيب معي.»

«إنه أناني لا يفكر إلا في نفسه. فهو يرى الأمور من وجهة نظره فقط، أما الآخرون فليست لديهم وجهات نظر.»

نظرت جينا إليها بإمعان: «هل أنت بخير؟ إنك شديدة الشحوب.»

«الطفل عنيد لا يريد أن يأتي، وهو يسبب لي ألماً في الظهر كما أنه يجعلني أشعر بالغثيان.»

قالت لها جينا بقلق: «إذهبي واستلقي إذن.»

«إنني سأجلس طوال مدة الاجتماع فلا تقلقي.» وأخذت عينا هيزل تجولان في أنحاء الغرفة لترى إن كان اكتمل الاجتماع، ثم قالت: «أظنهم جميعاً هنا. ربما علينا أن نتصل هاتفياً بنيكولاس ليسرع بالقدوم.»

نظرت جينا حولها، هي أيضاً، مقطبة جبينها: «كلا، ان السير ديرموت لم يصل بعد وكذلك فيليب.»

«ها هوذا فيليب قد دخل الآن.» قالت هيزل ذلك ثم اضافت بصوت خافت: «نسيت أن اسألك... إنك ذهبت إلى حفلة خطوبته، أليس كذلك؟ كيف هو شكل خطيبته اليابانية؟»

أخذت جينا تعود بأفكارها إلى حفلة الخطوبة تلك، وإلى خطيبة فيليب التي قدمها إليها مزهواً، ثم قالت: «إنها رائعة الجمال واسمها سوكي تاماكي. إنها رشيقة الجسم إلى حد لا يصدق، ولا أظنها اتبعت نظاماً للنحافة قط في حياتها، كما أن لها بشرة بديعة، ولكنها اميركية اكثر منها يابانية، من طريقة حديثها وملابسها المصنوعة في باريس رغم أنها اشترتها من لوس انجلس، كما قالت. لقد ولدت في كاليفورنيا كما اخبرتني، ولم تعش في أي مكان آخر.»

«هل جاءت أسرتها معها إلى لندن؟»

فأومأت جينا: «كانوا هناك. أمها لم تنطق بأي كلمة، وإنما كانت تبتسم فقط وتنحني لكل شخص وتتبع زوجها حيثما يذهب. كانت تضع في شعرها وردة طبيعية كبيرة،

كما كانت ترتدي كيمونو باللونين الأبيض والوردي وفوقه أجمل وأكبر وشاح وردي اللون رأيته، أما السيد تاماكي فهو يرتدي بذلة عادية وكان يتحدث عنهما هما الاثنتين... ولغته الانكليزية جيدة جداً...»

«ولكن بلكنة اميركية طبعاً؟»

«طبعاً...» وتلاشى صوتها وهي ترى فيليب قادماً نحوهما. كان فتى غلامي المظهر، رشيق الجسم ذا شعر متهدل بني اللون وعينين زرقاوين. لم يكن وسيما بمعنى الكلمة، أو ذات تأثير في النفس ولكن كانت له ابتسامة جذابة تماماً.

قال: «مرحباً يا عزيزتي جينا. تبدين اسطورية كالعادة.»

«شكراً يا فيليب، وكذلك أنت. كيف حال سوكي؟ هل ما زالت في لندن أم أنها عادت إلى اميركا؟»

«لقد عاد والداها منذ أسبوع، ولكن سوكي ما زالت هنا مقيمة مع عمتي ريجينا، إنهما تقضيان وقتاً رائعاً في الاعداد لحفلة زفافنا.» وتألقت عيناه ببريق السعادة. «كان هناك بعض المشاكل بخصوص ذلك، ولكن سوكي حصلت على ما تريد... أرادت أن يكون العرس في لندن إذ تشعر أنه سيكون عصرياً. وقد جعلت العمة ريجينا تتصل هاتفياً بكل اصدقائها مزيلة كل العوائق، وذلك لكي تجعل منه عرس العام. وهما حالياً تتحدثان عن المكان الذي سيقام فيه. كما أن ابن عمتي بازيل هو نائب في مجلس العموم وهكذا ربما نقيم حفلة تلقي التهاني في منزله هناك.»

قالت جينا بجفاء وهي تتبادل مع هيزل نظرات ذات معنى: «يا له من شيء يهز المشاعر.»

كانت جينا تغالب ضحكها بصعوبة ولكن فيليب لم ينتبه إلى نبرة السخرية في صوتها، فقال: «حسناً، يمكنني احتمال ذلك إذا كان يسعد سوكي. ولكنني مسرور لتمكني من الابتعاد عدة ساعات. فأنا لا أفهم سبب غرام النساء بالتحدث عن الاعراس.»

سأل فيليب وهو ينظر حوله: «ألم يأت السير ديرموت بعد؟» فهزت جينا رأسها نفياً.

نهضت هيزل وهي تقول: «سأتصل بنيكولاس.»

قالت جينا وهي تسير نحو الهاتف المعلق بجانب النافذة: «سأفعل أنا ذلك... فابقي في مكانك.»

أدارت رقم نيكولاس الخاص في مكتبه فجاءها صوته يقول بحدة: «نعم؟»

فقالت له باختصار: «الكل هنا في الانتظار.» ولم تكلف نفسها عناء القول بأن السير ديرموت لم يصل بعد.

وألقت نظرة من النافذة إلى أسفل، فرأته قادماً في تلك اللحظة وشعره الرمادي يتطاير مع الريح وجسمه مكوم داخل معطفه، بينما كان ينزل من سيارته الرولز رويس خارج مدخل المبنى مباشرة.

كان نيكولاس يقول بحدة وهو يضع السماعة: «سأكون هناك بعد لحظة.»

وضعت جينا السماعة وهي تشعر برغبة في الشتم أو الصراخ أو رفس الجدار. إلى متى سيبقى بهذا الشكل؟

كانت من الغضب بحيث لم تستطع الالتفات ومواجهة الآخرين في الحال. فوقفت وظهرها إليهم، تحدق من النافذة إلى السير ديرموت، والذي كان يسرع في سيره على

الممر المغطى بالثلوج متجهاً إلى المدخل. وإذا بالرجل العجوز ينزلق على بقعة من الثلج في الممر. ورأته يفقد توازنه، مطوحاً بذراعيه في الهواء، ومحفظة أوراقه تسقط من يده، ثم يميل إلى الخلف ليسقط على الأرض.

أطلقت جينا صرخة جعلت كل من كان في القاعة يلتفت إليها وفي الخارج بقي السير ديرموت ملقى على الأرض جامداً في مكانه لحظة أخذ بعدها يناضل لكي يقف على مرفقيه، ولكن هذا جعله يعود فيسقط على ظهره مرة أخرى.

ومن هذا العلو، ومن خلال الزجاج المقفل، كان من المستحيل سماع أي شيء، ولكن كان باستطاعة جينا أن تقسم أنها سمعته يصرخ ألماً.

سألها فيليب وهو يتقدم نحوها لينظر بدوره من النافذة. «ماذا حدث؟»

فقالت وهي ترفع سماعة الهاتف لتتصل بالحارس الذي يجلس في مكتب الاستعلامات: «لقد حصل للسير ديرموت حادث.»

وأجابها صوت يقول: «مكتب الاستعلامات.»

«هنا السيدة تيريل. لقد رأيت لتوي السير ديرموت غاسكيل وهو يسقط على الممر خارج المدخل الرئيسي.»

بدا صوت الحارس مجفلاً وهو يقول: «سأذهب حالاً وألقي نظرة، يا سيدتي...»

«نعم، إفعل ولكن إياك أن تحركه إنني قادمة إليك بنفسي بعد أن اتصل بالطبيب. لا يجب أن يحرك السير ديرموت قبل مجيء الطبيب.»

وضعت السماعة، ثم أدارت رقم الطبيب المقيم على

الدوام تحت الطلب مع ممرضة مؤهلة وذلك في الجناح الطبي في الطابق الأرضي من المبنى. وعندما أخبرته جينا بالأمر استدارت لتخرج شاقة طريقها خلال مجموعة من المدراء قد تجمعوا عند النافذة ليتفرجوا على السير ديرموت.

قال فيليب مقطباً جبينه: «سآتي معك.» أدهشها اهتمامه بالسير ديرموت إذ لم يكن يبدو عليهما قط أن ثمة علاقة حميمة تجمعهما معاً. ولكن السير ديرموت كان يتقرب إليه في المدة الأخيرة بطبيعة الحال وذلك ليضمه إلى مجموعته المناوئة لنيكولاس كاسبيان والمصممة على استلام السيطرة في الصحيفة.

إعترض هنري هارينغتون طريقها، قائلاً: «ما حدث لا يدهشني، فذلك الثلج أمام المدخل كان يجب إزاحته في الصباح قبل كل شيء آخر. وأنا نفسي كدت أنزلق عليه عندما وصلت. لقد قلت للخادم الواقف بالباب أن يخبر أحداً بأن يزيح الثلج من الممر، ولكن لم يهتم أحد بقولي هذا طبعاً.»

قال جينا وهي تسرع في سيرها: «آسفة، يا هنري، لا يمكنني أن أقف معك.» لقد كان الحق معه بطبيعة الحال، فقد كان يجب إزاحة الثلج من الممر، وذلك في كل صباح ما دام الثلج موجوداً، وعليها أن تتحدث في ذلك إلى مدير العمل ليصدر أمراً بذلك في الحال، وهي لا تستطيع أن تفهم لماذا لم يقوموا بهذا العمل من تلقاء أنفسهم.

وسمعت أحد المدراء يقول عند مغادرتها القاعة: «لا أدري إذا كانت الشركة مسؤولة قانونياً...»

نظرت جينا إلى فيليب لاوية شفتيها: «هل سمعت؟ لقد ابتدأوا يبحثون عن طريقة تنقذهم من مسؤولية ما حدث للسير ديرموت.»

فقال عابساً: «حسناً، إذا كانت اصابة السير ديرموت سيئة فسيكلف ذلك الصحيفة مبلغاً طائلاً.»

ارتدى الإثنان معطفيهما لبرودة الجو في الخارج، ثم توجها نحو المصعد، وإذا بهما يواجهان نيكولاس خارجاً من نفس المصعد والذي عبس لرؤيتهما وسألهما بشيء من الدهشة: «إلى أين انتما ذاهبان؟»

فأخبرته بما رأته من النافذة: «لقد اتصلت بالطبيب، ولكنني نازلة لأرى مبلغ اصابته، إذ أخشى أن تكون خطيرة حسب ما رأيت.»

قال نيكولاس مقطباً جبينه: «الأفضل أن انزل معك أنا أيضاً.» وحدق في فيليب قائلاً دون ابتسام: «هل لك أن تعود إلى قاعة الاجتماع وتعتذر إليهم لهذا التأخر، يا فيليب؟ أطلب منهم الانتظار، ولن أتأخر أكثر من عشر دقائق أطلب من هيزل وصوفي ان تطلبا لهم قهوة أو أي شراب.»

لم يجد فيليب وقتاً للجدل، فقد انغلق باب المصعد أمام وجهه الثائر غضباً. ولم تنظر جينا إلى نيكولاس، وساد بينهما صمت كثيف. لم يكن لديها فكرة عما كان يفكر فيه، ولكنها كانت تعلم أن مزاجه ما زال سيئاً، ولا شيء جديد في هذا، فهو ما زال غاضباً منذ العيد، وكلما رأته كانت تحس بغضبه ذاك. ولكن شيئاً فشيئاً، أخذ الغضب يتملكها هي أيضاً... ليس لديه الحق في أن يتكلم معها وينظر إليها بهذا الشكل.

إذا كان ثمة تصرفات سيئة، فهي منه ولكنه توقع منها أن تنسى كل ما حدث في ذلك الماضي، خيانته لها، وخداعه للسير جورج وتسببه في موته. إن نيكولاس لا يستطيع أن يرى سوء تصرفاته فهو يعتبرها داخلة في نطاق العمل، إذ أنه للسيطرة على سنتنال، مستعد لأن يقوم بكل ما يراه ضرورياً في هذا السبيل، لقد كان مستعداً لإغوائها، حتى للزواج منها، ولكن إذا حصلت له فرصة أسهل من ذلك أو اذا ظن إن بإمكانه شراء السلطة دون الحاجة إلى الزواج منها، فهو يفضل ذلك... كل ذلك يبدو معقولاً تماماً بالنسبة إليه، فهو لا يفهم سبب غضبها بهذا الشكل حتى انه يرى استياءها من ذلك عملاً صبيانياً منها.

عندما وصلا إلى الطابق الأرضي، سار إلى الخارج بخطوات واسعة جعلت جينا تركض وراءه لكي تستطيع مجاراته في سيره، ولكن هذا لم يجعله يبطىء من خطواته.

وجدا مجموعة صغيرة قد احتشدت حول السير ديرموت، فشق نيكولاس طريقه بينهم مقطباً جبينه: «عودوا جميعاً إلى عملكم، ماذا تظنون هذا؟ مسرح في الشارع للفرجة؟»

فتواروا جميعاً دون كلمة ما عدا رئيس الخدم الذي حيا نيكولاس برفع يده الى قبعته: «لقد قمت بما أمكنني عمله للسيد العجوز يا سيدي إلى حين وصول الطبيب. كان يبدو في غاية الألم، مع الأسف. فحالته لا تبدو حسنة.»

أوما نيكولاس باختصار: «هل طلب أحد سيارة الاسعاف؟ يجب أن يذهب إلى المستشفى.»

«لقد اتصل بهم الطبيب يا سيدي.»

كان طبيب الشركة، والذي كان في أواخر العشرينات من

عمره والذي عمل عدة سنوات في مستشفى عام قبل أن يلتحق بسنتنال، كان جاثياً بجانب السير ديرموت وقد أخرج ذراع الرجل من كم المعطف السميك، ثم ثنى كم القميص إلى أعلى، وأخذ يحقنه بإبرة في ذراعه.

سأله نيكولاس: «ما هو الوضع، يا دكتور ماسينغهام؟»

نظر الطبيب حوله، ثم هتف غير مصدق: «السيد كاسبيان؟ صباح الخير.» قال ذلك متلعثماً وقد احمر وجهه مجفلاً وهو ينهض واقفاً. وقبل أن يجيب على سؤال نيكولاس، ابتعد قليلاً عن السير ديرموت ثم قال بصوت اكثر انخفاضاً: «إنه كسر في الساق، كما أظن، وهو محظوظ إذ لم يكسر وركه بسقطة كهذه... فهذا كان ممكناً تماماً. لقد حقنته بعقار مخفف للألم، فيا للرجل المسكين. إن عليه أن يذهب إلى المستشفى لتصوير ساقه ووضعها في الجبس. ومن الأفضل أن يبقى فيه عدة أيام تحت المراقبة. إن هذه الصدمة قد تحدث آثاراً خطيرة لرجل في مثل سنة. لقد سبق واتصلت بالمستشفى لإرسال سيارة اسعاف وسأذهب معه بنفسي.»

قالت جينا بقلق: «ألا يمكننا إدخاله إلى المبنى؟ فالجو قارس البرودة هنا في الخارج.» وجثت بجانبه، كانت عيناه مغمضتين وجهه شاحب وذلك بالرغم من برودة الجو وسماعها لأسنانه تصطك.

أجاب الطبيب: «ليس هذا من الحكمة في شيء بالنسبة لساقه المكسورة. فكلما قلّت حركته كان ذلك أفضل، إلى أن تؤخذ صور الأشعة. ثم إنني لا استطيع التأكد من عدم حصول كسور أخرى داخلية إلا بعد رؤية النتائج.»

في تلك اللحظة، وصل إلى مسامعهم زمور سيارة الاسعاف، فسار نيكولاس والطبيب نحو البوابة الرئيسية. فتح السير ديرموت عينيه ورفع بصره إلى جينا وهو يحرك شفتيه دون صوت.

فابتسمت له تخفف عنه: «ستصبح على ما يرام، يا ديرموت، لا تقلق، فالأمر ليس خطيراً.»

فهمس: «فيليب...»

قطبت جبينها: «فيليب...؟»

«أخبريه...» وسكت وهو يرتجف.

قالت له: «دع عنك شؤون العمل، يا ديرموت واهتم بنفسك فقط.»

فتمتم بضجر: «اسمعي... الوقت قصير يا جينا أخبريه أن ينتظر.» وأمسك بيدها يحدق في وجهها بلهفة: «هل فهمت؟ أخبريه... أن ينتظر.»

رددت كلامه مقطبة جبينها: «ينتظر؟» كان في عيني سير ديرموت لهفة محمومة فداخلها الانزعاج: «ينتظر ماذا؟»

قال بضعف: «إن فيليب سيفهم. قولي له أن يرجيء الأمر إلى أن أشفى يجب أن يتحلى بالصبر.»

وأثناء كلامه، وصل رجال الاسعاف فقال لها واحد منهم: «ابتعدي قليلاً من فضلك، يا آنسة.»

فابتعدت جينا بينما تقدموا هم ينقلونه بحذر بالغ إلى الحمالة، وبعد ذلك بخمس دقائق كانت سيارة الاسعاف تبتعد به وبالدكتور ماسينغهام.

نظرت حولها، وإذا بنيكولاس ينظر إليها بعينين حادتين: «ما الذي كان يتحدث عنه؟»

هزت كتفيها: «كان يتخبط في حديث غير مفهوم. ربما العقار الذي حقنه به الطبيب اصابه بالدوار.» قالت هذا وهي تعلم فعلاً، ما الذي كان السير ديرموت يعني بكلامه هذا.

قال نيكولاس ببطء: «عجباً... ما الذي يربط السير ديرموت بفيليب سليد؟ وما الذي على فيليب أن يتحلى بالصبر لأجله؟»

شعرت جينا بعينيه الحادتين مسمرتين على وجهها، فقالت له متوترة: «وما يدريني؟ إنه لم يفصح عما يريد. ربما هما يلعبان الغولف معاً. فأنا أحيانا أفكر في أن علينا أن نعقد اجتماع مجلس الإدارة في ملعب الغولف، إذ سنرى اقبالاً على الاجتماعات اكثر مما يحصل الآن.» ونظرت إلى ساعتها: «وإذ نأتي على ذكر اجتماع مجلس الادارة، أليس الأفضل أن نعود إلى هناك، لقد تأخرنا حوالي الأربعين دقيقة.»

لم يلاحق نيكولاس الموضوع، وتبعها إلى حيث صعدا الى قاعة الاجتماع دون الاتيان على ذكر السير ديرموت مرة أخرى، ولكن جينا لم تخدع نفسها بهذا الشعور الزائف بالأمان. فقد كان عقل نيكولاس مرهفاً كحد السكين ماذا لو تكهن بأن فيليب والسير ديرموت يتآمران ضده؟ وتجمدت جينا في مكانها كلوح من الثلج وهي تتصور ردة فعل نيكولاس إزاء ذلك.

الفصل الثاني

بدا وكأن هذا الجو الشديد البرودة سيستمر إلى الأبد، ولكن الواقع هو انه لم يمض اسبوع حتى ابتدأت درجة الحرارة في الارتفاع، وتغيرت الريح فأصبحت اكثر دفئاً، لقد اصبح على كل شخص ان يحتذي احذية عالية تحمي قدميه من تسرب الوحل والثلج الذائب إلى قدميه، وطفحت الميازيب والأقنية بالمياه الناتجة عن ذوبان الثلج.

في عطلة نهاية الأسبوع ذاك زارت جينا السير ديرموت في المستشفى الذي يقضي فيه فترة نقاهته في منطقة هيرفورد شاير الريفية، آخذة معها له سلة من أجود انواع الفاكهة الاستوائية من محلات هارودز، وكتاباً جديداً عن الغولف.

عندما طرقت الباب ونظرت منه رأته جالساً على كرسي بجانب النافذة، وإذ نظر حوله ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة.

تقدمت اليه وهي تحييه مبتسمة: «انني مسرورة جداً لرؤيتك تتحسن بسرعة.»

فقال عابساً: «ان السأم يتملكني على كل حال، انهم يقولون لي ان هذا دليل على الشفاء، هل تريدين فنجان شاي؟ انهم يحضرونه الساعة الثالثة... ها انني اسمع صوت العربة قادمة.»

فقالت متشككة: «هل يسمح للزائرين هنا...»

فقاطعها: «طبعاً، وهو يقيد لحسابي.» وابتسم لها: «لا يمكنني ان اصف لك مبلغ سروري برؤيتك، يا جينا، من الجميل منك ان تقطعي كل هذه المسافة لزيارتي.» وأشار إلى كرسي

آخر، «جري ذاك الكرسي واجلسي عليه واخبريني بكل الاخبار... كيف تسير الصحيفة؟ هل حدث شيء منذ اصابتي بهذا الحادث؟»

«لا شيء يستحق الذكر، هل عندك مثل هذا الكتاب؟» ومدت إليه يدها بالكتاب الذي احضرته له هدية.

«كلا، لا يوجد عندي هذا، يا جينا، ولكن من الصدف الغريبة انني قرأت نقداً له، انك ذكية.» واخذ يقلب صفحات الكتاب باسماً.

حملت جينا سلة الفواكه تضعها على المنضدة بجانب السرير، كان لديه عدة زهريات تحتوي على أزهار، فسرت إذ لم تحضر له باقة زهر هي أيضاً، وكانت هناك سلة فضية تحتوي على ورود حمراء أيضاً، وكان ثمة بطاقة تتدلى من شريطة حمراء حول السلة، وانحنت جينا تشم الزهور، فلم تجد لها رائحة، ولكنها رأت اسم فيليب سليد على البطاقة.

كان السير ديرموت يقول: «كنت مستلقياً هنا وأنا اتمنى لو كنت في ملعب الغولف، ولكن بإمكاني الآن ان احسن طريقتي في اللعب دون الحاجة إلى ممارسة ذلك.» اغلق السير ديرموت الكتاب ووضعه جانباً في الوقت الذي انفتح فيه الباب ودخلت عربة الشاي إلى الغرفة، تدفعها فتاة صغيرة الحجم في ملابس تمريض.

قال لها السير ديرموت: «ان زائرتي تريد شيئاً من الشاي.»

فأومأت الفتاة، ووضعت في صحن لكل منهما قطعة صغيرة جداً من فطيرة الفاكهة مع شطيرتين، وسكبت فنجانين من الشاي: «اتريدين ليموناً معه أم لبناً؟»

«لبناً من فضلك.» وتناولت جينا منها الفنجان ووضعته على الأرض مع الصحن، خرجت الممرضة بالعربة بينما

اخذت جينا تأكل شطيرة خيار وهي تقول للسير ديرموت: «ابلغت فيليب رسالتك.»

لكنه أدار وجهه إلى النافذة وقد تشنج جسمه وهو يسأل: «أية رسالة؟»

استغربت ذلك وشعرت انه يعرف جيداً ما تتحدث عنه، ولكنها سألته: «الا تذكر؟ عندما وقع لك الحادث قبل ان ينقلوك إلى سيارة الاسعاف قلت لي: «قولي لفيليب ان ينتظر.»

أطلق ديرموت ضحكة قصيرة: «أحقاً؟ لا اتذكر هذا، يبدو انني كنت قلقاً بالنسبة إلى اجتماع مجلس الإدارة وعدم قدرتي على الالتحاق بهم، ولا بد انني كنت اهذي لشدة انفعالي.»

«ألم يتصل بك فيليب؟»

تحول بصر السير ديرموت إلى باقة الورود الحمراء بنظرة خاطفة وهو يجيب: «كلا، فنحن لسنا صديقين إلى هذا الحد، كما تعلمين.» وابتسم لها بحرارة وهو يقول: «هيا، كلي فطيرتك، يا جينا فهي لذيذة جداً.»

في طريق عودتها إلى لندن، اخذت تطيل التفكير في تلك الكذبة متسائلة عما يدعو السير ديرموت إلى الكذب عليها، لقد كان حدثها بأنه كان يخطط لنوع من الهجوم على نيكولاس وطلب منها مساندته... فلماذا كره الاعتراف بأن فيليب مشترك في هذا الأمر؟ ثم لماذا بدا على فيليب التحفظ بالنسبة لذلك؟

هل السبب في ذلك انهما لا يثقان بها؟ والتمع الغضب في عينيها مزيجاً بالانزعاج، اتراهما يظنان انها قد تخبر بذلك نيكولاس؟ وانها قد تخونهما؟

كان غضبها من العنف بحيث ضغطت على البنزين دون

شعور منها ولم تعد تبصر ما امامها وقد تملكها شعور بالخزي والألم.

إذا كانا لا يثقان بها، فهذا معناه انهما يعلمان... أو انهما تكهنا اخيراً بمشاعرها نحو نيكولاس.

اجفلت لدى هذه الفكرة، فقد كانت تقاوم مشاعرها نحو نيكولاس منذ اكثر من عام، وهي تراه يومياً تقريباً، مخفية مشاعرها عن الآخرين، محاولة ان تخنقها بالإيحاء إلى نفسها بالأسباب التي ينبغي ان تجعلها تكرهه، ولم تحتمل فكرة ان الآخرين ربما شعروا بحبها الخفي ذاك أو حتى تكهنوا به.

أمضت يوم الأحد ذاك مع هيزل تساعدها في حزم امتعتها للسفر إلى هولندا، فقد كان بييت سيأتي إلى لندن يوم الثلاثاء لكي يحضر حفلة الوداع التي ستقيمها زوجته، والأمتعة سيستلمها الشحن بعد ذلك بيومين.

وفي نهاية الأسبوع ستكون استقرت في بيتها الجديد في ميدلبورغ في هولندا.

قالت لها وهي تطوي الملاءات: «يجب ان تزوريني في هولندا، فأنت لا تعرفينها بعد، اليس كذلك؟ انني واثقة من انك ستحبينها... تعالي يا جينا، لقد صرت أشعر هناك وكأنني في وطني، بعد ترددي الدائم إلى هناك طوال الشهور الماضية والذي جعلني اعتاد الحياة، وهي طبعاً، تماثل الحياة في انكلترا من نواحٍ كثيرة، وأنا أجد اثناء تعلمي الهولندية، اجدها سهلة بشكل مدهش إذ ان كثيراً من الكلمات متشابهة تقريباً في اللغتين، ان بإمكان الشخص هناك ان يمضي حياته دون ان يتحدث بسوى الانكليزية، ولكنني احب ان اتكلم مع بييت بلغته كما انني أريد ان أربي أولادنا على ان يتكلموا باللغتين.»

كانت جينا تلف أواني هيزل المصنوعة من الخزف الصيني بأوراق الصحف كيلا تتكسر، وهي تقول: «أول ما عليك القيام به عندما تصلين إلى هناك، هو ان تذهبي إلى الطبيب ليسجل اسمك في مستشفى الولادة.»

«لقد قام بييت بكل ذلك، فهو بالغ الكفاءة، كما تعلمين. كما انه الآن ممتلىء حماساً، فهو يركض في عمله بنشاط، ولم أكن اعلم مقدار لهفته إلى تكوين شركة خاصة به، انه من السعادة بحيث لا تصدقين ذلك.»

«انا مسرورة لذلك، انني متشوقة حقاً إلى رؤيته وسماع اخباره.»

همدت ابتسامة هيزل قليلاً وهي تتنهد: «فقط لو ان نيكولاس لا يزعجنا إلى هذا الحد.»

بهتت ابتسامة جينا هي الأخرى، وهي تقول: «نعم.»

«كان على نيكولاس ان يكون اكثر مودة بالنسبة إلى السنوات التي خدمه بييت فيها، أليس كذلك؟ ألا يستطيع ان يفهم لماذا يريد بييت ان تكون له شركة خاصة به، ويكون سيد نفسه؟ اظن الزواج، وتكوين الأسرة جعل بييت يفكر في ان الوقت قد حان ليترك نيكولاس... انه يريد ان يبني مستقبلاً لأولادنا.»

«هذا طبيعي جداً، ولو كان نيكولاس في مكانه لفعل نفس الشيء.»

رفعت هيزل اليها وجهاً متوهجاً يسوده الاستياء: «طبعاً كان سيفعل ذلك، ولكن إذا حاول احد موظفيه ان يهرب... فانظري ماذا سيفعله.»

ضحكت جينا، ولكن هيزل كانت اكثر غضباً من ان تجد الأمر مضحكاً.

«إنني جادة في كلامي، فهو يرى كل من يشتغل عنده، ملكاً له، بييت في نظر نيكولاس هو عبد هارب، وكل يوم اتوقع ان يرسل كلباً بوليسياً في اثرنا، ليظهر بعد ذلك وفي يده سوط، وهو يهدد بوضع قيود الحديد في ايدينا، نحن الاثنين. وهذا يكدر بييت. فهما صديقين منذ زمن بعيد... انه يشعر حقاً بعداء نيكولاس له.» ونظرت إلى جينا ضارعة. «ألا يمكنك ان تتحدثي إليه، يا جينا؟ ان تخبريه انه ليس عادلاً في تصرفه هذا معنا، وأن يتوقف عن معاملة بييت وكأنه اصبح فجأة عدواً له؟»

ترددت جينا وهي تعبس قائلة: «انه حالياً لا يكاد يتحدث إليّ، انا أيضاً واذا فعل فبكل غلظة وجفاء، محملقاً في وجهي وكأنه سيذبحني.» ولكن التوسل بقي مرتسماً على وجه هيزل الحزين ما جعل جينا تتنهد قائلة: «حسناً، لا بأس، سأحاول.»

«آه، أشكرك...» تنهدت هيزل بارتياح وهي تعانقها ببعض الصعوبة بسبب بطنها المتضخم.

أخذت جينا تضحك قائلة: «ان عناقك هذه الأيام، اشبه بعناق فرس البحر.»

فأخذت هيزل تضحك بدورها، وبقيت السعادة مرتسمة على وجهها منذ ذلك الحين ولكن جينا ظلت متوترة وهي تفكر في مواجهتها المقبلة لنيكولاس، ذلك ان جعله يستمع اليها لن تكون بالمهمة السهلة، اذ كان من المرجح ان يأخذ في مهاجمتها ويجعلها تتمنى لو انها لم تأت على ذكر هذا الموضوع.

في الصباح التالي تناولت افطاراً خفيفاً من ثمرة الكريب فروت وعصير البرتقال والحبوب، وأخذت تقرأ الطبعة

الأول من سنتنال والتي كانت دوماً تصل إلى بابها في الساعات الأولى من الصباح، وكذلك كانت تصل نسخة إلى نيكولاس في نفس الوقت.

في ذلك الصباح كانت الصفحة الأولى تحتلها فضيحة سياسية ولكن اهتمام جينا كان منصباً على ريبورتاج متسلسل لتوم بيرني عن (عائلات عصابات المافيا في شرق لندن).

كانت السلسلة الأولى من المقالات قد سببت في الشهر الماضي عاصفة هوجاء، فقد كانت هناك تهديدات غاضبة من العائلات بإقامة الدعاوى امام المحكمة، حتى ان عدة تهديدات بالقتل وصلت إلى توم بيرني ولكن كان يبدو ان كل ذلك قد انتهى أثناء العيد، اخذت جينا تقرأ المقالة بعناية، متأملة الصور المنشورة فيها، وعبست آملة بأن يكون نيكولاس مدركاً ما يقوم به، أترى الرقابة القانونية سمحت حقاً بنشر هذا باعتباره لا خطورة فيه؟ ماذا كان رأي غاي فوكنر فيه؟ حتى ولو كانت كل كلمة في المقالة صحيحة، فليس من السهل إثبات ذلك خصوصاً حين لا تتمكن الشرطة من القبض على هؤلاء الرجال. وحسب قول توم كانوا دوماً يتمكنون من اثبات وجودهم في غير مكان الجريمة اثناء وقوعها، فكيف تغامر سنتنال بنشر ادعاءات كهذه لا دليل على صحتها؟

غادرت جينا بيتها متجهة إلى عملها وهي تمسك بيدها نسختها من الجريدة وقد توهج وجهها غضباً، وكانت على وشك ان تدخل سيارتها في موقف السيارات عندما رأت نيكولاس متجهاً نحو سيارته بخطوات واسعة.

تقدمت جينا تقف في طريقه وهي تلوح بالصحيفة في يدها قائلة: «هل رأيت آخر مقالة لتوم بيرني؟»

قال بحدة وهو يحملق فيها: «نعم.» وحاول ان يتابع طريقه ولكنها عادت تسد عليه الطريق مرة أخرى: «هل كنت تعلم بأنها ستنشر؟»

فقال متجهماً: «نعم، اسمعي فأنا مستعجل...»

لم تزح من طريقه بل سألته غير مصدقة: «هل كنت تعلم؟ ولكن هل قرأتها أولاً؟»

«انك تعلمين النظام الجديد الذي يفرض ان أضع موافقتي على كل موضوع حساس ينشر... ترين انني قرأت مقالة بيرني بطبيعة الحال.»

«وتركتهم ينشرونها؟»

فالتهبت عيناه: «هل ترتابين في قدرتي المهنية، يا جينا؟ هل عليّ حقاً ان انكرك بأنني أدير الصحف منذ كنت شاباً صغيراً؟ نعم لقد قرأت المقالة، وعلمت مقدار المجازفة ولكنني قررت نشرها، اعتقد ان بيرني يخدم المجتمع بجعل البلاد بأجمعها تعلم بالضبط ما يسعى اليه أولئك الناس.»

وقبل ان تفيق من الغضب الذي بدا في صوته، كان قد تركها وصعد إلى سيارته الفيراري البيضاء وخرج بها من موقف السيارات تاركا جينا وهي مازالت ترتجف من هذه المواجهة. ولم تدرك ان هذه المواجهة القصيرة جعلت حديثها معه عن بييت اكثر صعوبة، إلا بعد ان دخلت مكتبها ورأت هيزل تنظر اليها بعينيها المتسائلتين.

تمتمت تقول: «آسفة يا هيزل، لم تسنح لي فرصة احدثه فيها، سأحاول فيما بعد، هل لديه وقت فراغ؟»

فهزت هيزل رأسها مكتئبة: «ان جدول مواعيده مزدحم طوال النهار، ولديه حالياً موعد مع كوليت تسي...»

قالت جينا بحدة: «كوليت؟»

نظرت إليها هيزل بدهشة: «نعم، محررة الشخصيات كما تعلمين.»

فقالت جينا: «نعم، اعلم، هل أرسل نيكولاس يطلبها أم...؟»

«لقد اتصلت هي أمس، وتحدثت إليه دقيقة، ثم احالها إليّ واخبرني ان اعطيها موعداً هذا الصباح، لماذا تسألين؟» كانت هيزل تنظر اليها بفضول، فهزت جينا كتفيها وهي تحول عينيها بعيداً: «آه، انه تساؤل فقط، يبدو الأمر غريباً.»

قالت هيزل بجفاء: «لقد تساءلت عن ذلك، أنا أيضاً، ربما كانت تحدثت إلى فابيان عن مشروع ما، فلم يلب طلبها، ولهذا هي تحاول ان تحصل على مساندة نيكولاس لها، ان كوليت من العنف والحقد بحيث تتوجه نحو ذلك النوع من طلب المساندة.»

قالت جينا بحدة: «ولكن لا ينبغي ان يشجعها نيكولاس على ذلك، إذا كانت هذه هي نيتها، ولا يدهشني هذا وهي لها القابلية لذلك كما تقولين.»

فقالت هيزل: «انها امرأة صعبة المراس.»

أومأت جينا قائلة: «هذا ما يبدو إذا كانت تعمل من وراء ظهر فابيان لإلغاء احد قراراته، قد يضطر فابيان إلى الإذعان لنيكولاس، ولكن ذلك سيجعله يكره كوليت.»

في تلك اللحظة اندفعت صوفي داخلة وهي تقول لاهثة:

«آسفة لتأخري، كان عليّ ان اذهب إلى القسم القانوني لكي افضي نزاعاً بشأن سكرتيرة غاي الجديدة انه ليس مسروراً تماماً بها...»

قالت هيزل مازحة: «وهل سيعجبه احد بعدك انت؟»

فاحمر وجه صوفي: «انا اتحدث بجد، انها لا تحسن الهجاء، وهو دوماً يفاجئها وهي تثرثر مع اصدقائها هاتفياً... أرادني ان اتحدث اليها واحذرها من انه سيطردها إذا لم تتحسن.» تنهدت ثم تابعت تقول: «حسناً، لقد تحدثت اليها، ولكنها اخذت تستمع إليّ وهي تضحك وتمضغ علكة تنفخها بالونات، انني اشعر بالإستياء تجاه ذلك إذ لو لم اترك غاي لما واجه هذه المشكلة، ربما عليّ ان اعود إليه.»

بدت المفاجأة على وجه هيزل: «آه، كلا. لا يمكنك هذا... من الذي سيستلم المكتب هنا إذن؟»

قالت جينا بسرعة: «هل هي من قسم السكرتارية؟ من الذي اختارها، انت أم غاي فوكنر؟»

قالت صوفي بجفاء وهي تمط وجهها: «غاي هو الذي اختارها، ولم اكن راضية بها حينذاك، انها شقراء ذات قوام رائع ومستوى ذكاء متوسط، كنت اعلم انها لن تستطيع القيام بهذا العمل على الاطلاق، ولكنني لم أشأ ان يظنني غاي غيورة.»

قالت جينا: «اذهبي إلى قسم السكرتارية الآن وتكلمي مع السيدة ويذرز واخبريها انني اريدها أن تختار سكرتيرة أخرى، وتلك الفتاة يمكنها ان تعود إلى قسم السكرتارية، وإذا هي لم تغير تصرفاتها فانها ستطرد من عملها كلياً.»

قالت صوفي وقد أشرق وجهها: «شكراً.» ثم خرجت من المكتب.

بعد خروجها اتكأت جينا على مكتب هيزل واخذت تنظر إلى دفتر مواعيد نيكولاس، وهي تقول: «لا بد ان لديه وقت فراغ اليوم.»

قالت هيزل: «هنالك خمسة مواعيد قبل الغداء، اما الغداء فسيتناوله مع وزير التجارة...»

«وماذا بالنسبة إلى العشاء؟»

«سيكون مع السفير الروسي في السفارة الروسية، انها في الواقع مناسبة اجتماعية هامة جداً، كما قيل لي، وهذه الليلة سيكون موجوداً هناك نصف اعضاء الحكومة البريطانية، هذا عدا عن بعض أرباب الصناعة.»

«يا له من رجل محظوظ.» ضحكت جينا وهي تقول ذلك آملة ألا ترى هيزل مشاعر الارتياح على ملامحها وهي تدرك ان ليس عليها ان تتحدث إلى نيكولاس اليوم، ثم قالت: «سأتحدث اليه غداً، إذن.»

«انه آخر يوم لي هنا، وبييت سيأتي إلى حفلتي، لا تنسي أرجوك... أرجوك ان تنهي هذا الأمر حتى ذلك الحين.» وعاد التوسل إلى عيني هيزل وبدت وكأنها موشكة على البكاء، ما جعل شعوراً بالذنب يمتلك جينا، ان عليها ان تفعل كل ما تستطيعه لأجل هيزل سواء صاح نيكولاس بها أم لا، تنفست بعمق ثم قالت: «عندما تبدأ حفلتك، سأكون أنا قد تحدثت إليه.» منحتها هيزل ابتسامة عريضة شاكرة: «يا لك من حبيبة شكراً لك.»

بعد ان تناولت جينا وروز الغداء ذهبتا إلى مطعم باربري وارف والذي كان جزءاً من نفس المجمع الذي

يحتوي على مكاتب ومطابع سنتنال، وذلك كي يقوما بالترتيبات الأخيرة لحفلة وداع هيزل في المساء التالي، كان جينا هي المضيفة، وكانت قد قامت بأكثر القرارات ورغم ان نيكولاس قد تبرع بأن تكون الحفلة على نفقته الخاصة إلا ان جينا أصرت على ان تقوم هي نفسها بذلك، والسبب هو كما قالت ان هيزل قد اشتغلت مع آل تيريل اكثر كثيراً، مما اشتغلت مع مؤسسة كاسبيان الدولية.

كانت الحفلة تحتوي على مقصف عشاء يتضمن اطعمة ساخنة وباردة كانت جينا طلبت من هيزل ان تختارها من قائمة اطعمة الفندق، فطلبت لحوم دجاج ساخنة بصلصة بيضاء وزبيب أبيض، ولحوم بقر وأرز بالبهارات، وانواع من السلطات، وشرائح باردة من لحوم ديك الحبش، وللحلوى اختارت سلطة فواكه طازجة وحلوى بالجبن. أخذت جينا وروز تراجعان كل تفاصيل الحفلة، بصبر وتصميم، يجب ألا يكون هناك أي تقصير في آخر ليالي هيزل بينهم.

سأل مدير الفندق جينا وهي تدفع إليه قائمة بأسماء المدعوين، سألها قائلاً: «هل هذا هو الرقم النهائي؟» كان المدراء في سنتنال كلهم مدعوين إلى الحفلة، بما في ذلك بعض اعضاء مجلس الإدارة، وموظفون من كل قسم من الصحيفة، وطبعاً كل اصدقاء هيزل وبييت من باربري وارف.

اجابته جينا: «أرجو ذلك.»

قالت روز بنعومة: «ولكن هنالك دوماً بعض المتطفلين دون دعوة، فكل شخص في الشركة يعرف بخبر الحفلة، وربما يتمنى بعض من هم غير مدعوين، حضورها.»

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي المدير روميرو مونتيغنا، ثم قال لها: «ما دمت أرسلت بطاقات دعوة، فلا احد دون بطاقة يمكنه ان يمر من امام حراسي على الباب.»

قالت جينا: «لا نريد أية مشاكل، فنحن نريدها مناسبة سعيدة.»

ابتسمت روز للمدير: «اسمع إذا جاء شخص دون بطاقة، فاطلب من احدانا ان تضمنه قبل ان تلقي به من فوق السلم.»

قالت جينا: «إلا اذا قال ان اسمه نيكولاس كاسبيان، عندذلك دحرجه على السلم رأساً، دون ان تستشيرنا.» ذهل المدير لحظة مالبث بعدها ان انفجر ضاحكاً: «آه... انها نكتة... ها ها... لا تقلقي، سأعالج كل مشكلة بنفسي دون ان يلاحظ احد.»

قالت روز: «هذا حسن.» واخذت تنظر إلى جينا مفكرة بينما هذه تضحك بصوت عال، هل كان كلامها ذاك عن نيكولاس مجرد نكتة؟

تناولتا طعاماً خفيفاً في مطعم الفندق، قبل ان تعودا إلى العمل، جلستا إلى مائدة قرب نافذة تطل على نهر التايمس.

كان يدور في النهر هذا النهار، نشاطات كثيرة تستحق الرؤية.

اخذت جينا تحدق من النافذة شاعرة بالكآبة والانهاك، غير منتبهة إلى نظرات روز العابسة اليها.

«ما الذي حدث يا جينا؟»

أجفلت هذه ونظرت حولها: «لا شيء.» ولكن ابتسامتها كانت ترتجف وامتلأت عيناها بالدموع.

قالت لها روز برقة وهي تربت على يدها: «آه، هيا... يمكنك ان تتحدثي إلي، وأنت تعلمين ذلك، اننا نعرف بعضنا

البعض منذ سنين نسيت عددها، ولكننا طوال سنوات الدراسة كنا صديقتين حميمتين أليس كذلك؟ فهل تغير كل ذلك؟ انك ما زلت افضل صديقاتي... ألم اعد صديقتك؟»

قالت جينا ما بين الضحك والبكاء: «آه، اخرسي، فأنت تعلمين انك مازلت صديقتي الحميمة.»

«هيا إذن، تكلمي فهذا يفيدك. اتظنينني عمياء وانني لا أعلم متى تتملكك التعاسة؟ ما هو السبب، نيكولاس؟»

«لماذا ينبغي ان يكون رجل هو السبب دوماً؟»

قالت روز ضاحكة: «لا تسالينني، انه نيكولاس، أليس كذلك؟ ما الذي فعله معك؟ هل هناك امرأة أخرى؟»

فهزت جينا رأسها: «لا اظن ذلك، كل ما في الأمر هو انه غاضب مني لأنني رفضت قضاء عطلة العيد معه.»

حملقت روز فيها، قائلة: «انك لم تخبريني بأنه كان دعاك إلى قضاء العيد معه، وقد رفضت أنت دعوته لتمضي العيد معنا؟ هذا شخصياً يجعلني اشعر بالزهو، ولكنني أرى ان رفضك ذاك لم يعجبه، فهو لم يتعود ذلك، وقد سبق ونبهتك إلى طباعه تلك.»

قالت جينا وهي تطلق ضحكة مرتجفة: «نعم، لقد نبهتني.»

أخذت روز تنظر في عينيها لحظة، وفجأة تنهدت وهي تقول: «آه، يا جينا، ما أسوأ حظك هذا، ان نيكولاس كاسبيان رجل لا يمكن الثقة به لكي تحبيه بهذا المقدار.»

توهج وجه جينا وخفضت من بصرها، ما الذي يمكنها ان تقوله في هذا الأمر؟ فهي لا يمكنها انكار ذلك... فروز تعرفها جيداً... وما قالته عن نيكولاس هو الحقيقة بعينها.

عاد نيكولاس من الغداء مع وزير التجارة متأخراً، بعد

ظهر ذلك اليوم، وبقي غاي فوكنر، والذي كان موعده معه الساعة الرابعة، بقي ينتظره حتى الرابعة والثلث.

نظر إلى ساعة الجدار، والتي كانت الرابعة والربع، وهو يقول: «هل من المفروض ان انتظر اكثر من ذلك؟ ان لديّ الكثير من العمل في هذا الوقت، ولا يمكنني اضاعة وقتي في الانتظار هنا.»

نظرت جينا وهيزل اليه، ثم إلى صوفي التي كانت تنظر اليه بأسى وهي تقول: «آسفة يا غاي، فليس لدي فكرة عما جعله يتأخر.»

نهض واقفاً فسألته جينا بسرعة: «هل انحلت مشكلة سكرتيرتك كما تحب؟»

«حسناً، فالفتاة الجديدة يمكنها ان تتهجى الكلمات، على الأقل حتى ولو لم تكن جميلة.»

تبادلت جينا وهيزل الابتسام، بينما احمر وجه صوفي إذ كانت تعلم ما الذي تفكران فيه، ولكن غاي تابع كلامه وقد بدا عليه انه لم يلاحظ شيئاً: «لقد جننتني الفتاة الأخرى فكلما دخلت اليها في المكتب أراها إما تتحدث في الهاتف مع صديقها، واما تزين وجهها وتصبغ اظافرها،اما العمل فكان آخر شيء في ذهنها.»

قالت هيزل ببراءة: «لا بأس، فقد حلت لك صوفي المشكلة، أليس كذلك؟» أومأ برأسه وهو يلتفت إلى صوفي باسماً، ثم قال لهيزل: «انني لن اصفح عنك قط، يا هيزل، لأنك سلبتني إياها لتضعيها مكانك فأنا لن أجد أبداً سكرتيرة مثلها.»

قالت جينا وهي تغالب الضحك: «مسكين غاي.» وفي هذه اللحظة دخل نيكولاس المكتب بخطواته الواسعة، اشبه

بالريح الشمالية وهي تهب خلال المدينة، فاكتسح غاي معه إلى مكتبه، وعند الباب الفاصل بين المكتبين، وقف نيكولاس وهو يلتفت خلفه إلى النساء الثلاثة: «جينا، الأفضل ان تحضري معنا هذه الجلسة.» والتوى فمه بسخرية وهو يتابع: «إذ يبدو انك مهتمة بمقالة توم بيرني الأخيرة.» وانتقلت نظراته إلى صوفي وهو يقول بلهجة اكثر رقة: «هل لك ان تحضري إلينا الشاي من فضلك يا صوفي؟»

قالت صوفي: «نعم يا سيدي.»

تهالك نيكولاس، في مكتبه، على مقعده الجلدي، متكئاً إلى الخلف، وأرخى ربطة عنقه وهو يتنهد متعباً.

«آسف لتأخري، يا فوكنر، كان غداءً طويلاً خالياً من البهجة، لم استطع الهرب منه، والآن دعنا نسمع آخر اخبار بطولات عائلات شرق لندن.»

فتح غاي الملف الضخم الذي كان يحمله واخذ يقرأ سلسلة رسائل من المحامين. ثم احضرت صوفي صينية الشاي واخذت تسكب ثلاثة اكواب، واخذت جينا تنظر بشيء من الحسد، إلى صوفي وهي تناول غاي كوبه وقد تشابكت نظراتهما، وهما يتبادلان الابتسام وقد تألقت اعينهما وخفضت جينا بصرها والألم والشوق ينهشان قلبها.

خرجت صوفي فرفع نيكولاس كوبه يرشف منه قبل ان يسأل غاي باختصار: «هل هذا كل شيء؟»

فهز غاي رأسه: «يا ليته كان كذلك، كلا، فالناحية القانونية لا تزعجني... فأنا اشك كثيراً في انهم يفكرون برفع دعوى قضائية، ذلك ان آخر شيء يريدونه، هو فتح صندوق العقارب ذاك... فهي ستكون دعوة للشرطة للتحقيق معهم.»

قال نيكولاس: «كان على الشرطة ان تقوم بذلك الآن.»

أومأ غاي برأسه قائلاً بجفاء: «طبعاً، ولكن هذا ليس سهلاً كما يبدو، فقد ولد توم في شرق لندن، ونشأ مع هؤلاء الرجال، وذهب إلى المدرسة معهم، ولو انه لم يصبح رياضياً لامعاً ونجا بنفسه بتلك الطريقة، مكوناً لنفسه ثروة كبرى، ثم تحول بعد ذلك إلى الصحافة، لربما كان أصبح مجرماً هو الآخر.»

ضحك نيكولاس: «اتظن ذلك؟ لا استطيع ان اتصور توم يقوم بنهب مصرف.»

«لا تكن واثقاً من ظنك هذا، فهو شجاع، ومستعد لتجربة أي شيء، ولديه عقل من النوع الذي يمكنه التخطيط للإجرام، فهو داهية سريع التفكير، قد حنكه الشارع واظن كان بإمكانه ان ينجح جداً في ميدان الجريمة.»

نظر نيكولاس إلى غاي بشيء من عدم التصديق: «ان طريقة تفكيرك يجعل الانسان يظن الإجرام عملاً سهلاً كأي عمل آخر.»

«في بعض نواحي لندن، هذا هو وضع الجريمة حتى ان بإمكانك ان تدعوها مهنة، ثم وكما يرينا توم في هذه المقالات، تتوارثها العائلات، فالناس ترث اعمال عائلاتهم التي لا يدفعون عليها ضريبة، وانما تجلب لهم مبالغ كبيرة من الأموال وذلك من الطرق غير المشروعة، ان توم يفهم تماماً اولئك الناس، فهو بإمكانه ان يجعلهم يفضون اليه بكل شيء، بينما الشرطة لا تستطيع ان تجعلهم يتحدثون، ونتيجة لاقتراحي اخذ يسلم مقالاته للشرطة قبل ان ننشرها نحن، وهم يدعون انهم يحققون في ادعاءاته هذه...»

قاطعه نيكولاس بازدراء: «حان لهم ان يفعلوا ذلك.»

لم تتغير ملامح غاي الجامدة وهو يقول: «نعم... حسناً... قد يكون توم مصيباً في اتهامه المبطن لكراهية الشرطة للعمل في هذا الشأن، من يعرف لماذا؟ هل هو الخوف؟ الرشوة؟ مهما كان السبب، فهذه العصابات مضى عليها وقت طويل وهي مزدهرة قادرة... دون محاولة جادة من الشرطة للقضاء عليهم، ولكن ليس هناك برهان على ان الشرطة كانت تتجاهلهم فقط... ولهذا عليّ ان اجعله يخفف من حدة تلميحاته إلى ذلك.»

اغلق غاي الملف ثم نهض واقفاً وقد بدا الجد على وجهه وهو ينظر في عيني نيكولاس: «وكما قلت، سأستغرب جداً إذا ما اخذ احد هذا إلى المحكمة، كلا، فإن ما يقلقني حقاً هو التهديد الخاص، الموجه نحو توم وإلى سنتنال.» سكت لحظة ثم أردف بلهجة خطيرة: «واليك انت، يا سيد كاسبيان.»

الفصل الثالث

ذهبت جينا إلى بيتها مبكرة ذلك المساء، فقد كانت دعتها إلى العشاء زوجة احد المدراء، فأرادت أن تستحم وترتدي ملابسها قبل ان تعود إلى الشمال من العاصمة حيث هايغيت التي هي احدى الضواحي القديمة والمليئة بالمنازل الجميلة الغالية الثمن بها الحدائق الغناء. كانت رحلة قصيرة بالسيارة ولكن زحام الشارع جعلها صعبة.

كانت المرأة التي تنظف لها البيت يومياً قد تركت لها البيت بالغ النظافة، كالعادة، ولكن رغم ان الشقة كانت تتألق وتفوح بشذا الأزهار في كل غرفة، هذا عدا عن رائحة الدهان المكون من شمع عسل النحل، رغم كل ذلك كانت جينا تشعر في هذه الليلة بالوحشة البالغة، ووقفت عند النافذة تنظر إلى تألق اضواء لندن، وهي تشعر وكأنها تعيش في القمر.

حاولت ان تشغل نفسها عن مشاعرها هذه فاتجهت إلى المطبخ حيث صنعت فنجاناً من الشاي بالليمون، ثم دخلت بعد ذلك إلى الحمام لتغتسل، وهي تفكر في نيكولاس، متذكرة وقد تملكها ألم مفاجيء، تحذير فوكنر له، كان فوكنر يتكلم بلهجة خطيرة، ولكن نيكولاس لم يفعل سوى ان قال ضاحكاً: «انني اتلقى تهديداً بالقتل مرة في الأسبوع تقريباً.» لقد سخر من ذلك، بينما اجفلت له جينا وتملكها الشعور بالخطر. مرة في الأسبوع؟ وشعرت وكأن ماءً بارداً ينساب في ظهرها، لا يحتاج الأمر سوى إلى واحد فقط من تلك التهديدات ليصبح خطيراً...

وكانت هي قد انفجرت قائلة: «الأمر ليس مضحكاً.» فالتفت نيكولاس اليها بحدة ناظراً في عينيها الخضراوين المتسعتين، وهو يقول: «خصوصاً اذا كنت انت احد اولئك الذين يحبون ان يروني ميتاً.»

فشحب وجه جينا إزاء لهجته المرة، ونظرته العدائية، بينما اجفل غاي لحظة سرعان ما ارتد بعدها إلى طبيعته من تلطيف المواضيع الحرجة، فقال: «اظن التهديدات المرسلة إلى توم يجب ان تؤخذ جدياً، فهو يعلم الكثير كما هو واضح، وحالياً اظن انه ينبغي ان يرسل إلى خارج لندن وقد يكون الأفضل ان نرسله في إجازة لمدة اسابيع، إلى ان تهمد هذه العاصفة.»

لقد أخذ نيكولاس يومىء برأسه قائلاً: «انني معك في هذا، فنحن لا نريده ان ينتهي رقماً في احصائيات الجرائم، انه مراسل ممتاز لا ينبغي لنا ان نخسره بهذا الشكل.»

وكان حينذاك قد وقف موضحاً بذلك ان المقابلة قد انتهت، وفهم غاي الإشارة فغادر المكتب. لقد غادرت جينا المكان في أثره دون ان تلقظر إلى الخلف، إذ لم تكن ثمة فائدة من التحدث مع نيكولاس، وكيف تطلب منه ان يكون لين الجانب مع هيزل وبييت بينما يكن لها مثل هذا الشعور العدائي؟

كانت قد أنهت حمامها، فتنهدت وخرجت من الحوض وارتدت معطف الحمام ثم خرجت متجهة إلى غرفتها.

كانت ما تزال ترتدي ثيابها حين سمعت جرس الباب يقرع، فجمدت في مكانها، انها تعرف الطارق، فهو لا يمكن ان يكون سواه، لأن نيكولاس هو الوحيد الذي يسكن هذا الطابق، فلو كان الطارق غريباً لاتصل بها البواب هاتفياً يخبرها.

عاد يدق الجرس مرة أخرى وبحدة، فبدا الارتباك على

جينا، واخذت تدور في انحاء الغرفة تبحث عن معطفها المنزلي، ثم احكمت لفه حولها وشد حزامه وهي تسرع نحو الممر.

كان نيكولاس إما خارجاً وإما قادماً من الخارج، اذ كان في كامل ملابسه، مرتدياً معطفاً من الكشمير الأسود ووشاحاً زيتوني اللون حول عنقه.

بينما كانت تنظر اليه كان هو يتأملها ببرودة، من رأسها حتى أخمص قدميها فأخذت ترتجف وهي تشد عليها معطفها، قال لها بحدة: «اتراني قاطعتك في عمل ما تقومين به؟» ومضت لحظة لم تفهم فيها بالضبط ما يعنيه بذلك، إلى ان فهمت فجأة فاحمر وجهها غضباً: «كنت أرتدي ثيابي.»

«بعد أي عمل؟» ألقى بهذا السؤال الساخر لاوياً شفتيه وهو ينظر إلى داخل الشقة وراءها ويتابع قائلاً: «من معك في الشقة؟»

كانت جينا ترتجف غضباً الآن، فقالت له: «ان نوع تفكيرك لا يتغير، هل لهذا جئت؟ لتهينني؟ انني لن أقف امامك لأستمع إلى مثل هذا الكلام، فليس لدي وقت، لأنني مستعجلة فأنا مدعوة إلى حفلة عشاء مع آل كالفيرت وعليّ ان اكون هناك السابعة والنصف.»

أرادت ان تغلق الباب، ولكنه وضع قدمه في الداخل يمنعه من الانغلاق، وقد احمر وجهه واخذ يتمتم دون ان ينظر في عينيها: «انتظري يا جينا، أنا آسف، فرؤيتي لك في ثيابك المنزلية بهذا الشكل... اتدركين ما هو مظهرك، شعرك المبتل وساقيك العاريتين، يا جينا؟ ما انا الا بشر... فمظهرك هذا يجعلني لا استطيع سوى الظن... حسناً، ما يدريني ان ليس لديك في الداخل شخصاً ما؟ فيليب سليد،

مثلاً؟ ماك كاميرون... انت دوماً تخرجين مع الرجال. من أين اتأكد من نوع علاقتك بهم؟ فأنت امرأة رائعة الجمال، وليس من الغريب ان تنشط مخيلتي إلى هذا الحد.»

قالت له وهي لا تكاد تستطيع التنفس جيداً: «حسناً، انني وحدي الآن، فهل تصدقيني ام تريد ان تفتش الشقة؟» وفتحت الباب على اتساعه، مشيرة اليه بغضب، ان يدخل، فقال: «انا اصدقك طبعاً.»

وقفت جينا امامه وهي ترتجف وقلبها يخفق بعنف، كانت عينا نيكولاس وصوته ينبئان عن رجل تعذبه الغيرة.

ثم همست تسأله: «ما الذي جاء بك إلى هنا يا نيكولاس؟»

«حسناً، انا لم آت إلى هنا لأهينك لقد كنت خارجاً للعشاء في السفارة الروسية، وإذا بي اتذكر حفلة هيزل، فأردت ان اعرف ما إذا كان كل شيء جاهزاً للحفلة.»

أجابته بلهجة متوترة: «نعم، كل شيء على ما يرام.»

«هذا حسن، فقد كنت من الانشغال بحيث لم تسنح لي فرصة للتحدث معك عن ذلك.» بدا على نيكولاس وكأنه سيذهب ولكنه لم يفعل، فقد كانت عيناه ما تزالان تحملقان فيها.

قالت بصوت أجش، شاعرة بنظراته تلك: «لقد راجعنا انا وروز كل التفاصيل فلا تقلق، فالحفلة ستسير بانضباط الساعة.»

قال لها فجأة: «تبدين مثيرة جداً في ملابسك هذه.»

فاحمر وجه جينا، وكان فمها من الجفاف بحيث لم تستطع ان تنطق بكلمة. فتمتم يقول هامساً: «جينا...»

تسارعت دقات قلبها، ولكنها حاولت ستر مشاعرها، فآخر ما كانت تريده هو ان يدرك نيكولاس مقدار تأثيره عليها، وهكذا ردت عليه بجفاء: «اذا كان لديك ما تقوله فأسرع.»

جذب نفساً سريعاً وقد توهج وجهه غضباً، ورأته جينا كذلك فأجفلت خوفاً، ولكنه ما لبث ان سيطر على مشاعره ولكن ملامحه بقيت متوترة. ثم قال بغلظة: «آسف، فقد نسيت كراهيتك لرؤيتي، انني ذاهب الآن، وحيث أنني سأكون خارج المكتب طوال صباح غد، سأراك في الحفلة.»

استدار ليذهب، وإذا بجينا تتذكر فجأة توسلات هيزل ولهفتها، فأمسكت بذراعه، «انتظر، يا نيكولاس.» فالتفت اليها يقول بسخرية: «ما الذي تريدينه الآن؟»

«أريد ان اتحدث اليك قبل ان تذهب، اذا منحتني لحظة من وقتك.» نظر اليها متفحصاً وقد ضاقت عيناه: «عن ماذا؟»

«لا استطيع الكلام عند الباب، ادخل لحظة واحدة ولن اعطلك.»

سادت لحظة صمت اخذ نيكولاس اثناءها يحدق فيها، وما لبث ان دخل دون ان ينطق بكلمة، وفي غرفة الجلوس واجهته جينا وقد شحب وجهها وبدت عليه إمارات التمرد، وهي ما زالت تشد معطفها المنزلي حولها.

اندفعت تقول: «انني اعلم ان استقالة هيزل وبييت قد سببت لك صدمة... وهذا طبيعي بعد ان بقي بييت يعمل معك سنوات طويلة، ولكن...»

قال لها وقد تجهم وجهه: «هل طلبا منك التحدث إليّ؟ لماذا لم يتحدثا معي بنفسهما؟ لماذا طلبا منك انت ذلك؟»

فقالت بهدوء: «اظنهما سبق وحاولا أليس ذلك يا نيكولاس؟»

وسكتت لحظة ثم تابعت تقول: «نيكولاس، ارجوك... الا يمكنك ان تفهم شعور بييت؟» كان صوتها رقيقاً ملاطفاً، ان عليها ان تحاول التأثير عليه لأجل هيزل: «انه يريد ان ينشيء شركة

خاصة به، ان يكون مستقلاً، ان يكون لديه شيء يتركه لأولاده، من المؤكد ان بامكانك ان تتفهم شعوره ذاك.»

فقال بغلظة: «ليس لدي أولاد.»

شعرت جينا بالرغبة في ضربه، ولكنها انفجرت تقول: «لا تكن مزعجاً بهذا الشكل، فأنت تعلم ما أعني، ان معاملتك لهما وكأنهما خائنان، يسبب لهما غاية الكآبة والكدر، وكأن ليس لديهما الحق في ان يبدآ عملاً لحسابهما...» وتذكرت ما كانت قالته هيزل، فقالت تكرره: «انك تتصرف وكأنهما عبدان هاربان.»

صرخ فيها نيكولاس ما جعلها تقفز من مكانها: «ماذا؟»

تراجعت خطوة إلى الخلف وهي ترتجف قائلة: «أعني... ان بييت قد عمل عندك سنوات طويلة...»

«ولكنني كنت ادفع له راتباً جيداً جداً، والعبيد لا يأخذون راتباً كهذا.»

رأت انها اصابت منه وتراً حساساً، فقالت بصوت أبح: «أنا لم اقل انك عاملته كعبد وهو يشتغل عندك، ولكن... آه، يا نيكولاس، ألا يمكنك ان تكون اكثر تفهماً؟ هل تحب ان تمضي حياتك بأكملها تشتغل عند شخص آخر؟ ان مؤسسة كاسبيان الدولية تهمك اكثر من أي شيء آخر في العالم، لذا، لا ينبغي لبييت ان ينشيء شركة يمكنه ان يزهو بها هو الآخر؟»

أخذ نيكولاس يحدق اليها وقد بدت الخشونة في ملامحه، وإذا به يستدير فجأة ثم يخطو متجهاً نحو الباب الأمامي، وتبعته جينا ببطء. لقد رفض الاستماع إليها... وهو لن يصفح عن بييت وهيزل، ومحاولاتها ان تجعله يتفهم الأمر لم تكن سوى مضيعة لوقتها وطاقتها.

وقبل ان تصل إلى الباب، كان هو قد خرج وصفقه خلفه، تدفقت الدموع من عينيها، فاتكأت إلى الجدار وهي ترتجف، محاولة استعادة السيطرة على اعصابها، ولكن كان عليها ان تتمالك نفسها وتكمل ارتداء ثيابها لكي تذهب إلى الحفلة. وطوال الطريق إلى هناك كان التفكير في نيكولاس لا يبارحها، رغم جهدها في نبذه من ذهنها.

كانت حفلة العشاء أكبر مما كانت تتوقع، ولكنها كانت تعرف اكثر المدعوين، والذي كان بعضهم افراداً في مجلس الإدارة في سنتنال، وكذلك نساؤهم كانت قد تعرفت إليهم في مناسبات كهذه.

كان تيري كالفيرت، صاحب المنزل رجلاً اصلع قصير القامة ذا عينين باسمتين، وقد عرفها برجل لم تعرفه من قبل، أدركت فيما بعد، انه دعي خصيصاً ليكون رفيقها في الحفلة، وقد عرفهما تيري كالفيرت ببعضهما البعض قائلاً: «هذه المخلوقة الرائعة هي جينا تيريل، يا مارك، جينا هذا مارك كالفيرت ابن أخي، مارك هو مدير منفذ في شركة العالم الجديد للاعلان.»

مدت جينا يده مصافحة وهي تكرر مترددة: «شركة العالم الجديد؟»

كان هذا رجلاً طويل القامة أسود العينين، صافحها وهو يقول: «لا ضرورة لمظهر الفزع هذا منك، فأنا لست مخلوقاً غير عادي.» وابتسم لها ممازحاً: «لقد جعلنا هذا الاسم مزيجاً من اسمين لشركتين دمجناهما معاً، وهما شركة آدمان الجديدة وشركة الشحن العالمية. فاستخرجنا من الاسمين اسم الشركة الموحدة وهو شركة العالم الجديد.»

جذبها يجلسها بجانبه على الأريكة التي كان يجلس عليها، «والآن حدثيني بكل شيء عن نفسك، لقد فهمت من عمي انك زميلة له في مجلس الإدارة.»

«هذا صحيح.»

أخذ يتأملها باهتمام، ثم قال: «يجب ان أقول انه لا يبدو عليك انك مديرة شركة.»

قالت بشيء من الضيق: «ليس أفراد مجلس الإدارة متشابهين في الخلق.»

«آسف، كنت اتظاهر باللباقة ليس إلا، ويمكنك ان تضربيني، إذا شئت.» ومنحها ابتسامة ظريفة، فلم تستطع جينا ان تمنع نفسها من الابتسام، فقد كان لديه عينان جميلتان، فقالت له: «حذار، فقد استجيب لما عرضته عليّ.»

مال بحدة نحوها لتضربه، ولكنها تراجعت ضاحكة، وكان ذلك في نفس الوقت الذي دعتهما فيه صاحبة المنزل إلى المائدة، أمسك مارك ذراع جينا. قال لها وهو ينظر اليها بعينين براقتين: «لقد اجلسونا معاً، وكما لا شك لاحظت، فنحن الاثنين الوحيدين تحت الخمسين اللذين غير متزوجين.»

بعد ذلك بلحظة، اخذت جينا تنظر حول المائدة حيث ادركت ان كلامه كان صحيحاً، فغمز لها مارك بعينه، يسألها: «هل لديك نفس شعوري؟ وهو اننا ضحايا لوساطة زواج؟»

تظاهرت جينا بأنها اعتبرت ذلك مجرد مزحة، فمنحته ابتسامة مشرقة، ثم غيرت الموضوع، ولكنها في الواقع، وهي تشعر بنظرات الرضا التي كانت ترمقها بها السيدة كالفيرت، تملكها ذلك الشعور تماماً، فقد طالما حدث هذا لها، فالأصدقاء والمعارف كانوا دوماً يحاولون العثور

على زوج مناسب لأجلها، لقد كانت أرملة وهذا ما جعل الناس يفترضون انها تبحث عن رجل تتزوجه، وكانت تجد ذلك مربكاً يثير الغيظ، خصوصاً عندما كانت تشعر بأن تحركاتهم لم تكن حباً بها تماماً، وإنما لأنها كانت ورثت ثروة آل تيريل ما جعلها صيداً دسماً في سوق الزواج.

لكن بالنسبة إلى مارك كالفيرت، على الأقل، كان هذا غير صحيح، فقد كانت اسرته بالغة الثراء في الواقع، فهو ليس بحاجة إلى الزواج من أجل المال إذ كان سيرث املاكاً واسعة في الريف ومنزلاً فسيحاً، يوماً ما.

كان أول نوع من الطعام وضع امامهما، عبارة عن لحم بقر مهروس، وسرت جينا لانهاء هذا الحديث، اذ اصبح بإمكانها الآن ان تركز اهتمامها في الطعام بدلاً من الكلام.

قالت لمارك بعد الانتهاء من النوع الأول من الطعام: «انه لذيذ جداً... يا ليت بإمكاني أن أطهي مثله.»

فأومأ قائلاً: «نعم، كان جيداً في الحقيقة، ان امرأة عمي تتعامل مع مطعم للمنازل، انهم يحضرون الطعام إلى منزلك ويطهونه ويقدمونه، ثم يغسلون الأطباق بعد ذلك، وهكذا كل ما عليك ان تفعليه هو الاستمتاع بالسهرة، وهذا يجعل إقامة حفلات العشاء سهلة للغاية.»

فقالت جينا وكذلك بعض النسوة اللاتي كن يستمعن اليه، انها تريد ان تحصل على رقم هاتف ذلك المطعم.

كان الحديث معظم ذلك المساء، واسعاً شاملاً، من آخر الافلام السينمائية المعروضة، إلى آخر تقرير عن الجو. وكانوا يشربون القهوة عندما قال شخص ما: «لقد ذهبت هذا الصباح لزيارة ديرموت.»

سكت الجميع عن الكلام وهم يتبادلون نظرات الحذر ما جعل جينا ترى على الفور انهم جميعاً يعلمون بمؤامرة ديرموت على نيكولاس، لم يكن يريد احد ان يتكلم عن ذلك، خوفاً من امكانية حدوث شيء... ومع ذلك كانوا جميعاً يتلهفون للحديث عنه، كما ادركت مما بدا على ملامحهم، وربما كانوا تحدثوا لولا وجودها بينهم، ومالبث تيري كالفيرت ان غير الموضوع، وعادت الأحاديث القصيرة المهذبة مرة أخرى، وبعد ذلك لم يأت احد على ذكر أي شيء يتعلق بمؤسسة كاسبيان الدولية.

رغم ان مارك كاليفرت كان رفيقاً مسلياً مليئاً بالحيوية، إلا ان جينا غادرت الحفلة مبكرة، واثقة من انها ما ان تصبح خارج المنزل حتى يعود الرجال إلى الحديث عن موضوع السير ديرموت والمؤامرة لإزاحة نيكولاس من سنتنال.

جعلت هذه الحادثة الغريبة جينا تشعر بضيق بالغ، ما الذي يخطط له السير ديرموت بالضبط؟ أتراه اخبرها بالحقيقة كاملة؟ ام انه يخفي عنها أشياء أخرى؟ واذا كان هذا، فما هي تلك الأشياء؟

في اليوم التالي لم تر نيكولاس طوال الصباح، فقد كان خارج المكتب، كما كان اخبرها، وذلك إلى ما بعد الغداء، وعندما عاد، تعاقب عليه بعض مدراء تنفيذ الأعمال.

ذهبت جينا من العمل إلى فندق باربري وارف مباشرة، وذلك عند الساعة السادسة، مع هيزل والتي كانت محملة بهدايا الاصدقاء والمعارف والتي توافدت عليها طوال النهار، وغيرت المرأتان ملابسهما في الغرفة التي كانت جينا حجزتها في الفندق لقضاء الليلة.

عندما ابتدأت الحفلة، ذهلت جينا وهي ترى توم بيرني

يدخل القاعة مع بعض اصدقائه من غرفة الأخبار. فقالت له: «كنت اظنك سافرت لتبتعد عن المكان عدة اسابيع؟»

فقال لها مبتسماً: «آه، لقد كان غاي متشائماً قليلاً، فليس هناك ما يدعو إلى القلق... وما كان له ان يحمل ذلك التهديد على محمل الجد، فهو غالباً مجرد خداع، هم يريدون اخافتي لكي يخرسوني عن الكلام، ولكنهم لن يرسلوا من يمحوني من الوجود، فلا تقلقي.» ثم انفجر ضاحكاً.

اخذت جينا تحملق فيه، لم يكن يبدو عليه قط انه رجل محكوم عليه بالموت، فقد كان يأخذ الأمور بخفة بالغة، ولكن جينا لم تستطع ان تمنع نفسها من الشعور بالخوف هذه المرة وذلك لأن الرجال الذين أثار غضبهم كانوا اكثر خطراً بكثير. وبالنسبة إلى مقالاته، كان هؤلاء الرجال قد سبق واقترفوا جرائم قتل من قبل وليس ثمة ما يمنع من اقترافهم جريمة أخرى.

فقالت له ضارعة: «توم، ارجوك... انتبه لنفسك.»

وكانت صوفي وفاليري قد أمضتا مدة طويلة في عداء متحكم في تنافسها على جيب كولينوود ولكنهما اصبحتا الآن احسن صديقتين.

أوما وهو ما زال يضحك: «حسناً، لن أسير في أنحاء الحي الشرقي بعد الغروب، اعدك بذلك، فأنا سأتخذ الاحتياطات اللازمة، عفواً يا جينا، فأنا أريد ان احيي هيزل وأمنحها الهدية التي احضرتها اليها.»

سار مبتعداً وهو ما زال يبتسم، بينما اخذت جينا تحدق في أثره وقد بدا القلق الشديد على وجهها.

«نصف الألف خمسمئة، يا جينا.»

جعلها صوت بييت الضاحك هذا تقفز من مكانها ثم تلتفت بسرعة وهي تبتسم: «ما اجمل ان أراك، يا بييت، انك تبدو بصحة جيدة، كالعادة... انه ذلك الهواء النقي الذي تتنشقه، كما اظن، ما رأيك بمظهر هيزل؟»

«انها رائعة الجمال.» قال ذلك ببساطة وهو ينظر إلى زوجته في آخر القاعة، والتي كانت الآن تفتح هدية توم ثم تهتف فرحاً وهي ترى ملابس طفل ذات لون اصفر باهت، ثم يتابع قوله: «ان الحمل يناسبها.»

قالت جينا لاوية شفتيها: «تبدو عليك الدهشة لهذا.»

فضحك هازئاً من نفسه: «اظنني كذلك، لم اكن أريدها ان تحمل، ولكنني اغير رأيي يوماً بعد يوم، وانا الآن اتطلع بشوق إلى اليوم الذي اصبح فيه أباً.»

فابتسمت له قائلة: «انك لا تعرف كم احسدكما، انتما الاثنين.»

بدا الجد على وجه بييت، وقال وهو ينحني ناظراً إلى وجهها برقة بالغة: «هذا سيحدث لك يوماً ما، وقريباً يا جينا.» وتردد قليلاً ثم اضاف يقول: «ظنت... انكما انت ونيكولاس... ربما...»

فاحمر وجهها: «كلا.»

تنهد قائلاً: «كلا، ان هيزل تقول انك لن تغفري له ما تسبب به للسير جورج، وهذا يبدو لي محزناً، فقد كنت دوماً أراكما متلائمين تماماً.»

التهبت عيناها: «ارجوك يا بييت، لا أحب الحديث في هذا الموضوع، حدثني عن بيتك الجديد في مدينة ميدلبورغ، هل هو قريب من بيت شقيقتك؟»

فأوما قائلاً: «انه قريب جداً، لقد أردته كذلك لأنني دائم

الأسفار، وستكون هيزل وحدها مع الطفل. فإذا كانت أختي قريبة منها، فهي ستسهل أمورها.»

«هذا رأي حكيم تماماً، انني اعرف ان هيزل تحب اختك وأسرتها كثيراً.»

قال بييت: «لم يكن من السهل بالنسبة الينا نحن الاثنين، ان نبقى مفترقين منذ تزوجنا، كنت اتمنى لو كنت معها طوال مدة حملها، فقد فاتني الكثير ببقائي في هولندا بينما هي هنا.»

«لا بأس فعندما تحمل بالطفل الثاني يمكنك ان تبقى معها طوال الوقت.»

اتسعت عينا بييت الزرقاوان برعب: «الطفل الثاني؟ لا أراك تظنينها، ستنجب طفلاً ثانياً قبل مرور سنوات، أليس كذلك؟»

قالت جينا ضاحكة لما بدا على وجهه: «لا تسألني بل اسأل هيزل، ولكنني اظن هذا الطفل سيشغلها عن التفكير في طفل آخر لمدة طويلة.»

تنهد قائلاً: «حسناً، هذا ما أرجوه، لقد كانت هيزل اقنعتني بان من السهل ان نعمل معاً، ونراقب الطفل في نفس الوقت، ولكن إذا انجبنا المزيد، فستتعقد أمورنا.» وسكت لحظة، ثم سألها: «هل اخبرتك بأنها عندما ذهبت إلى آخر فحص عند الطبيب، سألها ان كانت تريد ان تعرف جنس الطفل، فرفضت ذلك؟»

أومأت جينا قائلة: «انها تفضل ان تنتظر معرفة ذلك عند الولادة فقط.»

فهز بييت رأسه بجفاء: «النساء غريبات الطباع، لو كنت مكانها لتهفت إلى معرفة ذلك، وأنا أكاد اموت لهفة لمعرفة ما إذا كان ذكراً ام انثى.»

«ولكن هيزل لن تنجب قبل شهرين، ولذلك لا تريد ان تعلم

جنس الطفل قبل الولادة، ذلك ان الجهل يجعل الانتظار اسهل، إذ يزيد من شوقها، وهذا اشبه بفتح هدية العيد قبل يوم العيد، فهذا يفسد بهجة العيد نفسه.»

ابتسم قائلاً: «حسناً، متى جاء الطفل، أرجو ان تأتي الينا لتريه، سواء كان ولداً ام بنتاً، انني اعلم ان هيزل، ستفتقدك فابقي على اتصال معها، ارجوك يا جينا.»

«سأفعل هذا طبعاً.»

«شكراً.» وبدا الحزن في عيني بييت: «اتمنى لو نفترق نحن ونيكولاس بمودة، ولكنني اقترفت في نظرة غلطة لا تغتفر، وذلك لأنني هجرته.»

«لقد تحدثت معه أمس، يا بييت، ولكن املي ليس كبيراً في اقتناعه.»

فأومأ بييت برأسه عابساً: «كان هذا عملاً جيداً جداً منك، يا جينا، فشكراً لك، ولا يدهشني ان اعلم بأنه لم يقتنع، ذلك ان نيكولاس لا يقبل الرفض بسهولة، وهو لا يصفح عن أي شخص يهجره.»

قالت جينا بهدوء: «هذا بسبب طفولته.»

أومأ بييت بابتسامة عابسة وهو يقول: «هل استنتجت ذلك؟ انها فطنة بالغة منك، يا جينا، ذلك طبعاً مدفون في اعماق عقله الباطن حتى دون وعي منه... ولكن والدي نيكولاس جعلا لديه حساسية بالغة إزاء أي رفض له يبدر من احد، مهما كان سبب هذا الرفض تافهاً، وهذا ما جعله يصر على الفوز بما يريد، ولهذا بعض نتائج جنون العظمة هذه كانت مربحة للغاية.»

وضحك بييت بشيء من المرارة، فقالت جينا: «وهذا أيضاً يجعل فكرة ثابتة تستحوذ عليه، وهو أمر مخيف.»

أخذ بييت ينظر إليها مقطباً جبينه: «كنت احياناً أفكر في انه لو وجد المرأة المناسبة، فقد يهمد الغضب النفسي الكامن في اعماقه، اظن ما نيكولاس بحاجة إليه هو ان يكون محبوباً، إذ انه لم يحبه احد في طفولته.»

فقالت معترضة: «لقد احبته أمه وما زالت.»

«آه، نعم، اظنك قابلتها فقد ذكر نيكولاس مرة انك ذاهبة معه في احدى رحلاته إلى سان فرانسيسكو، لقد رأيت ذلك المنزل غير العادي الذي تعيش فيه، لقد كان المهندس نابغة ولكنه على شيء من الجنون، كما اظن، ولا أعني ان هذا ينقص أي شيء من عمله، فأنا اعرف بعض المهندسين الكاملي العقل والذين اعمالهم خالية من اي احساس أو معنى، والآن ما رأيك في والدة نيكولاس السيدة كاسبيان؟»

«لقد احببتها، وأنت؟»

«انها حلوة الشخصية، ورائعة الجمال حتى في هذه السن، وليس كثيرات من النساء الجميلات يمكنهن الاحتفاظ بجمالهن حتى هذه السن.»

قالت جينا: «كما ان نيكولاس شغوف بها، فجنون العظمة عنده لا يتصل بها، وهو لا يلومها لطفولته الحزينة، فهو يدرك ان والده هو الذي استخدم امواله ونفوذه لكي يسلخه عنها، وقد جاهدت هي طويلاً للاحتفاظ به، كما تعلم، فهي لم تتنازل عنه بسهولة.»

«هذا صحيح، ولكنها في النهاية، تخلت عنه، لا تنسي هذا، قد يعلم نيكولاس بعقله الواعي بأنه لم يكن امامها خيار آخر، ولكن هل يعلم عقله الباطن بهذا، فذلك الجزء منه والذي مازال طفلاً، لا يتذكر سوى انها ابعدته عنها، وان

والده أرسله إلى مدرسة داخلية حيث كان تعساً جداً، وليس ثمة من يهتم بما يحدث له.»

«ولكن كل ذلك كان منذ مدة طويلة.»

«الزمن لا يشفي على الدوام، حتى ولو ظهر جلد جديد على الجرح، فطفولة نيكولاس هي أشبه بجرح مدفون تحت جلده، فهو لا يرى من الظاهر، ولكن أقل لمسة له يسبب عودة الألم.»

كانت جينا تحدق في بييت وقد اذهلها مبلغ تفهمه لشعور نيكولاس، فنظر إليها وهو يبتسم ببطء: «وهكذا حذار من ان تمسي مشاعره، يا جينا.» قال ذلك في الوقت الذي حدثت فيه جلبة في القاعة، والتفت الجميع إلى الباب واذا بييت يتشنج جسمه وهو ينظر، قائلاً: «انه هنا، لقد كنت اخذت بالاعتقاد بأنه لن يأتي على الاطلاق.»

كانت جينا هي أيضاً قد بدأ الشك يتملكها بالنسبة إلى ذلك، فامتلأت عيناها ارتياحاً وهي ترى نيكولاس يقف في آخر القاعة مع هيزل.

كان نيكولاس في ملابس السهرة، وقد بدا رائعاً بقامته الفارعة وكتفيه العريضتين في سترته الأنيقة حسنة التفصيل، بدت هيزل متألقة وهو يبتسم لها، فقد جعل آخر يوم لها في الشركة أكثر سعادة، قدم إليها علبة ملفوفة بورق مذهب، ففتحتها هيزل، واذا بها تشهق وهي ترفع بصرها إليه تقول شيئاً وهي تلهث، وابتسم لها نيكولاس بينما تنهد بييت بارتياح وهو يقول: «حسناً، لقد صفح نيكولاس عن هيزل، على كل حال.»

دفعته جينا قليلاً: «اذهب انت إلى هناك وتحدث إليه... لا تضيع الفرصة.»

توجه بييت نحوهما متردداً في نفس الوقت الذي التفت

فيه نيكولاس حوله، فجمد بييت في مكانه وهو ينظر إلى نيكولاس وقد توتر وجهه الشاحب، فحدق نيكولاس إليه، وإذا به يبتسم فجأة.

اغرورقت عينا جينا بالدموع، ربما لن تعلم أبداً ما اذا كان حديثها إلى نيكولاس هو الذي كان له هذا التأثير عليه، ولكنها لم تهتم بذلك، كل ما يهمها هو أنه هنا الآن، وانه يبتسم لبييت، بعد ان عادا صديقين مرة أخرى.

أسرع بييت في سيره نحو نيكولاس، والذي تقدم لملاقاته في منتصف القاعة حيث عانقه بحرارة وهو يربت على ظهره، قائلاً: «اتمنى لك حظاً سعيداً، انني سأفتقدك تباً لك، ولكن حظاً سعيداً على كل حال.»

تقدمت جينا تنضم اليهم، ومنحتها هيزل ابتسامة مرتجفة وهي تقول: «انظري ماذا احضر لي نيكولاس...»

«آه، ما أجمله.»

لم يشتر نيكولاس لهيزل ملابس للطفل، أو اشياء للبيت، كما فعل الآخرون، وانما اهداها علبة مخملية صغيرة بداخلها حلية ماسية تتألق بلون هو بين الأبيض والأزرق، وقد علقت بسلسلة ذهبية، ومعها قرطان ماسيان ملائمان.

ثم قالت هيزل بطبعها العملي: «يجب ان أؤمن عليها قبل التحلي بها.»

نظرت جينا إلى الساعة: «والآن، ما دام نيكولاس هنا، أليس علينا ان نطلب إليهم افتتاح المقصف؟ سأشير إلى رئيس الندل بذلك.»

كانت قد سبق ووضعت ترتيبات الجلوس إلى المائدة، فوضعت نيكولاس على نفس المائدة بجانبها، وكذلك بييت

وهيزل وعدداً من كبار الموظفين، اما الآخرون فعليهم ان يقفوا في الصف لكي يحصلوا على طعامهم، ولكن المائدة الرئيسية يجب ان يخدمها الندل، ذلك ان جينا لم تستطع ان تتصور نيكولاس يقف في الصف لكي يحصل على طبق يحتوي على دجاج وسلطة، وكذلك وقوف هيزل أية مدة، ببطنها المنتفخ ذاك، ولكن كان لنيكولاس رأي آخر، كما اكتشفت بعد ذلك بلحظات، وهم يتقدمون نحو المائدة والتي وضع أمام كل كرسي بطاقة أنيقة كتب عليها بخط اليد اسم صاحبها.

فقد قال ببرودة وهو يجذب الكرسي إلى قربه: «ان كوليت ستجلس معي.» متجاهلاً البطاقة التي تحمل اسم جينا والموضوعة امام الكرسي ذاك... وفي تلك اللحظة فقط، أدركت جينا ان كوليت تسي كانت بصحبته.

نظرت هيزل إلى جينا مجفلة متسائلة، وقد بدا وكأنها لا تعرف ما تقول.

قال بييت بسرعة: «الأماكن كلها منظمة يا نيكولاس، فإذا كانت كوليت ستجلس في هذا المكان يتحتم على صاحبه ان يبحث عن مكان آخر.»

قال نيكولاس دون اهتمام: «فليبحث صاحبه إذن عن مكان آخر.»

كل من كان مكانه عند المائدة وقف مرتبكاً حائراً، ما عدا كوليت.

كانت عيناها اللوزيتان السوداوان تلتمعان وهي تجلس دون اي حرج أو تردد، وسكب لها نيكولاس كوباً من العصير وسكب لنفسه مثله، ثم امال كوبه يمس به كوبها بتحية حميمة صامتة.

استدارت جينا مبتعدة لا تكاد ترى ما امامها، وهي تسمع صوت هيزل خلفها يناديها بقلق: «جينا.» ولكنها تجاهلته كانت لها كرامتها، وهي لن تسمح لنيكولاس بأن يذلها ثم يفلت دون عقاب.

سمعت همساً يدور وأحست بالقوم يحدقون اليها وقد ادركوا ان شيئاً غير عادي قد حدث عند المائدة الرئيسية. وتمنت جينا لو ان الأرض تنشق وتبتلعها، ويا ليتها فقط تستطيع ان تهرب من هذا المكان، وإذا بشخص يعترض طريقها، فحاولت ان تتجنبه متمتمة: «آسفة.» دون ان ترفع بصرها اليه، ولكن يدين امسكتا بذراعيها تمنعانها من الافلات حين حاولت ذلك.

رفعت نظرها، وكانت عيناها الخضراوان الكبيرتان تتألقان بدموع لم تنهمر: «آه.، توم...»

«هل أنت قادمة لتجلسي معنا، نحن العمال؟ ما اجمل هذا، انها عادة آل تيريل. لم يكن السير جورج تيريل ليأنف من خلع سترته، رفع كمي قميصه ومساعدة الطابعين في عملهم ايام كانت الصحيفة في مبناها القديم في شارع فليت ستريت، هيا اجلسي معي فقد احضرت لك طبق طعام.»

تعمد توم ان يقول ذلك ببشاشة وصوت مرتفع ليسمعه كل شخص فتمتمت جينا شاكرة وقد تركته يجرها إلى احدى الموائد، بينما عشرات الأزواج من الأعين تنظر إليهما، وعندما جلست، جاء دانيال وروز حاملين طبقيهما منتقلين من مائدة اخرى ليجلسا معها ومع توم، همست روز تسألها وقد بدا الاهتمام البالغ على وجهها: «هل انت بخير؟»

قالت جينا وهي تبتسم: «في أحسن حال.»

«ما السبب في كل ما حدث؟»

أجاب توم عنها: «لقد فضلت جينا الجلوس معنا.» فبادلته روز النظرات، ثم قالت بابتسامة بطيئة جافة: «هذا تصرف حكيم منها، فمجلسنا أكثر أنساً وبهجة.»

وكان دانيال قد ملأ كوباً من المياه المعدنية وضعه في يد جينا وهو يربت على يدها بعطف، قائلاً بالفرنسية: «هذا هو الشراب الذي تحبينه، يا عزيزتي.»

فعاد إلى نفسها شيء من الدفء، ان لديها اصدقاء طيبين على الأقل. فشربت نصف الكوب بينما كان الآخرون يتحدثون حولها، وبعد عدة دقائق، اصبح بامكانها مشاركتهم الحديث والضحك لنكات توم، وابداء اعجابها بأناقة روز وسؤال دانيال عن الريبورتاج الذي كانت قرأته هذا الصباح في صفحة الشؤون الأجنبية، اخذت تتحدث وقد بدا عليها التألق، بينما عيناها تلتمعان... واذا كان مرحها البادي محموماً بعض الشيء، فإن احداً لم يشر إلى هذا أو حتى بدا عليه ملاحظة ذلك.

الفصل الرابع

غادر نيكولاس لندن الى لكسمبورغ في اليوم التالي، وقد اكتشفت جينا ذلك عندما ذهبت إلى العمل عند الصباح، فجلست الى مكتبها ساخطة. فقد كانت اعدت نفسها واستجمعت كل غضبها استعداداً لمواجهة تصفية الحساب بينها وبينه، ولكن ها هي ذي الآن لا تدري ماذا تفعل بكل تلك الثورة.

وفيما بعد، وهي تجلس الى الغداء في مطعم بيير مع روز، قالت هذه لها وهي تضحك: «لقد هرب إذن.»

أجفلت جينا وقالت وهي تحملق فيها: «أتظنين هذا؟»

«لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة. حسناً، حسناً... إن نيكولاس كاسبيان يهرب من المواجهة معك.» سكتت روز لحظة تتأملها مفكرة، ثم تابعت تقول: «أتعرفين ماذا؟ إن الرجل يخاف منك. بماذا يجعلك هذا تشعرين؟»

«بعدم التصديق.» ولم تستطع جينا إلا أن تضحك لهذه الفكرة. وهزت رأسها: «كلا، لا استطيع تصديق ذلك. نيكولاس يخاف مني؟ هذا غير معقول.»

قالت روز توافقها: «ربما غير معقول كما تقولين. ولكن أظنني على صواب فهو لم يذكر من قبل إنه سيسافر إلى لكسمبورغ أليس كذلك؟»

فقالت جينا: «إنه دوماً يسافر إلى هناك لأي سبب كان. وهو يمضي في لكسمبورغ من الوقت اكثر مما يمضيه في أي مكان آخر. ذلك أنه المركز الرئيسي، فمؤسسته تدار من

هناك، وهي المحور الذي تنطلق منه كل اعماله، خصوصاً شؤون مؤسسة كاسبيان الدولية المالية ونيكولاس حريص جداً على مراقبة ذلك بكل دقة.»

«لقد أمضى في لندن السنة الماضية من الوقت اكثر مما أمضى في أي مكان آخر، وهذا ليس فقط من باب العناية بشؤون باربري وارف أو صحيفة سنتنال. إن نيكولاس يقيم هنا لأجلك يا جينا، وأنت تعلمين ذلك.»

توهج وجه جينا غضباً: «آه، أحقاً؟ لماذا إذن تصرفه ذاك مع كوليت تسي؟»

«آه، أليس هذا واضحاً، يا جينا؟ إنه يريدك أن تشعري بالغيرة، وقد نجح في هذا، أليس كذلك؟»

ازداد احمرار وجهها وقالت منكرة بغضب بالغ: «كلا، إنه لم ينجح. أنا أغار، لا بد انك تمزحين.» وأطلقت ضحكة مصطنعة، ولكنها لم تفلح في اقناع روز كما رأت من نظرات هذه الساخرة فتمتمت تقول بعناد: «لا اهتم مثقال ذرة بعدد النساء التي يعرفها. إن كل ما اهتم به هو سنتنال، وأنا اكره ما يفعله بها. يجب ان يوقف عند حده.»

كان هذا هو التفكير الغالب في ذهنها عندما ذهبت، بعد ذلك بعدة ايام، لتزور السير ديرموت والذي عاد إلى بيته الآن وساقه في الجبس. وكان يبدو في صحة أفضل كثيراً مما كانت رأته آخر مرة، كما قالت له.

فقال باسماً: «نعم، أشعر الآن بتحسن كبير. ولكنني سأقوم برحلة الى شواطىء البحر الكاريبي لقضاء عدة أسابيع في الشمس... إن هذا ما أنا بحاجة إليه في الحقيقة... أشعة الشمس. سأستلقي على مقعد على ضفاف البحيرة وأنسى كل شيء.»

«ومتى ستعود؟»

«لم أقرر بعد. ربما في منتصف فبراير.»

«ولكن... متى تظن أن بإمكانك أن تكون جاهزاً لبدء الهجوم على نيكولاس كاسبيان.»

نظر إليها السير ديرموت بدهاء، ثم مال نحوها يربت على يدها بحنان أبوي، وهو يقول: «لقد سمعت بما حدث في حفلة وداع هيزل وغضبك لذلك لا يدهشني فقد كان ذلك شيئاً فاضحاً محزناً. وكذلك متعمداً دون شك، وأظنه يريد بذلك أن يخرجك من الصحيفة. فأنت آخر فرد من أسرة تيريل في مجلس الادارة، وفي الشركة. فنيكولاس، بطبيعة الحال، يريد التخلص منك وذلك بإذلالك أمام الناس ما يجعلك تستقيلين من العمل في الحال.»

لم يكن هذا قد خطر في بال جينا، فقطبت حاجبيها محدقة في وجهه: «كلا، لا أظن ذلك.»

«لماذا إذن تصرفه ذاك الخالي من الذوق، يا عزيزتي؟ لا بد أن عمله ذاك أمام الناس كان بدافع ما.»

فقالت ببطء وهي تعض شفتها: «نعم.» لقد كان ما دفع نيكولاس لذلك، في رأيها، هو أنه كان يريد أن يؤلمها.

قال السير ديرموت بسرور واضح: «هذا، على الأقل، يعني أنك بجانبنا مئة بالمئة. لا تقلقي ففي اجتماع مجلس الإدارة التالي، في منتصف شهر فبراير، سنوجه إليه الضربة قبل أن تخطر له أدنى فكرة عما يجري. عندما أعود من رحلتي سأقيم حفلة عشاء حيث سنناقش جميعاً خطتنا، فإلى ذلك الحين، تذرعي بالصبر، يا عزيزتي جينا.»

جاهدت في أن تبتسم قائلة: «لا بأس، يا سير ديرموت.»

ألقت نظرة على الساعة، لكي تخرج، ولكن السير ديرموت عاد إلى الكلام وقد بدا الفضول والتسلية في ملامحه: «أخبريني عن تلك الفتاة الصينية يقولون إنها جميلة حقاً. منذ متى ابتدأت علاقته بها؟ لم اسمع بذلك ولو همسة رغم ان مراجعي جيدة جداً.»

قالت جينا بصوت متوتر حذر: «لا أعلم شيئاً عن ذلك، ولا أريد أن أعلم.»

ولم يكن هذا صحيحاً، طبعاً. فقد كان الفضول المر يأكلها، ولكنها تفضل الموت على الاعتراف بذلك لأحد، رغم أنه لم يكن هناك من يجرؤ على ذكر ذلك.

وإذ كانت جينا تسير في ساحة بلازا، في اليوم التالي، سمعت من ينطق بإسم نيكولاس، فأجفلت وهي ترى من زاوية عينيها فتاتين واقفتين أمام مطعم ترولي تنظران إلى الطعام المعروض في الواجهة فوقفت جينا خلف شجرة وارفة وهي تنحني متظاهرة بشد رباط حذائها.

«هل صحيح أنه أخذ معه كوليت تسي؟» كانت الفتاة الشقراء الصغيرة الحجم تسأل بشيء من غياب الذهن إذ كان اهتمامها الحقيقي منحصراً في السلطات المعروضة.

«تعجبني سلطة السمك عندهم، إنها منخفضة الحراريات ولكنها لذيذة جداً يا مورين.»

«كلا، سأطلب لنفسي جبناً ومخللات وتباً للحراريات.» قالت الفتاة الأخرى ذلك وكانت سمراء ممتلئة عرفت جينا فيها إحدى فتيات مركز السكرتارية.

«هل عدت إلى اهمال «الريجيم» مرة أخرى، يا مورين؟ أين هي ارادتك؟»

ردت عليها مورين بحدة وتمرد: «إن الجو بارد وأنا أكاد اموت جوعاً. وعلى كل حال، كنت عملت في دائرة المحاسبة هذا الصباح إذ أن تلك الفتاة الصغيرة السمراء في اجازة مرضية، وهي ذات الشعر الطويل والاسنان الكبيرة.»

«جينيفر؟»

«كلا، بل جانيت. حسناً، إنني أقوم بعملها إلى حين عودتها، وسأخبرك ببعض ما يكتبه أولئك المراسلون من أمور محيرة... على كل حال المكتب بأجمعه كان يتحدث عن نيكولاس كاسبيان وكوليت تسي، وروزي لويد تقول... إنك تعرفين روزي...»

«لا أظن ذلك.»

«بل تعرفينها! فهي تجعد شعرها بنفسها وحالما تنزل قطرة مطر يفسد كل ذلك.»

«ما زلت لا اتذكرها.»

«لا تكوني غبية، يا كاي، فقد حدث جدال بينك وبينها في الكانيتن لأجل قطعة سلمون في الاسبوع الماضي.»

«آه، أتلك هي، لم أكن أعرف أن اسمها روزي.»

«نعم، حسناً، إنها تقول إن كوليت قد اتصلت هاتفياً من لكسمبورغ لتقول إنها في عمل رسمي، وستتأخر مدة أسبوع، وهذا ليس جزءاً من عطلتها، حسناً، الأمر واضح، أليس كذلك يا كاي؟ فهو هناك وكذلك هي! انك لست بحاجة إلى أن تكوني شارلوك هولمز لكي تستنتجي ما هناك، أليس كذلك؟»

فقالت الفتاة الشقراء وهي تضحك بصوت خافت: «أعجبني وصفها لرحلتها تلك بأنها رحلة عمل رسمي.»

«ربما هو يرى ذلك جزءاً من عملها. يبدو وكأنه غاية في القسوة وهو يستغل الفتيات دون أن يطرف له جفن.»

قالت مورين ضاحكة: «هيا، دعينا ندخل لنأكل شيئاً.»

ثم دخلتا إلى المطعم، بينما استقامت جينا واقفة ثم سارت ببطء وقد تملكها اضطراب هائل. هل أخذ نيكولاس معه كوليت إلى لكسمبورغ؟

كانت تتحرك كإنسان آلي وهي تستقل المصعد إلى مكتبها حيث يمكنها الانفراد بنفسها إذ أن صوفي كانت خرجت في فرصة الغداء ولن تعود قبل نصف ساعة على الأقل.

أغلقت الباب ثم اغمضت عينيها... أواه... نيكولاس مع كوليت... واعتصر قلبها الألم، وتملكها حزن هائل.

أخذت تحدث نفسها آمرة بأن تكف عن التفكير والتصورات هذه. ولكن تلك الصورة لم تبارح خيالها ذلك ان تصورها نيكولاس وهو يغازل كوليت كان شيئاً لا يمكنها احتماله.

أخذت تحدث نفسها بسرعة بأن تفكر في شيء آخر، ولكن أفكارها كانت تدور في حلقة مفرغة. ما الذي جعلها تعرف ذلك بتلك الطريقة، باستراق السمع لحديث فتاتين لا تعرفهما بسوى الرؤية.

من الآن فصاعداً عليها ان تحذر من العيون المتلصصة، العيون الفضولية حتى من أولئك الأصدقاء الذين يحبونها ويهتمون بما يحدث لها.

تباً لنيكولاس كاسبيان، منذ الآن فصاعداً ستسير مع السير ديرموت وشركائه في المؤامرة. كم هي متلهفة لرؤية وجه نيكولاس عندما تنفجر القنبلة تحته.

بعد ذلك بأيام قليلة، تلقت اتصالاً هاتفياً من سكرتيرته

في لكسمبورغ بأنه في طريقه عائداً إلى لندن، ولكن قبل وصول طائرته، جاءت رسالة أخرى ولكن إلى نيكولاس هذه المرة.

تلقتها صوفي عندما كانت جينا في الخارج، فتملكتها حيرة بالغة تقرب من الذعر، إلى أن دخلت جينا بعد الغداء.

فهتفت تقول: «آه، ها قد جئت أخيراً.» وكانت لهجتها من الانفعال بحيث جعلت جينا تشعر بالخوف: «لماذا؟ ما الذي حدث؟»

«كنت أحاول الاتصال بك، اتصلت بروز فأخبرتني بأنك تتسوقين...»

سألتها جينا: «لماذا كنت تبحثين عني، وماذا حدث؟»

«تلقيت رسالة منذ نصف ساعة تقول إن السيدة كاسبيان ستصل إلى مطار لندن الساعة الرابعة وتسأل عما إذا كان نيكولاس سينتظر الطائرة في المطار، فاتصلت بلكسمبورغ، ولكن...»

فأومأت جينا تقول: «لقد غادر المدينة قادماً إلى هنا.»

«هذا ما قالته سكرتيرته. فطلبت منها أن ترسل خبراً إلى طائرته، ولكنها قالت إنه لا بد وصل الآن، ولم تعرف إلى أين تتصل به، واقترحت علينا أن نتصل هاتفياً بسيارته هنا، فأخذت أبحث عن الرقم فلم أجده.»

قالت جينا مقطبة الجبين: «لا بد أنه هنا في مكان ما.» واتجهت نحو خزانة الملفات حيث أخذت تبحث في ملف نيكولاس الشخصي، ثم قالت: «على أية حال فهو سيطير إلى غاتويك ليرى السير الفريد بيتويرث صاحب مصنع الورق الذي يسكن هناك، وبعد ذلك يأتي إلى لندن في الطائرة

المروحية ثم يهبط في مطار دوكلاند، وهكذا لن يسمح له وضعه هذا أن يقابل أمه في مطار هيثرو.»

استمرت تبحث في ملف نيكولاس بينما صوفي تنظر إليها، وبعد لحظة اقفلت جينا الملف، فسألتها: «هل وجدته؟»

«كلا.» وفكرت لحظة ثم عادت تقول: «إن ما لا أفهمه هو لماذا لم تخبره والدته بموعد قدومها، إذ كان عليها أن تستعمل طائرته الخاصة لأن نيكولاس لا يريدها أن تسافر في طائرة عادية. هل ذكرت في أي خط؟ أظنه لا بد أن يكون الخط الثالث أو الرابع، حيث أنها قادمة من الولايات المتحدة. هذا يبدو غريباً جداً، فإن السيدة كاسبيان نادراً ما تسافر. إنها نصف عاجزة.»

حملقت فيها صوفي قائلة: «كلا، يا جينا فهي ليست قادمة على أحد هذين الخطين، بل الخط الثاني، فالطائرة قادمة من ايطاليا ربما ليست والدته هي القادمة.»

«ولكنك قلت السيدة كاسبيان! وحسب علمي ليس هناك سوى واحدة تسمى السيدة كاسبيان، إلا إذا...» وتلاشى صوتها وشحب وجهها.

قالت صوفي لاهثة: «إلا إذا كان قد تزوج. فهو ليس لديه شقيق، أليس كذلك؟»

فهمست جينا: «كلا.»

«أو عم متزوج، أعني ربما تكون زوجة عمه؟ أو قريبة له.»

«حسب علمي ليس لديه سوى شقيقتين. أظن ربما لم تسمعي الإسم جيداً... فربما هو الآنسة كاسبيان شقيقته وليس السيدة كاسبيان والدته.»

«كان الاتصال بالفاكس، يا جينا وليس بالهاتف. هذا

هو، انظري إليه.» نظرت جينا إلى قطعة الورق: «نعم، حسناً، لم أسمع بامرأة أخرى تدعى السيدة كاسبيان.» وتابعت بضحكة مصطنعة بشكل يثير الشفقة: «إلا إذا كان حسب قولك، قد تزوج سراً.»

«لكنه لا يستطيع الاحتفاظ بسرية الزواج مدة طويلة، أليس كذلك. لا بد أن يعرف بذلك شخص ما، فيذيع الخبر. ولكن ذلك يمكن حدوثه بالطبع.» وسكتت صوفي لحظة فاتحة فمها وقد توهج وجهها، ثم هتفت تقول: «آه، ربما هذا هو السبب في أنه...» وسكتت مرة أخرى، ولكن جينا أدركت ما كانت ستقوله.

ربما كانت ستقول إن هذا هو سبب اصطحاب نيكولاس للكوليت تسي إلى لكسمبورغ معه. ربما ذهبا إلى هناك ليتزوجا.

لم تؤمن جينا يوماً بأن القلوب تتحطم ولكنها الآن تشعر بعذاب هائل في صدرها، وكأن قلبها يتحطم فعلاً.

حاولت أن تفكر بشكل معقول وواقعي وهو، لماذا على نيكولاس أن يقوم بتلك الرحلة الطويلة لكي يتزوج سراً؟ كان هذا شيئاً غير منطقي، ألم لعله كذلك.

ضحكت جينا بصوت مرتفع فالتقت عيناها بعيني صوفي التي كانت تنظر إليها باستغراب وهي تعض شفتها السفلى ما جعل جينا، في توترها البالغ، تراها أشبه بالفأرة.

فقد أدركت ما يجول في ذهن صوفي لقد تذكرت صوفي فجأة الأقاويل التي كانت تتحدث عنها وعن نيكولاس كحبيبين، وما زالت علاقتهما رغم أنها تتناول الخصام أكثر مما تتناول الحب، كما أصبح كل شخص يعلم.

فصوفي تملكها الحرج البالغ الآن وكذلك العطف. فعيناها تقولان الآن، مسكينة جينا... أتراها تتألم؟

ولكن جينا لا تحتاج إلى الشفقة، فهي تشعر وكأنه لسعة عقرب إن عليها أن تغيّر الجو بينهما قبل أن تقول صوفي ما يعبر عن رقتها وأساها ما لن تستطيع جينا غفرانه بعد ذلك. وهكذا قالت وهي تضحك مرة أخرى: «فلندع المزاح جانباً، فالقادمة لا بد أن تكون والدته ويجب أن يذهب شخص ما لاستقبالها في المطار. وأنا سأذهب بنفسي فإذا جاء السيد كاسبيان إلى هنا مباشرة من المطار، فاخبريه بذهابي وأنني سأصحب السيدة كاسبيان إلى شقته.»

وهكذا وذهبت إلى المطار في سيارة الشركة الرسمية والتي يقودها سائق خاص ولكن زحام السير كان بالغاً بحيث أنهما وصلا إلى المطار في نفس وقت وصول الطائرة. دخلت جينا بأعصاب متوترة تخترق زحام المسافرين، ثم توقفت قليلاً لتقرأ اوقات وصول الطائرات على الجدار.

الطائرة الوحيدة التي وصلت من ايطاليا في الوقت المحدد كانت من ميلانو، وكانت قد لامست الأرض لتوها. ولكن بالطبع كان ما يزال ثمة احتمال بأن تصل السيدة كاسبيان بطائرة ابنها الخاصة ولكن عليها أن تمر على قسم الجوازات والجمرك قبل أن تخرج. وهكذا جلست جينا عند باب الخروج وعيناها تنتقلان بين الوجوه، في انتظار أن ترى ما إذا كانت القادمة الغامضة هي والدة نيكولاس أو... أو امرأة أخرى.

كانت من التوتر بحيث أنها، في النهاية لم تر السيدة كاسبيان حتى أصبحت المرأة أمامها تقريباً، فشهقت عند ذلك للمفاجأة وأخذت تضحك بشدة.

«ها أنت ذي، يا سيدة كاسبيان... لم أرك حين خروجك.»

هتفت بها قائلة: «جينا، إنه لطف بالغ منك أن تأتي لاستقبالي.» وكانت اللكنة الاسبانية ما زالت تخالط لهجتها رغم قضائها سنوات في اميركا وما زالت وعانقت جينا تقبلها على وجنتيها كعادة الاوروبيين وهي تتابع: «تبدين أجمل مما اتذكرك. يا لشعرك الرائع المتألق كالنار.» وأخذت تمر بيدها على رأس جينا باسمة ثم نظرت حولها بشيء من الحيرة. «ولكن أين نيكولاس؟»

نظرت إليها جينا معتذرة: «لقد قام برحلة إلى غاتويك بعد ظهر هذا اليوم فلم استطع الاتصال به لاعطيه رسالتك، مع الأسف. هل كان يتوقع قدومك؟»

فابتسمت السيدة كاسبيان بجفاء: «كلا، فقد جئت بشكل مفاجيء ذهبت قبل العيد إلى إيطاليا لقضاء العيد مع ابنتي. ثم ذهبنا إلى ميلانو للتسوق وأمس اتصلت بنيكولاس هاتفياً فقال إنه سيعود إلى لندن اليوم فقررنا، أنا وأليسا، أن نلاقيه هنا.» نظرت إلى جانبها، وحينذاك فقط أدركت جينا أن ثمة امرأة معها تقف بقربها، تبدو وكأنها مستعدة لعناقها إذا لزم الأمر. كانت امرأة رشيقة طويلة القامة قوية ملامح الوجه والتي كانت مألوفة لها بشكل غريب. فقد كان تشابه أفراد هذه الأسرة بالغاً.

قالت كاسبيان برقة: «جينا، هذه ابنتي الصغرى، أليسا.»

مدت أليسا إليها يداً عريضة جميلة التكوين: «مرحباً، يا جينا. لقد سمعت الكثير عنك.»

صافحتها جينا وهي ما زالت تحدق فيها: «إنك تشبهين شقيقك كثيراً.»

فقال أليسا عابسة: «لا تقولي هذا.»

قالت الأم ضاحكة: «نعم، إنها تشبهه، أليس كذلك؟»

وعندما ابتسمت، رأت جينا الارهاق مرتسماً على ملامحها، فقالت: «لا بد أنكما متعبتان. إن السيارة في الانتظار، فهل نذهب الآن؟» ونظرت إلى عربة الأمتعة بجانب أليسا حيث كانت أربع حقائب فوقها، فسألت: «هل هذه امتعتكما؟ سأهتم بها.» ودفعت العربة أمامها خارجة من البوابة حيث كانت سيارة الليموزين في انتظارهن. وقفز السائق خارجاً منها واستلم الحقائب يضعها في صندوق السيارة ثم أقبل يساعد السيدة كاسبيان على دخول المقعد الخلفي من السيارة، وصعدت أليسا بجانب أمها بينما جلست جينا في المقعد الأمامي بجانب السائق. وأخذت تتحدث إليهما من خلال الزجاج المفتوح الذي يفصل قسمي السيارة.

«أظنكما ستقيمان مع نيكولاس؟»

قالت السيدة كاسبيان وهي تنظر إليها غير واثقة: «نعم، ولكن الشقة لا بد مقفلة الآن في غيابه، أليس كذلك؟»

«يمكنكما استعمال شقتي إلى حين عودته فقد تركت له خبراً في المكتب بأنني سأستقبلكما في المطار، وبهذا يدرك انكما عندي.»

نظرت السيدة كاسبيان عند ذلك إلى ابنتها، ثم عادت تنظر إلى جينا باسمة: «هذه شهامة بالغة منك، يا جينا. هل أنت واثقة من أننا لن نثقل عليك، إن بإمكاننا أن نذهب إلى الفندق بكل سهولة لنمضي الليلة.»

«ولكن زيارتكما لي تسرني جداً، فزواري قليلون، ثم إنني كنت أقمت في منزلكم عندما ذهبت إلى سان فرنسيسكو

وامضيت وقتاً رائعاً في بيتكم الجميل، ويسرني أن أرد لكم الضيافة. ولكن المناظر رائعة بجمال المناظر عندكم.»

وأخبرت السائق بأن يتجه إلى مبنى الشقق على ضفاف النهر، ومن ثم انطلقت بهما السيارة.

قالت السيدة كاسبيان وهي تنظر من نافذة السيارة: «منذ وقت طويل لم أحضر إلى لندن. هل تغيرت كثيراً؟»

«إنها تتغير كل يوم، ولكنها تبقى هي نفسها، أيضاً... وسترين ذلك. هل تعرفين لندن، يا أليسا؟»

«لقد جئت إلى هنا مرة أو اثنتين في رحلات صيفية، عندما كنت في الجامعة ولكنني لم أمكث إلا بضع أسابيع. إن ذكرياتي عن الريف الانكليزي سعيدة جداً. ولكنني لم أمض كثيراً من الوقت في لندن، وأنا متشوقة لرؤية مجمع الصحف باربري وارف. لقد كان أخي وبييت فان ليدن غاية في الحماسة وهما يتحدثان عن هندسة بنائه.»

«نعم، إنه مذهل هذا إذا كنتما تحبان الهندسة العصرية في البناء.» قالت جينا ذلك وهي تقلب شفتيها، فضحكت أليسا وقد تألقت عيناها: «أتراك لا تحبين ذلك المبنى.»

«لا أدري تماماً، فأنا أحبه جداً إذ عملت فيه طوال العام، ولكن لا بد لي من القول إنني أفضل الهندسة التقليدية.»

ونظرت من النافذة عندما مروا خلال مدينة هامبستيد والتي تقع في ضواحي لندن. ثم قالت: «ما زال أمامنا مسافة طويلة نقطعها، فالمبنى الذي أقيم فيه في المنطقة القديمة من لندن، فهي لا تبعد كثيراً عن مجمع باربري وارف، ولهذا سأطلب من السائق أن يتحول إلى هناك ليريكما المجمع ذاك.»

كانت السيدة كاسبيان مستندة إلى الوسائد في زاوية

السيارة، وقد اغمضت عينيها. فألقت عليها جينا نظرة قلقة نظرت بعدها إلى أليسا متسائلة، رافعة حاجبيها وهي تحرك شفتيها بسؤال صامت: «هل هي بخير؟»

نظرت أليسا إلى أمها، ثم عادت تنظر إلى جينا وهي تومىء محركة شفتيها هي أيضاً، بجواب صامت: «إنها متعبة.»

فقالت جينا برقة: «إن السفر بالطائرة هو متعب دوماً ولا بد أنك متعبة أنت أيضاً. إنني سأدعك ترتاحين حتى نصل إلى باربري وارف.»

ثم استدارت تنظر إلى الطريق التي يسيرون فيها. ولم يدر بينهن أي حديث بعد ذلك إلى أن وصلوا إلى المنطقة التي يقوم فيها مجمع باربري وارف. وانتظرت جينا إلى أن لاح مبنى المجمع أمامهم، فالتفتت تخبر أليسا بأنهم قد وصلوا.

استقامت أليسا جالسة مخلوبة اللب، والسيارة تتباطأ لتقف أمام المبنى. نظرت جينا هي أيضاً، بعينين جديدتين. ولم تستطع إلا أن تعترف بأن البناء مذهل حقاً فالجدران القرميدية ذات اللونين الاسود والأحمر، وقد بدا فيها الطراز الاغريقي، كل ذلك اسبغ على المبنى غرابة تقرب من الأحلام.

سألت جينا أليسا، والتي كانت مستغرقة في تأمل المكان بأكمله شبراً شبراً، بعينين ضيقتين مفكرتين: «ما رأيك؟»

فقالت أليسا: «إنه ليس مجرد بناء عادي أليس كذلك؟»

قالت جينا، شاعرة بالاهتمام لرأي المرأة الأخرى: «ولكن هل أعجبك؟»

كان اهتمام جينا برأي أليسا مهماً لأن هذه كانت شقيقة نيكولاس، فهي تريد أن تعرفها وتفهمها جيداً، فقد يساعدها هذا في فهمه.

قالت أليسا: «إنه مبنى مثير غير عادي... فهو يحدث في النفس تلك الرجفة الضئيلة التي تحدثها رؤيتك لشيء يدهشك.»

قالت جينا ضاحكة: «فرحة الشيء الجديد؟»

«تماماً. يمكنني الآن فهم السبب الذي جعل بييت متأثراً بطراز المبنى هذا، فهو طراز واثق متأكد من نفسه بشكل يقرب من الغطرسة.»

سألتها جينا مازحة: «هل هذا أمر جيد أم سيء؟»

قالت أليسا: «ليس في الفن قيم أخلاقية، فإما أن تحبي الشيء أو تكرهيه، وهو إما يتحدث إليك وإما يبقى أخرس وبما أن هذا يتحدث، فأنا أحبه.»

فقالت السيدة كاسبيان وهي تغمز جينا بعينها: «وكذلك أنا، ولكنني لا أدري ما إذا كان يتحدث إليّ... هل انتهيت من النظر إليه، يا أليسا؟ هل يمكننا متابعة طريقنا الآن؟ إنني متلهفة إلى كوب حليب ساخن والاستلقاء في مكان مريح أرفع فيه قدمي ساعة أو نحوها.»

بعد ذلك بنصف ساعة، كانت جينا تأخذ السيدة كاسبيان إلى غرفة النوم الاحتياطية في شقتها، وهي تقول لها بينما كانت تقفل الستائر: «هل تريدين إن أرفع أغطية السرير لكي تنامي قليلاً.»

«كلا يا عزيزتي، كل ما أريده هو أن ترفعي هذا اللحاف الجميل عنه فأستلقي فقط على الملاءات.»

قالت جينا وهي ترفع اللحاف: «ولكن ألا تريدين أن تتغطي بشيء؟ إن جسمك سيبرد إذا أنت نمت ولا أريدك أن تصابي بزكام. ما رأيك في بطانية؟» وتوجهت إلى الخزانة حيث أخرجت بطانية مزخرفة من الصوف بينما كانت

السيدة كاسبيان تخلع حذاءها وتستلقي على السرير. بسطت جينا البطانية فوقها، فابتسمت لها المرأة وهي تهوم ناعسة: «شكراً، يا جينا هذا رائع.»

سارت جينا نحو الباب واطفأت النور، ومن جوف الظلام خلفها، تمتمت السيدة كاسبيان تقول بصوت ناعس: «وبالمناسبة من هي كوليت تسي؟ هل تعرفينها، يا جينا؟»

توقفت جينا وتنفست بعمق تتمالك بذلك نفسها قبل أن تجيب، قائلة: «إنها المحررة المختصة بالشخصيات البارزة في سنتنال.»

«أهي صينية؟»

«نصف صينية، نصف انكليزية.»

«يبدو أن لنيكولاس رأياً جيداً فيها. هل تحبينها؟ هل هي جميلة؟»

أجابت جينا بحذر: «إنها رائعة الجمال.» وعندما لم تعد تستطيع الاحتمال أكثر من ذلك، غادرت الغرفة واغلقت الباب خلفها.

إذن، فقد حدث نيكولاس أمه عن كوليت؟ لا بد أن الأمر جاد، إذن! فهو لا يزعج نفسه بإخبار أمه عن كل فتاة يخرج معها، أو...

عضت شفتها وأغمضت عينيها إزاء ما تملكها من عذاب. نعم، لماذا لا تكمل الجملة فإن نيكولاس لم يأخذ كوليت إلى لكسمبورغ لكي يتناقش معها في شؤون المؤسسة المالية. فليس هناك سوى سبب واضح يجعله يأخذها معه. وذلك لكي يمضيا عدة أيام معاً.

عندما شعرت بالقدرة على العودة إلى غرفة الجلوس،

وجدت أليسا واقفة عند النافذة الزجاجية الواسعة تحدق عبر النهر المظلم إلى أنوار المدينة المتلألئة.

«يا لهذا المنظر الرائع. كم أتمنى لو أرسمه. إنها تذكرني بلوحات الفنان ويستلر التي تمثل نهر التايمس في الليل...»

«إنها، الليالي، أليس هذا هو الأسم الذي كان اطلقه عليها.»

«نعم، لقد ذهلت وأنا أرى المنظر ما زال هو نفسه الذي رسمه، بالرغم من كل الانارة العصرية وناطحات السحاب.»

«المنظر يبدو مختلفاً في ضوء النهار. ليس ثمة منظر يماثله شاعرية.» ثم اقتربت جينا منها تقف بجانبها ثم تلقي عليها سؤالاً ما زال يجول في ذهنها منذ استقبلتهما في المطار: «لماذا تقيمين في توسكاني لترسمي في فصل الشتاء؟ أليس الجو شديد البرودة في هذا الوقت من العام؟»

«نعم، هو كذلك الآن، ولكنني ذهبت إلى هناك في فصل الصيف وذلك لمدة شهر واحد فقط... ولكنني بقيت أمدد اقامتي مرة بعد مرة. فقد احببت الناس هناك وكذلك القرية التي اقمت فيها. فقد كان يسودها جو من الاطمئنان والقناعة. كان كل ما فيها قديم، وألوان الأزهار المتنوعة فيها تحير الفكر. دوماً هناك شيء للرسم.»

«هل ستعودين إلى هناك عندما تعود أمك إلى سان فرنسيسكو؟»

«ربما، ولكنني لم أقرر بعد.» وهزت كتفيها: «إنني لا أخطط مسبقاً لما سأقوم به، بل أدع الحياة تفاجئني.»

نظرت إليها جينا مفكرة: «قد تشبهين أخاك في المظهر، ولكنك لست مثله على الاطلاق، أليس كذلك؟»

«وهل هذا مدح أم ذم؟» ابتسمت جينا: «لا أدري، ولكن نيكولاس يضع الخطط والقرارات على الدوام، ودوماً ينظر

إلى الأمام ويسيطر على كل ما حوله... فهو لا يستطيع ترك الحياة تفاجئه بأحداثها.»

«إذن فهذا مدح لي، فأنت لا توافقين على الطريقة التي يحاول نيكولاس فيها أن يدير الأمور التي تواجهه.»

أجابت بتحدي: «كلا، لا أوافقه على ذلك.»

فقالت أليسا ضاحكة: «ولا أنا، ولكنه لا يستطيع منع نفسه من ذلك، فقد تعلم هذا من والدنا الذي كان مهووساً بالسيطرة على كل شيء وكل شخص. أظنه كان خائفاً مما قد يحدث إذا هو لم يفعل ذلك. وقد أخبرني طبيب نفسي صديق أن هذه الهواجس تنتج عن الخوف. الفزع من أن يفقد الشخص المصاب به السيطرة على نفسه بقدر ما هي على الآخرين. وكان نيكولاس هو أحد المملوكان التي كان أبي يشعر أنها ملكه. وهكذا كيّفه كما يريد. وبما أنني فتاة لحسن الحظ، لم يكن لي أهمية، فقد كان يتجاهلني في أغلب الاحيان، وهذا كيّفني أنا أيضاً، كما أظن كنت أعلم أن أبي لا يهتم بي مثقال ذرة، وهكذا ردة الفعل عندي اتخذت شكلاً آخر. فنشأت غاضبة خائفة من مشاعري. وأظن هذا سبب عدم زواجي. ففي كل مرة أقع فيها في الغرام، يتملكني الذعر فألوذ بالهرب. أما من أحببتهم فهم لم يفهموني قط.»

نظرت إليها جينا مجفلة. فقد وجدت مواجهة صراحة أليسا بنفس صعوبة مواجهة تكتم نيكولاس وتحفظه.

فقالت ببطء: «لا أظنهم يفهمونك. هل حاولت مرة أن تشرحي الأمر؟»

«إنني لا أقيم في مكان واحد مدة طويلة، كما إنني لا أعود إليه على الاطلاق، فعملي يأخذ الكثير من حياتي، على كل حال. ليس لدي وقت لزوج أو أطفال.»

«ألا تريدين طفلاً؟» لم تكن جينا تستطيع أن تخفي مشاعرها المختلفة جداً عن مشاعر أليسا، فقالت هذا بصوت هدجه الشوق للأمومة الذي يتملكها منذ وقت طويل.

أخذت أليسا تنظر إليها لاوية شفتيها: «كلا، أبداً. ولكنني أظنك تريدين ذلك؟»

فأومأت جينا برأسها وقد احمر وجهها: «لقد أردت ذلك على الدوام. فقد تزوجت صغيرة السن جداً، ورغم أننا كنا نريد أن ننجب طفلاً، فقد ظننا أن الوقت ما زال أمامنا طويلاً، لذلك. وهكذا أرجأنا هذه الفكرة...» سكتت فجأة وقد عاد إليها شعورها القديم بالحزن، فنظرت أليسا إليها بعطف: «وماذا حدث؟»

«لقد قتل زوجي بحادث.»

تجهم وجه أليسا: «يا له من حظ سيء. إنني آسفة، يا جينا.»

«كان كل ذلك منذ وقت طويل. وأنا ما زلت افتقده، ولكن ذكراه لم تعد مؤلمة كما كانت في البداية. إنها الآن عبارة عن أسف رقيق.» وتركت جينا مكانها لكي تغيّر الموضوع، فتبعتها أليسا وهي تتحدث بشكل عفوي وكأنها تخفف من ألم الذكريات: «حسناً، فأنا لست من النوع الذي يتوق للأمومة. والآن، نيكولاس يريد أطفالاً. وما يحيرني أنه لم يتزوج حتى الآن لكي ينجبهم، ولكنه من النوع الذي يطلب الكمال إلى حد لم يستطع معه أن يعثر على الزوجة المناسبة بالضبط.» واطلقت ضحكة قصيرة: «أو ربما هو مثلي، يتملكه الخوف إذا وقع في الغرام، فيهرب.»

«لا استطيع أن اتصور أن نيكولاس يخاف.» قالت جينا

ذلك بمرارة جعلت أليسا تنظر إليها متأملة، ولكن قبل أن تلقي أي سؤال، تصاعد رنين جرس الباب، فأجفلت جينا: «ربما هذا نيكولاس الأفضل أن أهرع لأفتح له الباب قبل أن يوقظ والدتك.»

وعندما فتحت الباب، كان نيكولاس مستنداً إلى إطار الباب، رافعاً ياقة معطفه حول وجهه الخشن، وقد شعث شعره ريح الشتاء. أخذ يشملها بنظراته، باكتئاب، من الرأس حتى القدمين: «تلقيت رسالة تقول إن أمي معك.» تمتم بذلك ما جعلها ترى أنه لا ينوي أن يقدم لها أي اعتذار لتصرفاته تلك في آخر مرة رأته فيها. بل العكس، فقد بدا عابساً متهماً وكأنه يعتبر أنها هي التي تصرفت بذلك الشكل السيء.

الفصل الخامس

قالت له بصوت قصدت به أن يكون هادئاً لا يحمل معنى الترحيب: «نعم، تفضل بالدخول.» ذلك انها لم تكن تريده ان يظن انها نسيت كيف أذلها في حفلة هيزل، وتابعت تقول: «ان أمك ترتاح حالياً في غرفة النوم، ولكن شقيقتك في غرفة الجلوس.» وكان قد مر بها داخلاً، وإذا به يقف جامداً في مكانه وهو ينظر اليها بعينين ضيقتين: «شقيقتي؟»

«نعم، أليسا.»

فقال بضجر وكأنها بدت له غبية بجوابها هذا: «حسناً، لقد أدركت انها أليسا طبعاً، فأنا اعرف ان أمي كانت تقيم معها، ولكن ما أدهشني هو حضور أليسا معها إلى لندن.»

«رأت بأن أمك يجب ألا تسافر بمفردها، وفعلاً أرى ان السيدة كاسبيان تشعر بتعب بالغ، وهذا هو السبب في استلقائها للراحة في غرفة النوم.»

قال نيكولاس غائب الذهن: «انها ليست قوية تماماً والسفر يتعبها، ولا يمكنني ان افهم لماذا لم تنتظر عودتي إلى لندن فأتمكن من القيام بترتيبات سفرها، كان عليها ان تبقى في توسكاني إلى ان أرسل اليها طائرتي الخاصة كما اعتدت دوماً، وبذلك يمكنها الاستلقاء في الطائرة طوال الرحلة، ثم أين السيدة غرانت؟ ان أمي لا تسافر إلى أي مكان من دونها. فهذا هو الجزء الأساسي من وظيفتها... وهو العناية بأمي... فأين هي إذن؟»

لم يكن لدى جينا جواب لهذا حيث انه لا السيدة كاسبيان

ولا ابنتها قد أتتا على ذكر السيدة غرانت، ولهذا هزت كتفيها وهي تغلق الباب، بينما تابع نيكولاس طريقه متجهاً إلى غرفة الجلوس، وسمعته يقول: «أليسا، ما الذي تفعلينه هنا؟ وأي لعبة تقوم بها أمي؟»

لم تنتظر جينا سماع جواب أليسا، إذ استدارت مبتعدة متجهة إلى المطبخ لكي تنهي غسل الأطباق والأكواب التي استعملتها منذ فترة السيدة كاسبيان وابنتها، غسلت الأكواب بيدها، ولكنها وضعت بقية الأواني في الغسالة الكهربائية لتغسلها في الصباح المرأة التي تنظف الشقة.

ثم صنعت القهوة، وعندما شعرت بأنها منحت نيكولاس وشقيقته وقتاً كافياً يتكلمان فيه، حملت الصينية واتجهت اليهما، وإذا بها تسمع صوت أليسا الهادىء حين اقتربت من باب غرفة الجلوس، يقول: «يمكنك ان تقول انها كانت مبالغة في تصرفها هذا، ولكنها عندما كلمتها عن هذه التي تدعى كوليت تسي، تملكها الاستياء، لقد ظنت... حسناً، هناك ما جعلها تقرر ان جينا هي التي...»

شحب وجه جينا وهي تشعر بطعنة ألم في صدرها، لم تشأ ان تسمع جواب نيكولاس لهذا القول، ولهذا لكي تنبههما إلى قدومها، ضربت الباب عمداً بالصينية قبل ان تفتح الباب وتدخل.

سكت الاثنان عند دخولها، ثم منحتها أليسا ابتسامة سريعة مرتبكة، وقد بدا انها تتساءل عما قد تكون جينا سمعته، بينما حول نيكولاس عينيه الساخطتين اليها وقد توتر فمه.

وضعت الصينية على المنضدة، وهي تقول: «تفضلا القهوة.»

قال عابساً ودون لباقة: «كلا، شكراً.» فشعرت برغبة في

صفعه، وربما كانت هذه هي مشكلته، فهو لم يتلق الكفاية من الصفعات حين كان صغيراً.

نظرت اليه أليسا باشمئزاز وكأنها تفكر هي أيضاً بنفس الشيء، ثم ابتسمت لجينا وقد بدا الاعتذار على ملامحها: «انك حسنة الضيافة جداً، يا جينا، ولكن هل يمكنني ان اعتذر عن قبول هذه الضيافة الآن؟ فما دام نيكولاس هنا، يمكننا ان ننقل حقائبنا إلى شقته، لأتمكن من افراغ أمتعة أمي قبل ان تستيقظ، فهي تكره هذا الجزء من سفرها إذ تشعر بعدم الاستقرار. انها تقول ان هذا يجعلها تشعر وكأنها اشبه باللاجئة، فإذا هي رأت غرفتها جاهزة، وثيابها معلقة في الخزانة وفي الأدراج، والسرير مكشوفاً والصور موضوعة على منضدة السرير، وكذلك اشيائها الشخصية الصغيرة الحجم والتي تأخذها معها أينما ذهبت... فهي عند ذلك تشعر بالأمان...»

قالت جينا بحرارة: «انني متفهمة لذلك، طبعاً، واذا كنت بحاجة للمساعدة، فلا تترددي في طلب ذلك مني...»

«شكراً، فقد كنت غاية في اللطف والشهامة، وصدقيني انني لن استطيع ايفاءك حقك من الشكر لكل ما فعلته.»

«كان هذا سروري الخالص.»

فتمتم نيكولاس، وما زال متجهم الوجه: «أين الحقائب؟»

أرته المكان الذي وضعها سائق الشركة فيه، متظاهرة بأنها لم تلاحظ عبوسه ذاك، ومن ثم ابتدأ نيكولاس وأليسا في نقل الحقائب، رافضين عرضها للمساعدة في ذلك، واخذت جينا تنظر اليهما عند الباب وهما ينتقلان إلى غرفة نيكولاس، ثم عادت إلى غرفة الجلوس حيث سكبت لنفسها فنجان قهوة ثم جلست على الأريكة امام المدفأة الكهربائية.

بعد ذلك بدقائق قليلة، عاد نيكولاس وحده، قائلاً: «ان أليسا تفرغ أمتعة الوالدة.» ثم جلس بجانبها على الأريكة.

خفق قلب جينا ألماً، فهبت واقفة وهي ترتجف: «هل لك ان تتناول تلك القهوة الآن؟»

جلس مسترخياً بين الوسائد، وعيناه تلتمعان باستخفاف من خلف اهدابه السوداء: «انك متوترة هذه الليلة جداً، هل تخافين من الجلوس معي على انفراد، يا جينا؟»

رفعت رأسها بغضب: «لا تسخر مني، فأنا، إذا اقتضى الأمر، استطيع ان اضربك بذلك المصباح.»

فضحك وقال: «انا اصدق انك ستقومين بذلك.»

قالت وعيناها تفيضان تحدياً: «نعم، من الأفضل لك ان تصدق، وعلى كل حال، لا اظنك ستجازف في ان تجعلني أملأ المكان بصراخي، بينما أمك لا تبعد عنا اكثر من غرفتين.»

كانت عينا نيكولاس قد امتلأتا غضباً الآن: «هيا، اسكبي لي فنجان القهوة قبل ان افقد اعصابي معك.»

«اتعني انك لم تفقدها قبل الآن؟» اجابت بذلك بحدة، ولكنها سكبت له فنجان القهوة وناولته إياه، ثم حملت فنجانها إلى جانب الموقد الآخر.

قال نيكولاس: «لا بد لي من الاعتراف بأن قهوتك رائعة.» ومنحها ابتسامة ملتوية وعيناه شبه مغمضتين، فشعرت جينا بانفاسها تتسارع، وقلبها يخفق بعنف. يا ليته لم يكن بهذه الجاذبية، ففي كل مرة تراه فيها، كان يتملكها شعور غريب هو مزيج من البهجة والألم، انه يجذبها كالمغناطيس فيجعلها ترتجف شوقاً اليه. ثم قال نيكولاس بكسل وهو يتمطى كهرة نعسانة: «اخبريني إذن ما الذي كان يحدث في غيابي.»

توترت اعصابها: «ولكنك كنت تستلم التقارير يومياً، أليس كذلك؟»

كانت واثقة من ذلك لأنها كانت ترسل التقارير يومياً بنفسها اليه في أي مكان يكون فيه في العالم، وبهذا كان بإمكان نيكولاس أن يضع اصبعه على نبض كل شركاته المنتشرة في العالم، لم يكن من الضروري أن يقرأ كل تقرير كما هو، ولكن إحدى سكرتيراته كانت تختصر التقارير يومياً في تقرير واحد يقرأه نيكولاس.

فقال ببطء: «بالنسبة إلى اعمال المكتب الرسمية، هذا صحيح، ولكن ما الذي كان يحدث بصورة غير رسمية؟ كيف حالك مع صوفي، مثلاً؟»

قالت وقد تملكها الارتياح: «بأحسن حال، فأنا احبها، وهو السبب الذي جعلني اقترح عليك احضارها للمكتب.»

فقال بلهجة بطيئة مفكرة وعيناه تتفحصان وجهها: «نعم، فأنت التي اخترتها، لقد نسيت ذلك.»

قالت جينا: «نعم، انا التي اقترحت إحضارها.»

عاد يقطب جبينه، قائلاً: «حسناً، دعينا نعيد صياغة ذلك... انت أردتها ان تأخذ مكان هيزل، ففعلت هي ذلك، وهكذا نلت ما تريدين، انك في الواقع، تنالين كثيراً ما تريدينه هذه الأيام، أليس كذلك؟ فأنت تديرين الصحيفة في غيابي حتى ولو كنت موجوداً فأنا أجد نفسي اقوم بالعمل كما تريدينه.»

نظرت إليه غير مصدقة: «هل تمزح؟»

أجاب بحدة: «وهل يبدو علي المزاح؟»

فردت عليه بحدة هي أيضاً: «يبدو وكأن طبعك قد ثار مرة

أخرى، فهذه هي عادتك هذه الأيام، حسناً، انني تعبت منك ومن طباعك.»

نهضت ووضعت كوبها الفارغ على الصينية، وهي تهم بحملها إلى المطبخ، ولكن نيكولاس كان قد نهض، هو أيضاً، فأمسك بكتفيها ثم ادارها نحوه بعنف.

رفعت جينا بصرها إليه مجفلة، كان وجهه متجهماً، وعيناه الرماديتان تخترقان عينيها: «اتظنين انني غير مدرك انك تهمين بالقيام بشيء ما، يا جينا؟»

فشحب وجهها وهي تقول متلعثمة: «ما... ما الذي تعنيه؟»

هزها بعنف بالغ وهو ينحني فوقها بما يشبه التهديد ما جعلها تضطرب بشدة، بينما كان يقول: «ان لدي حاسة سادسة بالنسبة إلى المؤامرات، فأنا اعرف ان هناك شيئاً يحدث في لندن، ان غريزتي تخبرني بذلك، وهي تخبرني أيضاً ان كل ما يحدث، مركزه حولك.»

عادت تتلعثم وهي تقول، محاولة عبثاً، تخليص نفسها منه: «انت... انت تعاني من جنون العظمة.»

توترت ملامحه: «نعم، ربما انا كذلك، بالنسبة إليك.» قال ذلك بصوت منخفض أبح، وهو يحدق فيها، واتسعت عينا جينا الخضراوين وهو يحملق فيهما، متابعاً: «ولديّ سبب وجيه لهذا، أليس كذلك؟»

قالت محتجة: «هذا جنون.»

ضحك بمرارة: «أنت التي جعلتني مجنوناً، لا أدري ما افعل، وما أفكر فيه، وما أريد... اشعر احياناً بأنني افقد سيطرتي على كل اعمالي، وكل هذا بسببك. ولو لم نكن في القرن العشرين، ولو لم اكن رجلاً متعلماً، لقلت انك نفثت فيّ سحراً.»

شعرت بالخوف ما جعلها تضحك بشكل هستيري.

فاحمر وجهه وحملق فيها قائلاً: «لا تضحكي مني...» وغرز اصابعه في كتفيها.

تأوهت قائلة وقد اخذت ترتجف: «كفى، واتركني، وإلا... سأجعلك تتمنى... لو لم تلدك امك.»

ولكن لم يبد عليه انه سمعها وهو ما زال يحدق فيها بعينين متوعدتين. ثم تمتم يقول: «لا تهددينني، يا جينا.»

شعرت بركبتيها تتخلخلان، وتعسر عليها التنفس واخذت اذناها تنبضان بسبب صعود ضغطها. «ماذا ستفعلين بي على كل حال؟ تحولينني إلى ضفدع؟» وضحك بصوت أبح لنكتته هذه، ولكن جينا لم تكن تشعر مثله بالتسلية، فقالت بغضب: «لقد فات أوان قيامي بهذا، فأنت كذلك منذ سنوات.»

رأت الضحك يفارق عينيه، وهمس يقول: «آه، جينا.. جينا انني بشوق بالغ إليك، وكذلك انت تشتاقين إليّ.»

هزت رأسها نفياً دون ان تنطق بحرف ولكن كيف يمكنها ان تقنعه بذلك وهي ترتجف وحبها اللاهب يطل من عينيها؟

قال بإصرار وعدم صبر: «نعم، انت تعلمين انك تحبينني... انني أرى ذلك في عينيك.»

أغمضت عينيها... أواه، ان هذا صحيح تماماً، لماذا لا تستطيع اخفاء حبها عنه؟

وعاد هو يهمس: «جينا، جينا... ألا يمكننا ان نتوقف عن محاربة بعضنا البعض؟ ألا يمكنك وضع الماضي خلف ظهرك، ونسيان آل تيريل وزوجك؟»

أجفلت لتذكيره لها بزوجها جايمس، فقد كانت تعلم انها لم تحبه قط بمثل هذه المشاعر الحادة والعذاب المبرح،

وإنما كان ذلك أول حب لها، وبالغ الحلاوة ولكن دون عمق حقيقي، أخذ نيكولاس يحدق في عينيها باكتئاب، شاعراً بالغيرة عندما أخذ يحاول ان يقرأ فيهما ما تفكر فيه. ثم تمتم بصوت خشن: «لا يمكنك ان تستمري في العيش في ظلهم إلى الأبد، ان ذلك سيؤثر عليك، ان عليك ان تواجهي ذلك عاجلاً أم آجلاً... فهما ميتان ولكننا لسنا كذلك، ان حياتنا ما زالت امامنا، ما هي الفائدة من مداومة القتال وتغذية الأحقاد القديمة؟ انني اعترف بأنني لم اتصرف بشكل حسن في الماضي، فأنا لا أدعي الكمال ولكنني اتعلم من اخطائي على الأقل، فلماذا لا تستطيعين أنت ذلك؟ اننا نضيع الوقت في قتال بعضنا البعض بينما بإمكاننا ان نمضيه في الحب...»

وإذا بها تدفعه عنها بغضب بالغ جعله يتراجع إلى الخلف حتى كاد ان يصطدم بالجدار. «كم من المرات اخبرتك بانك إذا أردت ان تمضي الوقت مع امرأة، فابحث عن واحدة في مكان آخر، فأنا لست رهن مشيئتك، انني اشتغل عندك في الصحيفة، ولكنني لا آخذ راتبي لكي اقفز إلى شقتك كلما أشرت لي بإصبعك.»

شحب وجهه وبان الغضب في عينيه، وبدا وكأنه يهم بمبادلتها الضرب، ولكن جينا كانت من الغضب بحيث اخذت تنظر اليه متحدية وقد كاد يفلت منها زمام مشاعرها إلى حد كادت معه ترحب بالقتال.

«لقد كنت احب زوجي، وجده، ولا أريد ان أنساهما أو أهجر كل ما كانا يؤمنان به.» وخرجت هذه الكلمات من فمها وكأنها قنبلة مدوية فقال: «انني لم أطلب منك أن...»

«بل طلبت مني ذلك، فأنت تريدني ان ادعك تفعل ما تريد

بالصحيفة دون أن أجرؤ على الاحتجاج بكلمة، حسناً، لا استطيع ان أمنعك الآن بالقدر الذي أريده، ولكن ما دام فيّ عرق ينبض فسأستمر في معارضتك، فأنت تدمر صحيفة عظيمة، قد تكون لك السيطرة حالياً على سنتنال، ولكن هذا يمكن ان يتغير يوماً ما... كل شيء ممكن... وعند ذلك أرجو ان أرى الصحيفة وقد عادت إلى المستوى الذي رفعها إليه آل تيريل.»

ساد صمت طويل كان هو يحدق فيها أثناءه بعينين ساخرتين: «هل هذا هو ما تتآمرين لأجله، يا جينا؟ انك تحلمين بأن بإمكانك ان تخرجيني من الصحيفة لتستلمي مقاليدها بنفسك، أليس كذلك؟ استمتعي إذن باحلام اليقظة هذه لأنها لا تعدو أن تكون كذلك، فان هذا لن يحدث أبداً، وليس لديك ذرة من القدرة على زحزحتي من مكاني. فأنا أسيطر على هذه الصحيفة لأنني املك المال، والذي يملك المال هو دوماً المنتصر، ان لديك نفس عدد الأسهم التي لدي، ولكن ليس لديك رأسمال كبير يسندها، وإذا أردت الحصول على ذلك، عليك ان ترهني أو تبيعي بعض اسهمك، لا يمكنك ان تهزميني يا جينا، وهكذا ليس امامك من خيار آخر سوى ان تنضمي إلي.»

قالت هازئة وقد بانت المرارة في وجهها: «في احضانك؟ هذا كل ما تظن ان المرأة تصلح له، أليس كذلك؟»

فضحك ساخراً: «آه، فأنا ما زلت في قلبي رجلاً رجعياً.»

رددت كلامه ساخرة: «قلبك؟ لا تتحدث عن القلوب يا نيكولاس... ما الذي تعرفه عنها؟ فأنت لا تملك قلباً، وإلا لما بقيت تفكر في ان بإمكانك التحبب إليّ بعد ذلك الإذلال الذي سببته لي في حفلة هيزل.»

تغير وجهه وقال عابساً وكأنه يتأوه: «آه، ذاك. نعم...»

بدت على شفتيه ابتسامة صغيرة وهو يقول ملاطفاً: «انا آسف، يا جينا... انا اعلم ان تصرفي كان سيئاً...»

تابع يقول برقة: «ان عذري الوحيد هو انني كنت غاضباً ومستاءً للغاية فأردت ان انتقم منك وأسبب لك الألم الذي سببته انت لي عندما رفضت دعوتي إلى قضاء العيد معي في بيتنا في سان فرنسيسكو.»

ردت عليه بحدة دون ان تتأثر: «انني على الأقل لم اهنك امام الناس.»

«الحق معك فذاك تصرف مني لا يغتفر.»

«ولكنك تتوقع مني ان اغفر لك.»

فتنهد طويلاً، وألقى عليها نظرة لوم وكأنه يراها المسؤولة عن ذلك: «انني فقط أحاول ان اشرح لك سبب ذلك..»

بعد صمت قصير، قال بخشونة: «حسناً، اسمعي يا جينا، لقد كنت اخبرت أمي بأنك ستأتين إلينا، وأحضرت لك هدايا العيد، لقد هيأت كل شيء لقدومك إلينا، انني لا اتذكر متى كانت آخر مرة انتظرت فيها قدوم العيد بمثل تلك اللهفة التي انتظرته بها وأنا اتوقع قدومك، وربما ذلك لم يحدث قط، فأعيادي لم تكن جميلة عندما كنت صبياً، واحياناً كان العيد يمر بي حزيناً تماماً، رغم الهدايا الثمينة التي كنت اتلقاها. وقد اعتدنا قضاءه أحياناً في سويسرا فنذهب للتزحلق على الثلج، لكن لم يمر علي عيد عائلي حقيقي على الاطلاق.»

قطب جبينه وهو ينبذ من ذهنه ذكرياته تلك، ثم قال بصوت أجش: «أردت ان اجعل من العيد الماضي عيداً عائلياً حقيقياً، أمي، شقيقتي ليليث وزوجها وأولادها، أليسا،

وانا وأنت، وإذ كنت اعلم ان ليس لديك أسرة، ظننت انك ستسرين بذلك، ولكنك خذلتني.» ولوى شفتيه عابساً.

بقيت جينا صامتة تحدق إليه، كان يحيرها احياناً، ففي الظاهر كان يبدو رجل اعمال قوي ليس لديه أي نقاط ضعف، ولا مشاعر رقيقة، ولكنه وراء ذلك كان يخفي صبياً عابساً صعب الطباع لا يطيق ان ينبذه أو يخيب أمله احد.

ولكن طريقة انتقامه منها لم تكن صبيانية على كل حال، فعبست فيه وهي تقول: «هل هذا هو السبب الذي جعلك تأخذ كوليت تسي معك إلى لكسمبورغ؟»

نظر إليها نيكولاس مجفلاً: «ماذا؟»

فسألته بمرارة: «هل كنت تظن انني لن اعلم؟ ان جميع موظفي باربري وارف يعلمون... وكلهم يتحدث عن ذلك حتى ان أمك سألتني عنها، وعما إذا كانت جميلة وكيف شكلها... إذا كنت تظن ان بإمكانك ان تجعل علاقتك مع كوليت سرية، عليك ان تنسى هذا.»

قال ببطء لاويا شفتيه وكأنه يحاول ألا يبتسم ما زاد في غضب جينا، قال: «وهل استطيع ذلك؟»

قالت وقد تملكتها الغيرة: «ولكنك لم تشأ ان تجعل الأمر سراً، أليس كذلك؟ فأنت أفشيته متعمداً، لأنني لم اقبل ان أقيم علاقة معك، أردت انت ان تريني ان بإمكانك ان تحصل على من تريد، وذلك بمجرد إشارة من اصبعك، انها فطنة بالغة منك ان تعثر على كوليت، فهي بالغة الطموح، ولن تتردد في القيام بكل ما تريده منها، إذا كان وراء ذلك ترقية.»

«آه، لم ألاحظ من قبل مبلغ الشبه بين عينيك وعيون القطط الماكرة.»

احمر وجهها لسخريته وصرخت به: «اخرج من بيتي.»

نظر بسرعة إلى الباب: «هس... أخفضي من صوتك، وإلا ايقظت أمي.»

«إذا كنت لا تريدها ان تتكدر، فالأفضل ان تخرج قبل ان أبدأ برشقك بالأشياء.»

نظر اليها مشمئزاً من هذا التهديد: «اعتقد انك تفعلين هذا.» ثم التمعت عيناه، «يا لك من فتاة قوية المشاعر يا جينا، فأنا ما زلت أذكر تماماً...»

احمر وجهها لتذكيرها بهفوتها السابقة معه، فهتفت به: «اخرس.»

فقال ساخراً: «لا يمكن لتلك الذكرى ان تفارقني، فإنني على الأقل، أدرك مبلغ خسارتي.»

تمتمت بصوت مبحوح: «ذلك لن يحدث مرة أخرى أبداً.»

لقد جعلتها ابتسامته الساخرة تلك تكرهه من الأعماق، فقال برقة: «لا تكوني واثقة من ذلك.» ثم نظر في ساعته قائلاً: «الأفضل ان اذهب الآن لأرى أين وصلت أليسا في تنظيم أمتعة أمي، ان من عادة أمي دوماً ان تصحب معها عند سفرها السيدة غرانت لتعتني بها، ولكن بينما كانتا في ايطاليا، تلقت السيدة غرانت اتصالاً مفاجئاً من اختها التي وقعت فريسة مرض خطير، فسافرت اليها في اميركا، لقد اقترحت ان تذهب أمي معها، ولكن امي فضلت البقاء مع أليسا في ايطاليا ولا يدري احد متى تعود السيدة غرانت، أو ماذا ستفعل أمي من دونها، اثناء وجودها هنا في لندن سأحاول ان اجدلها مرافقة.» ونظر إلى جينا متردداً، «لا اظنك تقبلين البحث عن مرافقة لها، ليس بإمكاني التفرغ للقيام بالبحث بنفسي فان العمل يكاد يخنقني

حالياً، هل لك بذلك، يا جينا؟ انني اعلم ان بإمكاني الثقة بحسن اختيارك، فأنت تعرفين أمي وماذا تحب.»

قالت جينا بهدوء: «انني احب امك، نعم، انني سأبحث عن مرافقة لها، واظنها ستحبها.»

«شكراً لك.»

توجه سائراً نحو الباب، ولكن ما ان فتحه حتى سمع صوت امه يقول بلهجة ناعسة من الناحية الأخرى من الشقة: «أهذا أنت، يا نيكولاس؟»

استدار باسماً وقد بدت الحرارة في عينيه: «نعم، يا أمي، هل ايقظناك من النوم؟ أنا آسف، لا بد انك متعبة للغاية.»

فاتجهت نحوهما ببطء وعانقته: «كلا يا عزيزي، فقد نمت فترة وأشعر بالراحة التامة الآن، لقد استيقظت فقط عندما سمعت صوتك.»

قبلها على وجنتيها، ثم وقف واخذ ينظر في وجهها متفحصاً: «هل اتعبتك الرحلة؟ لماذا لم تخبريني بقدومك إلى لندن فأرسل اليك طائرتي الخاصة؟»

«كنت اعلم انك تستعملها الآن، وعلى كل حال، فالرحلة من ميلانو إلى لندن قصيرة تماماً، لقد جئت في الدرجة الأولى وكانت المضيفات رائعات فقد اهتممن بي وكأنني والدتهن، وهكذا لم تكن الرحلة متعبة جداً. إن السفر بالطائرة يتعبني دوماً حتى ولو كان ذلك بطائرتك.» التفتت تبتسم لجينا، وقالت وهي تربت على ذراعها: «ثم استقبلتني جينا واحضرتني إلى هنا، ومنحتني مكاناً حسناً مريحاً لأستلقي فيه، فلا تهتم بي كثيراً، يا نيكولاس فأنا أقوى مما تظن.»

ضحك واحاط كتفيها بذراعه وأدارها نحو باب الخروج

وهو يقول: «لقد نظمت أليسا كل امتعتك، وغرفتك جاهزة لك، تعالي وانظري إلى شقتي.»

مالت السيدة كاسبيان تقبل وجنة جينا: «شكراً لرعايتك الجيدة هذه لي يا جينا، أرجو ان أراك كثيراً اثناء إقامتي في لندن، ان نيكولاس سيرتب هذا الأمر، أليس كذلك يا نيكولاس؟ فأنا طبعاً لن أمضي كل أوقات فراغي مع هذه المدعوة كوليت تسي.»

ارتجفت جينا، واخذت تنقل نظرها بين نيكولاس وأمه، ولكن وجهه بقي جامداً لا يفصح عن شيء وكذلك عيناه، وهو يقول: «سأرتب كل الأمور، هيا بنا يا أمي، فقد سبق واخذنا الكثير من وقت جينا هذا المساء.»

قالت: «آه، تصبحين على خير يا جينا، سأراك في أقرب وقت.»

قالت جينا بهدوء: «تصبحين على خير.» وعندما اغلقت الباب خلفهما عادت متمهلة إلى غرفة الجلوس وافكارها تتسارع بشكل محموم، لقد ظل نيكولاس يلاحقها، ويغازلها، ولكنه لم يطلب منها قط ان تتزوجه، فهل سيفعل نفس الشيء مع كوليت؟ ام ان علاقتهما اكثر جدية؟ وإلا فما سبب وجود أمه هنا في لندن، وحديثها ذاك عن قضاء الوقت مع كوليت؟

الفصل السادس

بعد ذلك بعدة أيام، وصلت جينا إلى المكتب مبكرة قليلاً، متوقعة أن تنفرد بنفسها إلى حين وصول صوفي في التاسعة، ولكن ما ان فتحت باب مكتبها، حتى خرج نيكولاس من مكتبه بعنف وقد توهج وجهه غضباً، «اتعلمين انهم كانوا يخططون لتدمير كل شيء؟»

«ماذا؟»

لم ينتظر نيكولاس منها ان تفكر في الأمر، فاندفع يقول: «هل تعلمين كم نسخة خسرنا؟ الطبعة الأولى بأجمعها، تقريباً، ففي شمال غرب انكلترا لم يحصلوا على نسخهم هذا الصباح، واذا ما حدث هذا عدة مرات في الشهر، فنحن سنشرف على الافلاس، فما الذي يحدث عندهم أسفل؟»

قالت جينا، قاطبة حاجبيها: «انني لا اعلم حتى ما تتحدث عنه، يا نيكولاس، اصبر إلى حين ادخل المكتب أولاً، قبل ان تبدأ بتخويفي بهذا الشكل، فمازال الصبح في أوله لمثل هذا الانفعال، وانا بحاجة إلى كوب من القهوة الثقيلة قبل كل شيء.»

ثم أدارت ظهرها إليه متجهة نحو مكتبها حيث دقت الجرس إلى مكتب الخدمات: «جوليان، هل لك بإرسال قهوة إلى مكتبي من فضلك؟»

ثم جلست خلف مكتبها ورفعت بصرها إلى نيكولاس: «والآن هل لك ان تعود فتبدأ الحديث منذ البداية؟ وهذه المرة اخبرني بالضبط ما الذي حدث الليلة الماضية.»

نظر اليها بعينين عدائيتين: «ألا تعرفين ما جرى؟»

نظرت اليه بغضب بالغ: «كلا، على الاطلاق، بماذا تتهمني؟ بالتآمر مع العمال؟ لقد اصبحت حقاً مصاباً بجنون العظمة.»

فابتسم بتوتر: «احقاً انا كذلك؟ عجباً، لقد توقفت اعمال الطباعة الليلة الماضية، لقد مررت على الدار في عودتي إلى البيت من حفلة استقبال كبرى وذلك حوالي منتصف الليل، فوجدت المكان تسوده الفوضى والهرج والمرج، ذلك أن آخر دورة للآلات كانت قد توقفت بعد خمس دقائق من ابتداء دورانها، والسبب عطل كهربائي، كما أسرعوا بالقول عندما دخلت فجأة فوجدت معظمهم واقفين يدخنون ويثرثرون مع بعضهم البعض، لقد توقف كل شيء دون إنذار، كما قالوا، فسألتهم عن الآلات الاحتياطية التي وضعت لاستعمالها في مثل هذه الأحوال، فأجابوا بأنها اشتغلت فترة وما لبثت ان تعطلت هي الأخرى.» وبدت الوحشية في عينيه. «انها مصادفة، أليس كذلك؟ كيف حدث ان تعطلت المجموعتان معاً؟ لقد سألتهم فأجابوا بأن الضغط كان بالغاً على التيار الكهربائي، فلما سألتهم كيف يمكن ان يكون الضغط غير محتمل بينما هو مصمم لهذا الغرض، لم يحيروا جواباً، فقد اخذوا يتمتمون وهم ينقلون اقدامهم.»

عضت جينا شفتها عابسة: «كم دامت المشكلة؟ اظنه اصلح الآن؟»

فهز رأسه: «كان علينا ان نتصل بالشركة التي ركبت الآلات، فلم يصل رجالها حتى الساعة الثامنة هذا الصباح، فقد كانوا مشغولين في مكان آخر، فهم لا يمكنهم القيام

بسوى عمل واحد في نفس الوقت، كما قيل لي، وكان عليّ ان ارسل مجموعة العمال الأخيرة إلى بيوتهم، لم أر أياً منهم يتطوع بالبقاء ليرى كيف يصلح العطل بنفس الطريقة الغامضة التي حدث بها، إذ لم يكن علينا سوى ان نتخلى عن النشرة الأخيرة، ثم نمسح تلك النسخ عن الألواح.»

قالت محتجة: «ولكن ما الذي جعلك تظن ان هذا العطل لم يكن مجرد سوء حظ؟»

فضحك وقال بإيجاز: «فطنتي.»

نظرت إليه بسخرية صامتة: «هل هي نفس الغريزة التي تخبرك بأنني دوماً أتآمر عليك؟»

أجابت بلهجة لاذعة: «حسناً أليس هذا صحيحاً؟» تمنت لو تستطيع انكار هذا بصراحة، ولكن كيف يمكنها هذا وهي تعلم ان الاتهام صحيح؟

حاولت ان تمزح في هذا الأمر، فقالت: «هذا صحيح طبعاً.» ثم تابعت تقول بسرعة: «حتى ولو كان هناك تخريب الليلة الماضية، فهل بإمكانك ان تثبت ذلك؟»

«إذا كان هناك أي اثبات لحصول تخريب، فان رجال شركة روبوبرينت سيعرفونه، فهم خبراء، وتلك الآلات ستفكك وتفحص قطعة قطعة حتى نتأكد تماماً مما حدث.» وعبس في وجهها «اذا كان هناك إضراب للعمال، فهذا شيء مفهوم ولكنني لن اصبر على الحيل القذرة التي تظهر الأمر مجرد مصادفة، فما حدث الليلة الماضية كان متعمداً، وأريد ان اعلم من هو وراء ذلك، قبل ان يحدث مرة أخرى.»

تعالى نقر على الباب، ثم دخلت الخادمة تحمل القهوة مع كوبي ماء. وضعت على الصينية على المنضدة وخرجت.

حينئذ تصاعد رنين الهاتف فرفع السماعة بحركة آلية قبل ان تتمكن هي من الحركة: «آلو، آه، كلا يا غاي فهي لم تأت بعد، اتصل بعد قليل، بالمناسبة، هل سمعت شيئاً عن شركة بولتون اخوان للمحاماة؟ كلا، فنحن لن ننهي الأمور خارج المحكمة، انني اعرف ألاعيبهم... فهي ابتزاز تحت اسم آخر، ليس ثمة من يستطيع ابتزازي.»

أخذت جينا ترتشف قهوتها، وقطبت جبينها عندما سمعت نيكولاس يقول: «سأراك في اجتماع بعد الظهر.» ثم وضع السماعة، فرمقته بنظرة قلقة: «بولتون اخوان؟ انها قصة مافيا شرق لندن، أليس كذلك؟ اما زالوا يهددونك؟»

فقال ببساطة: «انهم لا يزعجونني.» ثم اضاف بلهجة جافة: «حتى ليس بقدر ما تشعرين انت به، اسمعي، بما ان عمال الطباعة يرونك رائعة، ربما يمكنك ان تتحدثي اليهم بشكل عقلاني، وتجعليهم يتوقفون عن افتعال المشاكل قبل ان يجدوا جميعاً انفسهم دون عمل.»

«لا اصدق ان الرجال يقومون بتخريب آلاتهم متعمدين، إذ سرعان ما ينكشف الأمر، فهم لا يجازفون بوظائفهم ليقوموا بحيل حمقاء كهذه.»

قال نيكولاس عابساً: «سنرى.» واخذ يرشف قهوته وهو يقف عند النافذة ينظر إلى الخارج وظهره اليها.

بذهن غائب تناولت ملفاً احضر اليها هذا الصباح، ووضع على مكتبها، كان يحتوي على أرقام المبيعات والاعلانات للشهر الماضي، فتحت الملف ثم اخذت تنظر إلى الأعمدة. وإذا بها بعد لحظة تدير عينيها الحادتين إلى نيكولاس: «اظنك رأيت هذا.»

استدار ونظر إلى الملف: «الأرقام الشهرية؟ نعم طبعاً.»

فهتفت غير مصدقة: «ان توزيع الصحيفة يرتفع واحداً بالمئة.»

فابتسم لها ساخراً: «وهل كنت ترجين مزيداً من الهبوط في التوزيع اكثر مما حدث؟»

قالت وهي تنظر بعيداً متهربة من الجواب: «هذا ما كنا نريده، ان يستمر الهبوط في التوزيع حالياً...» قالت ذلك متهكمة، متهربة من الجواب وهي تنظر بعيداً، كان لدى نيكولاس القدرة على التكهن بشكل ذكي حتى ولو لم يدرك هو تماماً ما يقوله، فقد كان من الضروري، بالنسبة لخطة السير ديرموت، ان تبقى ارقام التوزيع هابطة، فقد كانت نتيجة هبوط إيرادات البيع والاعلانات خلال الأشهر القليلة الماضية، ان اخذ بقية افراد مجلس الإدارة في الالتفاف حول اعداء نيكولاس، ولكن إذا بدا انه قد عاد إلى خط النجاح، فإن اصدقاءهم سيندفعون عائدين لمساندته ويدمرون كل أمل في ان يصوتوا لإخراجه من السلطة.

فقال: «حسناً، ان الذي وضع الجدول كان مخطئاً، فالأمر يبدو وكأننا اجتزنا الأزمة بسلام، رغم اننا لا يمكن ان نتأكد من شيء... أو أي شخص.»

قالت جينا تغير الموضوع: «هل أمك وأليسا مستمتعتين بهذه الزيارة؟»

«ان أمي لا تحب لندن كثيراً، وخصوصاً في فصل الشتاء، ان الحنين يتملكها إلى سان فرانسيسكو.»

«لا استطيع القول انني ألومها ولديها مثل ذلك المنزل الجميل، لو كان ذلك بيتي لما تركته أبداً.»

«انها لا تتركه كثيراً، والسبب الوحيد الذي جعلها تسافر إلى ايطاليا هو انه يبدو ان أختي قد استقرت هناك، فأرادت أمي ان تعرف سبب ذلك.»

قالت جينا ضاحكة: «وماذا كان السبب؟»

«الرسم، يبدو ان أليسا لديها حياة عاطفية حالياً.»

تذكرت جينا ما كانت أليسا قالته عن الذعر الذي يتملكها كلما وقعت في الغرام، ما يجعلها تهرب منه، أترى حدثت اليسا اخاها عن مشاعرها تلك؟ ثم قال: «بالمناسبة، لقد حجزت مقصورة في المسرح لمساء الغد لأجل أمي وأليسا لسماع التوزيع الجديد لموسيقى (أليس في بلاد العجائب)، وتساءلت أمي عما اذا كنت تحبين القدوم معهما.»

«هذا لطف بالغ منها، لقد كنت فعلاً متلهفة لرؤية ذلك ولكنني لم اذهب.»

قالت جينا هذا ببطء وهي تحاول ان تفكر، هل سيكون هو هناك؟ وماذا لو احضر معه كوليت؟ ولكن جينا لم تستطع ان تتصور قضاء السهرة في صحبتهما تنظر اليهما معاً، فترى بعينيها ما كان يقوله كل انسان.

كان نيكولاس يراقبها بدقة ما جعلها تشعر بالتوتر، ثم قال بحدة وفروغ صبر: «حسناً، هل ستذهبين أم لا؟»

«لا تزمجر في وجهي.»

فقال مزمجراً: «أتمنى فقط لو افهم ما يجول في رأسك، فأنت تحيرينني، دوماً كنت تظهرين الحب لأمي، وانا اعلم انها اصبحت تحبك كثيراً، هي أيضاً... فلماذا تبدين دوماً الكراهية لقضاء أي وقت معها؟ لم تقبلي ان تمضي العيد معها، كما انك مترددة في قبول الدعوة إلى حضور المسرحية...»

قالت محتجة وقد تملكها الفزع لهذه التهمة خشية ان يقول شيئاً كهذا لأمه: «ان امك امرأة حبيبة وأحب الحديث معها جداً.»

«لماذا إذن انت مترددة؟»

نظرت في عينيه متحدية: «هل ستكون انت هناك؟»

توترت شفتاه واخذ يحدق فيها عابساً، ثم قال مكشراً وقد بدا عليه الإشمئزاز: «هكذا إذن... فهو انا الذي تكرهين ان تمضي السهرة معه، أليس كذلك؟ ولا شك انك تجدين صعوبة بالغة في تحمل رؤيتي هنا يومياً، واضطرارك إلى مشاركتي المكتب، ربما الأفضل لك ان تستقيلي وتبحثي عن عمل في مكان آخر.»

ردت عليه بغضب وقد توهج وجهها: «إذا كان على شخص ما ان يستقيل، فهو انت وليس أنا.»

فضحك بجفاء: «آه، هذا سيسرك جداً لو حصل، أليس كذلك؟ والآن قولي لي انني اعاني من جنون العظمة.»

«أنا لا انكر انني أريد ان أراك تغادر سنتنال إلى الأبد.»

«حسناً، هذا أمر سيء، فأنا لن اذهب من هنا.» واضاف بابتسامة غاضبة: «والآن ماذا اقول لأمي؟ نعم أم لا؟»

كانت من الغضب هي أيضاً بحيث ردت عليه بعنف: «نعم.»

قال ببرودة: «من المؤكد ان بإمكانك ان تتحملي صحبتي في تلك السهرة.»

«سأحاول ان اصبر على ذلك.»

بدا العنف في نظراته: «انك أكثر النساء...» سكت وهو يتنفس بعمق، ثم قال بهدوء: «سنذهب من العمل مباشرة لنتناول عشاء خفيفاً قبل الذهاب لمشاهدة العرض، وذلك

في مطعم سافوي، فهو قريب من المسرح.» ثم خرج من الغرفة دون ان ينتظر منها جواباً، فأخذت هي تحدق في أثره شاعرة بالبرودة. والاكتئاب، لماذا ينهيان حديثهما دوماً بالشجار كالقطة والكلب؟

وصلت صوفي بعد خمس دقائق، لاهثة شعثاء الشعر: «آسفة لتأخري، فقد كان هناك حادث في قطار الميترو، ما جعل قطاري يقف في النفق حوالي ثلث الساعة، ثم انزلونا منه قبل أن نصل، وإذ لم اجد حافلة استقلها، فقد اضطررت إلى قطع بقية الطريق سيراً على الأقدام.»

قالت جينا بعطف: «ان لندن تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، إلى حد الاختناق، فالسيارات كثيرة وكذلك عدد الناس، وإذا لم يجدوا حلاً لذلك، فهذه المدينة لن تعود صالحة للسكن.»

تابعت جينا بعد قليل: «ما زالت هذه القهوة ساخنة، فخذي كوباً منها قبل ان تبدإي العمل.»

تناولت غداءها مع روز إيميري في مطعم بيير، فقد كانتا تواعدتا على تناول الغداء معاً كلما كانت روز في لندن، اخذتا تتحدثان عن مجموعة من المواضيع... السياسة، وفيلم فرنسي كانت روز رأته في باريس منذ أيام، والعطل الذي حدث الليلة الماضية في المطابع وردة الفعل لذلك عند نيكولاس، «انه مقتنع بأنه تخريب متعمد.» قالت جينا ذلك وهي ترشف من عصير الليمون.

قالت روز ساخرة: «وهل هذا صحيح؟»

«لا أحد يعلم، خصوصاً أنا، ثم لا أريدك ان تنظري إليّ بهذا الشكل، يا روز. قد يعتقد نيكولاس بأنني أتآمر ضده مع كل اعدائه، ولكنك طبعاً، لا تظنين ذلك.»

لوت روز ملامحها، قائلة: «ربما ليس مع كل اعدائه.»

بادلتها جينا النظر، ثم تنهدت، قائلة: «آه، يا روز، انني بالغة الحيرة، فأنا لا استطيع ان اعرف نوع شعوري نحوه، ولا استطيع ان أقرر ماذا عليّ أن افعل...»

قالت لها روز بشفقة جافة: «لقد سبق وحذرتك من حبه.»

«لا تستمري في هذا القول لي.»

«آسفة، فلا استطيع منع نفسي من ذلك، فأنا لا استطيع ان اتصورك من الغباء بحيث تقعين في غرام رجل مثل نيكولاس كاسبيان بينما أنت تعلمين ان عشرات النساء تلاحقنه، وبعضهن من أسر عريقة. ان امثال نيكولاس كاسبيان من الذين يملكون الكثير ليقدموه إلى المرأة، يكونون عادة دقيقين في الاختيار، ومع مرور السنوات تصبح فرص العثور على ذلك أقل وأنا لا اظنه سيتزوج الآن، إلا اذا تزوج فجأة فتاة صغيرة، عندما يتملكه اليأس، وذلك لينجب أولاداً.»

ارتجفت جينا وقالت وهي تكاد تبكي: «كفى.»

هزت روز كتفيها: «لا بأس، ولكن عليك ان تواجهي الواقع.»

«هذا ما اقوم به، فعندما اتذكر كيف كانت سنتنال، ثم كيف اصبحت الآن، اشعر بالغثيان، رغم انني لا انكر انها تبيع من النسخ مقداراً لم يحلم به آل تيريل قط، ويبدو ان الناس يفضلون هذا النوع من الصحافة.» تنهدت جينا وهي تفرك جبهتها، قائلة: «أواه، لا أدري بماذا افكر...»

حينئذ جاء النادل ورفع الأطباق من امامهما، وقدم اليهما قائمة الحلويات، ولكنهما اكتفتا بطلب القهوة فقط، فاحضرها على الفور.

وعندما اصبحتا وحدهما مرة أخرى، اخذت روز ترشف القهوة وهي تبتسم: «ان قهوتهم هنا جيدة، فعلاً، كما تعلمين رغم انني لم استطع ان اجعل دانيال يعترف بذلك.»

كانت تغير الموضوع ما جعل جينا تشعر نحوها بالشكر، فسألتها: «ألم تحددا موعد الزفاف بعد؟»

«في الربيع، وهو سيكون عرساً فخماً للغاية، ان لدى دانيال مئات من الأقارب والمعارف منتشرون بين فرنسا وكندا، وبروفنسا، انهم لن يأتوا جميعاً، ولكن سيكون هناك من اقاربه اكثر كثيراً مما سيكون لديّ أنا.»

«أين ستمضيان شهر العسل.»

«لم يشأ دانيال ان يخبرني فهو يريدها مفاجأة، كل ما قاله انه سيكون في مكان لم أذهب اليه من قبل.»

ضحكت جينا قائلة: «لا يحتاج إلى كثير من التصورات، إذ لا بد انك سافرت إلى أكثر بلدان العالم، وذلك أثناء تجوالك كمراسلة خارجية.»

بدا الأسى على وجه روز: «نعم، اظنني رأيت اكثر مناطق الكرة الأرضية، وسأشعر بارتياح بالغ عندما استقر في باريس نهائياً عندما يترك أبي وظيفته.»

«ظننتك لن تأخذيها؟»

«لقد غيرت رأيي.»

فأجفلت جينا: «وما رأي دانيال في ذلك؟»

«لقد اخذنا نناقش هذا الأمر منذ قدم لنا نيكولاس هذا العرض، وكنت رأيت شعور هيزل عندما عاشت منفصلة عن بييت عندما كان في هولندا بينما بقيت هي هنا، ولهذا لم اظن ان الأمر سينجح معي، ولكن دانيال نصحني بالقبول،

حيث اننا اعتدنا ان نكون منفصلين، وسيرتاح تماماً عندما يراني مستقرة في مكان متمدن مثل باريس بدلاً من الطوف حول العالم ملاحقة المناطق المليئة بالمشاكل حيث يمكن ان اتعرض على الدوام إلى اطلاق الرصاص أو الانفجارات، ففي باريس على الأقل، أسوأ ما يمكن ان اتعرض له هو محاولة عبور شارع الاتوال في وقت الغداء، وطبعاً، سنكون بعيدين عن بعضنا البعض خمسة ايام في الأسبوع، ولكن ما يفصلنا لن يكون سوى ساعتين أو نحو ذلك، وبهذا يمكننا ان نرى بعضنا أحياناً كثيرة، ثم قد لا أبقى في باريس اكثر من عام، أو نحو ذلك، فنحن أنا ودانيال، نفكر في العودة إلى مونتريال للعيش هناك نهائياً، فنحن نفضل إنشاء اسرتنا هناك أكثر من هنا.»

نظرت اليها جينا بحزن: «لن أراك بعد ذلك أبداً.»

تنهدت روز: «حسناً، لن تكون مقابلاتنا كثيرة، وانا أيضاً سأفتقدك، ولكن هذا كله سيحدث بعد فترة طويلة، فلا تدعي الكآبة تمتلكك.»

قالت جينا بصوت باك: «وكيف يمكنني منع نفسي من ذلك، لقد ذهبت هيزل، وها انت ذي تفكرين في الذهاب إلى الناحية الأخرى من العالم... كل شيء يتغير، يا روز، منذ سنة واحدة فقط، كانت سنتنال تحت إدارة السير جورج تيريل وكنا ما نزال في شارع فليت ستريت، وهيزل لم تكن تعرفت إلى بييت بعد، وانت لم تكوني مخطوبة لدانيال، وانا كنت لا أكاد اعرف اسم نيكولاس كاسبيان.»

قالت روز برقة: «ولكن هذه هي الحياة يا جينا، أليس كذلك؟ فالعالم يتغير كل يوم، ونحن كذلك، ألا يقولون ان

خلايا الجسم بأجمعها تكون قد تغيرت تماماً كل سبع سنوات؟ وهكذا انظر اليك الآن ولكن جينا الآن ليست هي نفسها جينا، جسمانيا، التي عرفتها منذ سبع سنوات، ظاهراً، هي نفسها، ولكنك داخلياً، قد تغيرت كلياً.»

فارتجفت جينا وهي تقول: «كلام خرافة، ولا شك انك اخترعته بنفسك.»

«صدقيني، انني لم افعل هذا.»

قالت جينا وقد شحب وجهها وبان الشجى في عينيها: «منذ سبع سنوات كان جايمس ما يزال حياً، لم اظن قط انني سأقع في الحب مرة أخرى بعد ان مات.» سكتت وقد ارتجفت شفتاها، ثم عادت تقول: «ألا ترين هذا فظيعاً، يا روز؟ كأمواج عاتية تحملك إلى مكان آخر دون ان تترك لك فرصة تقاومين فيها؟ فالمرء لا يعرف حتى ما يحدث بين لحظة وأخرى، فما ان تكوني واقفة في مكان ما مع صديق أو شخص تحبينه، شاعرة بجمال الحياة واستقرارها نهائياً... إذا بك ترين نفسك وقد سلخت منك الحياة كل ما ألفته واحببته مدمرة سعادتك... تاركة إياك تعانين الغربة والوحدة.»

نظرت اليها روز مقطبة جبينها باهتمام: «انك تمرين بمرحلة سيئة، أليس كذلك؟ اسمعي، تناولي العشاء معي ومع دانيال هذه الليلة في بيتنا، انها لن تكون وليمة فخمة، لأنني سأطهي معكرونة، ولكننا سنتحدث ونحاول الترفيه عنك.»

«لشد ما كنت سأحب ذلك، يا روز، ولكنني سأذهب هذه الليلة لرؤية مسرحية (أليس في بلاد العجائب).» سكتت لحظة ثم اضافت بلهجة جافة: «مع نيكولاس وأمه وأخته.»

«آه، أحقاً؟ حسناً، ستكونين في امان ما دامت أمه معكما.»

تذكرت جينا هذا القول عندما بقيت في نفس المساء، مع نيكولاس في غرفة المكتب بعد ان خرجت صوفي في السادسة تماماً، إذ ما ان انغلق الباب خلفها، حتى تصاعد التوتر بينهما حتى شحن جو غرفة المكتب جاعلة خفقات قلب جينا تتسارع.

سألت نيكولاس: «في أي وقت سنقابل امك واختك؟»

قال وهو ينظر إلى ساعته: «في السادسة والنصف في سافوي، واظن انه كان علينا ان نكون في طريقنا إليهما الآن، يجب ألا نتأخر وإلا فلن يكون لدينا وقت للعشاء قبل دخول المسرح.»

نهضت جينا شاعرة بالارتياح، واتجهت إلى حيث كان معطفها معلقاً، وهي تشعر بنيكولاس يراقب مشيتها.

همس يقول: «تبدين جذابة جداً في هذا الثوب، يا جينا.»

حاولت الاحتفاظ بهدوئها، ولكنها كانت تدرك انها لا يمكن ان تخدعه، فقد كان يعرف مدى تأثيره عليها.

ثم قال لها برقة: «لو لم نكن مستعجلين، لكان لنا شأن آخر، ولكن لا بأس، في وقت آخر.»

ثم ابتعد ليحضر معطفه، فاتجهت نحو الباب وهي ترتجف ففتحته ثم وقفت بانتظار نيكولاس الذي كان يلف حول عنقه وشاحاً حريرياً أبيض، ويقفل معطفه الكشميري الأملس، ثم يحمل قفازيه الأسودين الجلديين.

كانت سيارته الرولز روس البيضاء تنتظر خارج مجمع باربري وارف امام البوابة الرئيسية، فقد كان سائقه الخاص

هو الذي يقود السيارة به عندما يكون لديه موعد ليلي وذلك كيلا يواجه نيكولاس مشكلة العثور على مكان لتوقيف السيارة.

صعدت جينا إلى المقعد الخلفي في السيارة بحذر وهي ما زالت تشعر بنيكولاس وهو ينظر إليها. ثم قال لسائقه: «اسرع إلى مطعم سافوي قدر استطاعتك.» ثم حنى قامته الفارعة الطول لكي يدخل إلى جانبها، وعند ذلك سمعت جينا صوتاً غريباً مدوياً اشبه بالمفرقعات النارية، وفي نفس الوقت رأت وهجاً من الضوء برتقالي اللون، ثم سمعت صراخ شخص ما، وسمعت الناس يركضون ثم ضجيج محرك سيارة في مكان قريب.

تملك جينا الذهول والارتباك، ما الذي يجري؟ بدا وكأن مرور الوقت اخذ يتباطأ بشكل غير عادي، كانت تحدق في وجه نيكولاس مطلاً من باب السيارة المفتوح... وبدا لها غريباً للغاية، شاحباً جامد الأسارير، وكان فمه مفتوحاً... وتملكها شعور بأنه كان يصرخ، أو يصيح، ولكنها لم تسمعه يصدر صوتاً، كان ما يزال منحنياً إلى الأمام وقد بسط يديه امامه، ثم عاد الوقت إلى سرعته العادية، وخارج السيارة، في الشارع، قفز رجل يحمل بندقية إلى السيارة التي كان محركها يدور محدثاً ضجة عالية، فانطلقت به السيارة.

سقط نيكولاس إلى الأمام، ليقع على وجهه عند قدميها... فأخذت تحدق فيه برعب وذهول، بينما كان خيط من الدم يسيل على وجهه من تحت شعره الأسود.

الفصل السابع

سقطت جينا على ركبتيها بجانبه، وهي تتأوه هاتفة باسمه: «نيكولاس، نيكولاس...» كان ميتاً... نعم، إنها تعلم أنه ميت. لمست وجهه فوجدته بارداً. لم تستطع أن تسمع صوت تنفسه. لمست شفتيه فوجدتهما رطبتين، فنظرت إلى أصابعها، فوجدتها ملطخة بالدم... دم نيكولاس وسمعت صوت السائق خلفها يقول وهو يقف بالباب ينظر إلى جسم نيكولاس: «آه، هل هو ميت؟»

همست بصوت مبحوح: «لا أدري.» ولكنها كانت واثقة من ذلك. لقد كانت خسرت جايمس بحادث مفجع، وقد جعلها هذا تتوقع المآسي على الدوام. وشعرت بالخوف يشلها.

قال لها: «هل رأيت الرجل؟ كانت بيده بندقية. لقد برز فجأة من مكان ما، وفي اللحظة التالية اختفى تماماً... لقد رأيت كل شيء... ولكنني لم استطع أن أفهم ما يحدث... كان في يده شيء ولكنني لم استطع معرفة ما هو... إلى أن اطلق الرصاص على السيد...»

نظرت جينا حولها... كان وجه السائق شاحباً وكذلك عيناه كانتا ذاهلتين... وكان ممسكاً بقبضة الباب بيد مرتجفة... كان كله يرتجف من الرأس حتى القدم. وسمعت اسنانه تصطك وهو ينظر إلى نيكولاس.

أخيراً تمتمت تقول وهي تحاول تمالك نفسها: «فكر... افعل شيئاً.» وأدخلت يدها تحت ياقته إلى عنقه تتلمس

نبضه دون أمل... لكن كان ثمة حركة طفيفة. زادت الضغط على عنقه... نعم، ثمة نبض... إن نيكولاس ما زال حياً.

تغير كل شيء وسحبت نفساً طويلاً معذباً وهي تقول بصوت مرتجف: «إنه حي... إنني أحس بنبضه... ساعدني على إدخال ساقيه إلى السيارة.»

قال السائق متلعثماً: «هذا لا ينبغي، يا سيدتي. من المفروض عدم تحريك المصاب بشكل سيء. لقد قرأت ذلك. إن علينا أن نتصل بسيارة الاسعاف ثم ننتظر هنا.» ونظر حوله بعنف، ثم انفجر يقول فجأة: «هاتف السيارة... هذا ما نحن بحاجة إليه.»

كان الناس قد ابتدأوا يتجمعون على الرصيف رغم أن جينا لم تكن منتبهة إليهم.

قالت له بلهفة: «ليس لدينا وقت. فسيارة الاسعاف تأخذ وقتاً طويلاً لتصل إلى هنا، بينما بإمكاننا أن نأخذه إلى اقرب مستشفى وذلك في عدة دقائق. هيا ارفع ساقيه إلى الداخل وسنحاول ألا نحرك رأسه...» وتهدج صوتها، ابتلعت ريقها ثم تابعت بصوت مبحوح: «هنا حيث اصابته الرصاصة.»

كان الجرح ظاهراً، فقد كان شعره ملوثاً بالدم في مؤخرة رأسه، وحولت عينيها عنه، شاعرة بالغثيان.

«سيصاب بالارتجاج يا سيدتي فتسوء حالته، حقاً لا ينبغي لنا ان نحركه...» ولكنها رمقته بنظرة هائلة وقد التمعت عيناها بإصرار يائس: «افعل ما اقوله لك، فأنت تضيّع الوقت بالجدل.»

تغير وجه السائق وتوهج احمراراً، عندئذ تقدم رجل من الحشد المتجمع هناك، للمساعدة فعرفت فيه أحد عمال

الكهرباء في قسم الطباعة. فحمل هو والسائق ساقي نيكولاس وأدخلاهما بحذر بالغ، إلى السيارة.

جلست جينا بجانب رأسه لكي تسنده إذا تحرك ولكنها لم تجرؤ على رفع رأسه ولو إلى حد تتمكن معه من دس وسادة تحته خوفاً من أن تكون مخطئة في هذا ولكنها دست واحدة خلف ظهره لكي تبقيه في هذا الوضع فلا يتدحرج عندما تتحرك السيارة.

«والآن، تحرك بالسيارة بهدوء، ولكن دعنا نصل بقدر إمكانك من السرعة.»

لكن السائق ما زال لم يذعن، إذ نظر إليها بعناد وكآبة: «حسناً، إذا كنت تتحملين أنت المسؤولية، يا سيدة تيريل... لا اعتقد أن بإمكاننا أن نحركه، ولكن إذا اصدرت إليّ أمراً، فسأقود السيارة بكما.»

نظرت إليه جينا بهدوء: «إنني اتحمل كامل المسؤولية، فهل لك أن تجلس خلف عجلة القيادة تلك وتكف عن الجدل؟» ثم منحت عامل الكهرباء ابتسامة باهتة وهي تقول له: «اشكرك.»

فأومأ قائلاً: «إننا سنتصل هاتفياً بالمستشفى ونخبر قسم الطوارىء بحضوركما إليهم.» ثم أغلق باب السيارة.

كانت الرحلة كابوساً بالنسبة إلى جينا فقد كانت تشعر بكل هزة للسيارة عند المنعطفات. وكانت نصف مستلقية بجانب نيكولاس وذراعها حوله تحتضنه وتلاحظ بحدة أي تغيير في حالته، ولكنه كان ما يزال غائباً عن الوعي عندما وقفت السيارة أمام قسم الطوارىء في المستشفى، بعد وقت قصير.

كانوا قد أخذوا علماً بالحادث، فوقفوا في الانتظار.

أخذ الطبيب يطرح اسئلته أثناء فحص سريع لنيكولاس

قبل أن يسرعوا بنقله إلى النقالة، ولكنه لم يكن ينتظر جواباً منها قبل أن يردف سؤاله بآخر.

«هل هو حادث اطلاق نار؟»

«نعم، لقد...»

«في الرأس؟»

«نعم، حسب ما...»

«أليس ثمة جروح أخرى؟»

«لا أظن...»

«متى حدث هذا؟»

نظرت في ساعتها وقد تشوش ذهنها. «لا أدري.» لقد حدثت أشياء كثيرة حينذاك حتى إنها لم تستطع ان تصدق، وهي تنظر إلى ساعتها. فقد كانت الساعة السادسة والنصف تماماً، وكانا قد خرجا من مكتبهما الساعة السادسة والربع... وهذا يعني ان الحادث كان منذ ربع ساعة فقط، وفي سافوي كانت أمه وأخته تنتظرانهما متوقعتين دخولهما في أية لحظة.

وإذ تذكرتهما، انفجرت تقول: «آه... أمه... يجب أن أخبر أمه بما حدث...»

وفي نفس الوقت، كان السائق يقول بخشونة: «لقد حدث الأمر في الساعة السادسة والثلث بالضبط. قلت لها إن علينا ان لا نحركه، ولكنها أصرت على ذلك. قلت لها...»

نظر الطبيب إلى جينا، فقالت وقد بدا الخوف في عينيها: «هل أذيته فضعف حظه في الشفاء...؟»

قال الطبيب: «في هذه الحالة، كلا، فلا تقلقي ولكن يجب منع تحريك المصاب مطلقاً قبل أن يراه الطبيب.»

نظر إليها السائق وكأنه يقول: «أرأيت إنني على حق؟» ولكنها لم تلق إليه بالاً فقد كان اهتمامها كله منحصراً في نيكولاس وكذلك كان الطبيب.

«هل بقي فاقداً الوعي منذ الحادث.»

«نعم، فهل هذه علامة سيئة؟»

نظر إليها الطبيب متفحصاً بحدة: «ماذا عنك أنت؟»

قالت له دون أن تفهم: «أنا؟» ثم أدركت ما يعنيه، فقالت: «كلا. لم يطلق علي الرصاص، ولم يحدث لي شيء.»

«الأفضل أن تبقي هنا، على كل حال إلى أن أجد وقتاً أفحصك فيه.» قال ذلك وإذا بكل فرقة الاسعاف تأخذ في الركض آخذين نيكولاس معهم، فاضطرت جينا إلى الركض خلفهم.

ركض خلفها شرطي وأمسكها بذراعها. «قفي لحظة يا آنسة، فأنا أريد أن استفهم عن بعض التفاصيل.»

نظرت في أثر النقالة. كان نيكولاس مغطى الآن ببطانية، ولكنها استطاعت ان ترى شعره الأسود ظاهراً.

قالت للشرطي: «أريد أن أذهب معه.»

«إنهم لن يسمحوا لك بذلك. إنهم يعلمون ما يقومون به، فلا تقلقي، فالأطباء هنا يستقبلون يومياً، في قسم الطوارىء هذا، كل أنواع الاصابات، فهو في أيد امينة تماماً يا آنسة... ما اسمك من فضلك؟»

أجابت: «السيدة تيريل.»

فكتب الشرطي: «زوجته؟»

«كلا، فنحن لسنا متزوجين.»

«فهمت، ولنبدأ من البداية... ما اسمه؟»

قالت: «كاسبيان نيكولاس كاسبيان.»

وقفت يد الشرطي عن الكتابة، ورفع رأسه يسألها: «صاحب الجريدة؟»

فأومأت إيجاباً كانت قد ابتدأت تشعر بشيء غير عادي يتملكها. فقد كانت الأرض تتحرك بشكل غريب... ودار رأس جينا، وتأرجح جسمها وهي تحدق إلى الأرض شاعرة بالارهاق وقد تملكها الخوف من أن تقع على الأرض في أية لحظة.

«هذا غريب.» ثم وقعت على صدر الشرطي الذي أمامها.

وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها مستلقية على سرير. نظرت أعلى إلى السقف المزخرف. ثم إذا بشخص يتحرك، ثم يتنحنح، قائلاً بصوت هادىء متمهل: «كيف حالك الآن، يا سيدة تيريل؟» عرفت جينا صاحب هذا الصوت، ومع هذه المعرفة عادت إليها ذاكرتها، فهمست: «نيكولاس... هناك من اطلق النار على نيكولاس...» ثم أضافت بلهجة صبيانية: «هل أغمي علي؟»

«نعم، ولكن ليس هناك ما يقلق لقد ألقت إحدى الممرضات، نظرة عليك ثم قالت إنك على ما يرام، وأن ما حدث لك كان مجرد صدمة. إنهم سيحتجزونك في المستشفى هذه الليلة من باب الاحتياط، ولكنهم لم يجهزوا سريراً لك بعد، ولهذا وضعوك في سرير هنا ثم طلبوا مني البقاء معك ثم أسرعوا بالخروج.»

سألته: «ماذا حدث لنيكولاس؟»

لكن الشرطي قفز لكي يمنعها من النزول وقد بدا الاهتمام على ملامحه: «إنهم يهتمون بأمره، فليس ثمة ما يمكنك القيام به، كما تعلمين... هل تشعرين بتحسن؟ هل تريدين أن احضر لك شيئاً؟»

كانت ما تزال تشعر بالضعف فعادت تستلقي مرة أخرى وهي تقول: «أريد كوب شاي من فضلك.»

فقال: «هذا ما يريده الجميع على الدوام. هل تريدين معه سكراً؟ حليباً؟»

«نعم من فضلك.»

وعندما استدار ليخرج من بين الستائر، قالت له: «هل لك أن تسأل عن نيكولاس من فضلك. أريد أن أعرف كيف حالته...»

«كنت سأسأل على كل حال، والآن إبقي حيث أنت. عليك ألا تتحركي.» وعاد الستار ينسدل بعد ذهابه فأخذت تحدق إليه، شاعرة وكأنها في كابوس يتملكها فيه الشعور بالوحشة والوحدة وقد شحن الجو حولها بالخوف والألم.

عاد الشرطي حاملاً فنجاني شاي من الورق. وإذ جلست جينا في السرير، ناولها واحداً منهما.

«إنه الآن في غرفة العمليات. ولكن ممرضة أعرفها جيداً أخبرتني بأن حالته ليست سيئة وأنه سيصبح على ما يرام.»

حدقت جينا فيه صامتة. إنها لم تصدقه تماماً، ولكن نيكولاس كان حياً على كل حال.

ثم قال: «إشربي الشاي، يا سيدة تيريل، لأنني مضطر إلى أن ألقي عليك بعض الاسئلة.»

أخذت ترشف الشاي بامتنان، شاعرة بالتحسن لسخونته في معدتها، وبعد ذلك أخبرته بكل ما تعرفه، والذي لم يكن كثيراً، فهي لم تر حقاً الرجل حامل البندقية، وشرحت له السبب بأنها كانت داخل السيارة. فهي لم تر سوى نيكولاس وذلك منذ اللحظة التي أطلق عليه فيها الرصاص وصفت له الأصوات التي سمعتها والسيارة التي كانت في انتظار

الرجل المسلح والذي صعد إليها ومن ثم انطلقت به بسرعة بالغة، ثم أنهت حديثها بقولها: «ربما السائق يعلم أكثر مني. هل ما زال هنا؟»

«نعم، وأحد زملائي يتحدث معه.» نظر إليها متفحصاً: «هل أنت واثقة من أنك لم تشاهدي الرجل المسلح؟»

«رأيت شكله فقط... شكلاً قاتم اللون فقد كان واقفاً بعيداً عن الضوء المنبعث من مصابيح الشارع.»

ألقى عليها بعد ذلك عدة أسئلة أجابت عنها قدر إمكانها، فقد كان كل انتباهها محصوراً في نيكولاس ما جعلها لا تكاد تتذكر شيئاً آخر.

«إنه السؤال الأخير، يا سيدة تيريل، هل تعرفين أي شخص قد يرغب في قتل السيد كاسبيان؟ أي شخص يتملكه الحقد عليه أو كان هدده من قبل.»

«نعم، فقد عرفت على الفور عندما حدث له ذلك. فقد كان الخوف يتملكني دوماً من شيء كهذا.» قالت له جينا هذا ثم حدثته عن مقالات توم بيرني في الجريدة عن عائلات المافيا في شرق لندن، وعن التهديد الذي كان تلقاه، هو ونيكولاس.

فسألها الشرطي: «أين يمكنني أن أجد هذا المدعو توم بيرني هذه الليلة؟»

فهزت رأسها تعبر بذلك عن جهلها، ولكنها ما لبثت أن تذكرت أن لديها في حقيبتها دفتر عناوينها، ومن ثم أخرجت عنوان توم ورقم هاتفه وسلمتهما للشرطي وهي تقول: «لقد توسلت إليه بأن يتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه ولكنه أخذ يضحك، ولم يعتبر الأمر جدياً، وكذلك نيكولاس والذي كان مثله استهتاراً...» ثم سكتت فجأة وقد اتسعت عيناها ذعراً: «توم...

آه، يجب أن تعثر عليه قبل أن ينفذوا تهديدهم. فما داموا حاولوا قتل نيكولاس، فسيحاولون ان قتل توم.»

لكن الشرطي كان قد وقف فعلاً يريد الخروج وهو يقول: «سأبحث عنه فلا تقلقي، ارتاحي، يا سيدة تيريل وهم سيأتون ليخبروك بكل ما يجد من أخبار.»

عندما خرج، نزلت جينا من سريرها، وإذ كانت تعلم أنها حافية القدمين حيث أنهم نزعوا حذاءيها من قدميها، أخذت تبحث عنهما تحت السرير وإذا بشخص يدخل من خلف الستائر ليقول لها: «ما الذي تفعلينه؟»

نهضت واقفة: «أبحث عن حذائي.»

وإذ رأته نفس الطبيب الذي أدخل نيكولاس إلى المستشفى، عادت تقول: «هل ما زال في غرفة العمليات؟ ما الذي يفعلون له؟ هل تظنه سيشفى؟»

«إنه في غرفة العمليات الآن وهم يعالجون جرحه.»

وإذ رآها تجفل، ابتسم يخفف عنها: «لا شيء يستوجب القلق، فهو رجل محظوظ جداً، في الواقع. فقد اصطدمت الرصاصة برأسه ولكنها لم تخترق دماغه. لقد نزف كثيراً ولكنه لن يحتاج إلى جراحة، بل إلى خياطة الجرح فقط بعد تنظيفه.»

لم تستطع جينا أن تصدق ذلك: «ولكن... لقد بقي مدة طويلة غائباً عن الوعي...»

«آه، كان ذلك بسبب ارتطام رأسه حين سقوطه، كما أظن، فثمة رض واسع في صدغه ليس له علاقة أبداً بالجرح الناتج عن الرصاصة. قد يحصل له ارتجاج في المخ، ولكن صورة الأشعة لم تظهر أي تلف على الإطلاق، فهو كما قلت، رجل محظوظ جداً.»

ثم أمسك بمرفقها بقوة وهو يقول: «والآن عودي فاستقلي على فراشك ودعيني ألقي عليك نظرة. إلى أين أنت ذاهبة، بالمناسبة، لقد سبق وقلت لك إنني أريدك أن تبيتي هنا هذه الليلة لاحتمال حدوث صدمة لك... فالتأثير الذي يعقب شيئاً كهذا قد يكون سيئاً للغاية، كما تعلمين.»

«علي أن اتصل هاتفياً بوالدته، فقد كانت ستنتظرنا في مطعم سافوي للعشاء، ولعلها ما زالت تنتظر يجب أن اعلمها بما جرى.»

قال الطبيب وهو يخرج من الغرفة: «سأحضر إليك الهاتف.» ثم عاد بعد دقائق يحمل هاتفاً نقالاً: «هوذا الهاتف، قومي باتصالاتك، وسأعود بعد خمس دقائق لألقي نظرة عليك.»

«آه، شكراً.»

طلبت جينا أولاً الاستعلامات تطلب رقم مطعم سافوي ومن هناك طلبت مكالمة السيدة كاسبيان.

انتظرت عدة دقائق قبل أن تسمع صوت السيدة كاسبيان يقول بلهفة وقلق: «نيكولاس؟»

فعضت جينا شفتها: «كلا، يا سيدة كاسبيان فهذا أنا جينا. إنني آسفة إذ اخبرك أن حادثاً قد وقع...» وسمعت المرأة تشهق بصمت، ثم تهمس قائلة: «هل أصيب نيكولاس هل اصابته خطيرة؟ هل...»

أسرعت جينا تطمئنها، قائلة: «سيكون على خير ما يرام.» فأطلقت السيدة كاسبيان آهة طويلة ثم قالت: «هل كان يقود سيارته الرياضية؟ طالما اوصيته بأن لا يسرع في قيادته...»

لم تعرف جينا كيف تخبرها بالحقيقة، فقد تؤذي الصدمة قلب هذه المرأة التي كانت جينا تعلم أنها ليست حسنة الصحة.

«إنهم يجرون له جراحة بسيطة حالياً ولكنهم أخبروني بأنها ستنتهي في أية لحظة الآن. لن يكون بإمكانك رؤيته قبل مضي فترة، ولهذا لا فائدة من المجيء لرؤيته هذه الليلة، ويمكنك رؤيته غدا. لماذا لا تأكلين شيئاً ثم تذهبين إلى المسرح؟»

«كلا، لن أزعج نفسي بذلك، فأنا سأعود إلى البيت وأشاهد التليفزيون ساعة أو نحوها، ثم أنام باكراً.»

سألتها جينا: «هل أليسا موجودة معك؟ هل يمكنني أن اتحدث إليها؟»

«أليسا؟ نعم، إنها هنا، سأناديها لك.»

قالت أليسا بجفاء: «فهمت أن أخي العزيز قد حطم سيارته. هل الأمر سيء؟ وهل أصبت أنت؟»

«كلا، أنا بخير، ولكن اسمعي يا أليسا، فأنا لم أعرف كيف أخبر أمك وأخشى أن ترى الأخبار على شاشة التليفزيون فتعرف بالأمر فيصيبها ذلك بصدمة سيئة. الحقيقة هي أن نيكولاس لم يصدم سيارته، وإنما أطلق عليه الرصاص.»

هتفت أليسا وقد تملكتها صدمة: «ماذا؟»

«حذار من أن تقولي شيئاً قد يصدم أمك. عليك أن تخبريها بذلك بلطف فنحن لا نريدها أن تنهار.»

سألتها أليسا ببطء: «ما الذي حدث بالضبط.»

«لقد كتب مراسل سنتنال الجنائي سلسلة من المقالات عن المافيا في شرق لندن وأعمالها... وقد تلقى المراسل

تهديداً، وكذلك نيكولاس، ولكن لم يأخذ أي منهما الأمر بشكل جدي.»

قالت أليسا: «هذه هي عادته.»

فوافقتها جينا، قائلة: «تماماً، فقد رفض نيكولاس اتخاذ أي نوع من الحماية...»

«ذلك لأن كرامته تأبى عليه إظهار الخوف.»

قالت جينا: «تعنين كرامة الرجولة، فهذا أهم ما يهتم به الرجال... إن فكرتهم عن إظهار قوتهم يجعلهم يتصرفون بغباء فلو أن نيكولاس كان اتخذ أي نوع من الاحتياطات... ولكن كلا، فهذا يعني أنه يعترف بخوفه، ولهذا رفض حتى أن يناقش هذا الأمر.» وبدا الغضب في صوتها: «وهكذا عندما كنا قادمين للقائكما أطلق رجل عليه الرصاص. ولكن الطلقة لم تكن مسددة جيداً، فقد أطلق عليه رصاصات عديدة لم تصب نيكولاس سوى واحدة منها حتى هذه لم تخترق الرأس وإنما مرت بجلدة رأسه مسببة نزيفاً كثيراً وهم يقولون ان نيكولاس كان محظوظاً للغاية.»

فقالت أليسا: «شكراً لهذا.»

قالت جينا والدموع في عينيها: «نعم وهم ينظفون الجرح الآن ويخيطونه. ولكنهم طمأنوني بأن لا خطر على حياته.»

تمتمت أليسا: «عندما يفكر المرء في ما قد يكون حصل...»

لم تستطع جينا التفكير في ذلك: «لقد جعلني الليلة أواجه أفظع لحظة في حياتي. وعندما اتذكر ما عانيته معه، اتمنى لو اقتله لم أكن أعلم ما إذا كان حياً أم ميتاً، فقد كنت عاجزة عن القيام بما قد ينقذه لو كان يموت... لشد ما أنا غاضبة منه، يا أليسا.»

«مسكينة جينا، لقد اجتزت محنة صعبة حقاً. من أين تتصلين؟ هل عدت إلى بيتك الآن؟»

«كلا، فما زلت في المستشفى. إنهم يريدونني أن أبقى في المستشفى هذه الليلة، فهم يقولون إنني ربما ما زلت في حالة صدمة.»

قالت أليسا بعطف: «أظنهم على حق. حسناً، نامي الآن وسنأتي غداً صباحاً لنراكما. إنني سأعود وأمي إلى بيت نيكولاس وأخبرها بكل شيء، فلا تقلقي لهذا الشأن.»

وضعت جينا السماعة وعادت تستلقي على السرير وقد شعرت فجأة بتعب بالغ وعاد الطبيب ثم أخذ ينظر إليها: «بماذا تشعرين؟»

«بالتعب.» ولم تستطع أن تتجنب التثاؤب فوضعت كفها على فمها، قائلة: «آسفة.»

فقال: «ليس لك سوى النوم.» فلم تجادله في ذلك. وعندما أخذوها إلى سرير في قاعة واسعة مليئة بنساء مريضات، كانت قد أصبحت نصف نائمة، ولكن الممرضة الليلية اعطتها حبة عقار منوم على كل حال. وعندما استيقظت جينا وجدت القاعة سابحة في ضوء النهار.

تناولت فنجان شاي وفطوراً خفيفاً، وبعد ذلك بوقت قصير رآها الطبيب ومن ثم سمح لها بالخروج من المستشفى.

سألته: «هل يمكنني أن أرى نيكولاس قبل أن أخرج؟»

فهز الطبيب كتفيه: «اصعدي إلى الطابق الأعلى واسألي رئيسة القسم هناك، فأنا لا اجرؤ على الترخيص لك بذلك إذا لم تشأ هي أن تجعلك ترينه قبل ساعات الزيارة الرسمية. فاختلال النظام قد يفسد عليهن نهارهن، كما تعلمين...»

ارتدت جينا ثيابها، ثم أخذت تبحث عن طريقها بين ممرات لا تنتهي إلى أن وصلت إلى قسم جراحة الرجال حيث منحتها ممرضة قصيرة القامة صغيرة السن ترخيصاً بزيارة نيكولاس، وذلك على كره منها.

«لمدة خمس دقائق فقط، ولكن يمكنك أن تعودي خلال ساعات الزيارة.»

كان في غرفة بسرير واحد في قسم الدرجة الأولى، وكان جالساً في السرير وحول رأسه عصابة بيضاء.

عندما فتحت الباب، انطلقت عيناه نحوها، وهو يهتف: «جينا، هل أنت بخير؟ إنني ما زلت أسأل عنك ولكن لم يأتي أحد بخبر.»

قالت وهي تتقدم نحوه: «إنني بخير وعافية.»

«أما زلت ترتدين نفس الثوب؟»

«لقد جعلني الطبيب أبيت الليلة هنا وأنا ذاهبة إلى البيت الآن.» نظرت جينا إليه: «كيف حالك هذا الصباح؟»

فقال مازحاً: «لدي صداع.» ثم أردف بلهجة قاطعة: «لا تقفي هناك وكأنك ستذهبين في أي لحظة. من المؤكد أن بإمكانك أن تمكثي خمس دقائق. اسحبي تلك الكرسي واجلسي.»

نظرت إليه بأسى: «ها أنت ذا تعود إلى سابق عهدك في إعطاء الأوامر يمين، شمال، إلى الأمام... در.» ولكنها أطاعته وجلست بجانبه.

تشابكت نظراتهما. ها هوذا أمامها حياً يرزق، وكان من الممكن أن يكون قد قتل الليلة الماضية.

فجأة تصاعد غضبها، فقالت له: «ما كان لك أن تغامر بحياتك، فقد كان من الممكن أن تكون تلك الرصاصة قاتلة.

من الآن فصاعداً، عليك أن تتخذ حارساً شخصياً يصحبك إلى أي مكان تذهب إليه. فهؤلاء الرجال قد يحاولون اغتيالك مرة أخرى. أليس من الأفضل أن تغادر لندن، إلى الخارج لعدة أشهر؟»

فقال يهدئها: «لا تكوني قلقة متوترة بهذا الشكل، فقد سبق واتخذت ترتيبات للحراسة الشخصية من المستشفى ولكنني لن اسمح بأن أطرد من لندن. لن أدع هؤلاء الناس يهزمونني. وعلى كل حال، فقد تمكنت الشرطة من القبض على عدد من المشتبه بهم، فقد جاؤوا الرؤيتي منذ نصف ساعة لكي يأخذوا إفادتي. لقد كانوا حصلوا على رقم السيارة التي هرب فيها الرجل المسلح من رجل رأى الحادث كله. كانت سيارة مسروقة ولكن لحسن الحظ، عندما تركوها وتابعوا هربهم في سيارة أخرى، رأتهما سيارة شرطة فتعقبتهم إلى حي شرق لندن حتى اصطدمت سيارة الهاربين بعمود الكهرباء، فقتل نفس الشخص الذي حاول اغتيالي، بينما خرج السائق بعدة خدوش وهو الآن موقوف. وقد تبين أنهما من عائلات المافيا التي كان توم بيرني كتب عنها في مقالاته، كما حاصرت الشرطة عدداً من افراد العصابة.»

قالت جينا مقطبة جبينها: «توم... لقد نسيت توم... هل حاولوا قتله هو الآخر؟»

قال نيكولاس بجفاء: «لقد غادر توم لندن عصر أمس في اجازة أسبوعين في فيلا لأسرتي في شواطىء المارتينيك.»

تنهدت جينا بارتياح. بينما ابتسم هو لها قائلاً: «شكراً لك لابلاغك الأمر لأمي بتلك السرعة، فهذا اهتمام كبير منك.

لقد تحدثت إليها هاتفياً هذا الصباح لكي اطمئنها واعلمها بأن اصابتي لم تكن خطرة. وهي قادمة لرؤيتي بعد الظهر، ولكنني بعد ذلك سأعيدها إلى سان فرانسيسكو في طائرة الشركة، فأنا لا أريد أن اعرضها للخطر.» ورمق جينا بنظرة جادة: «جينا، أرى أن عليك مغادرة البلاد لفترة ما، أنت أيضاً، إلى أن تستقر الأمور. انك لم تأخذي إجازة منذ فترة طويلة، وأنت بحاجة إلى أشعة الشمس. تدبري من يذهب معك... ربما روز؟»

فقالت تجادله: «إن لدي الكثير من المشاغل، وكذلك روز. فأنا لا استطيع أن أطلب منها أن تتخلى عن جزء من إجازتها لأجلي.»

فمال نحوها غاضباً وقد بدا الإصرار في وجهه: «يجب أن أكون متأكداً من سلامتك يا جينا. عديني بأن تسافري. اسمعي، إذا عادت أمي إلى سان فرنسيسكو، يمكن لأختي أليسا أن تذهب معك. فهل تقبلين بمرافقتها؟»

«لا يمكنني أن أطلب من أختك أن تأتي لقضاء إجازة معي، وبهذه السرعة فنحن لا نكاد نعرف بعضنا البعض.»

«إنها تحبك، وهي تريد أن تزيد من معرفتها بك. أنا ساتحدث إليها، فإذا قالت نعم، فهل ستذهبين؟»

كيف يمكنها أن ترفض؟

الفصل الثامن

بعد ذلك بأسبوعين، وصلت جينا إلى لندن عائدة من مصر بالطائرة، شاعرة بإرهاق فظيع، كانت الرحلة طويلة صادفتهم اثناءها عواصف جوية جعلت الطائرة تدور في السماء كلعبة بين يدي طفل عابث، بينما اخذت جينا ككثيرين من المسافرين غيرها، تتقيأ، وكانت ما تزال تشعر بساقيها ضعيفتين لا تكادان تحملانها، خصوصاً عندما رأت نيكولاس ينتظرها... إذ لم تكن تتوقع رؤيته.

وعندما تقدم لملاقاتها، نظرت إليه بإمعان وقلق، ذلك انها في تلك الإجازة، كانت لا تزال تستيقظ إثر كابوس مفزع يعيد إلى ذاكرتها تلك اللحظات الرهيبة التي أصيب فيها بالرصاص. ولكنه الآن يبدو وقد عاد إلى صحته وشخصيته مما جعل الارتياح البالغ يتملكها.

قالت له لاهثة: «مرحباً.»

فقال بصوت عميق دافىء وهو يبتسم: «مرحباً.» وبقيا لحظات ينظران إلى بعضهما البعض صامتين، فقد تملك جينا شعور بالسعادة لرؤيته وهي تعود إلى الوطن، وكأن وجوده في استقبالها قد جعل عالمها مكتملاً.

استلم نيكولاس منها العربة وهو يقول: «ما الذي يوجد في كل هذه الحقائب؟ لا تخبريني بأن كل هذا هدايا تذكارية... من تلك الآثار المصرية الزائفة.»

قالت وهي تضحك متحدية: «نعم، لقد احببني بائعو

التذكارات المصرية جداً، فقد كنت سائحة ممتازة، إذ لم اكن استطيع مقاومة شراء عقود حجر الجاد المزيف، ونسخ رخيصة طبق الأصل لمجوهرات توت غنخ آمون.»

ابتسم متفكهاً وعيناه تجولان في أنحاء جسمها ما جعل وجهها يحمر: «يبدو ان الرحلة افادتك، وهذا الاسمرار في بشرتك يبدو رائعاً، وهو يناسبك.»

قالت وقد احمر وجهها: «ولكن كان عليك ان تراني الأسبوع الماضي، فقد كنت أشبه بسرطان البحر، ولم احصل على اسمرار البشرة إلا منذ أيام قليلة.»

«هل كانت رحلتك في الطائرة مريحة؟» وجه نيكولاس إليها هذا السؤال وهما يخرجان من مبنى المطار إلى حيث شمس فبراير الباردة والتي جعلت جينا ترتجف، وقد أدركت الآن تماماً انها قد عادت إلى شتاء بلادها بعد حرارة مصر اللاهبة.

أجابت: «لقد صادفتنا عاصفة مخيفة. ما جعلني اظن ان ساعتي الأخيرة قد دنت، ولكننا نجونا منها.»

منحها ابتسامة وقال: «انني اكره السفر بالطائرة في الأجواء السيئة، هل اصبت بالقيء؟ انا أيضاً يصيبني هذا.»

فقالت: «نعم، لقد أصبت به.» وتقابلت اعينهما بضحكة مشتركة، ها قد عادت مرة أخرى، تلك المودة الجديدة بينهما، لم تكن تعلم متى وكيف نشأت ولكن ربما كان هذا بسبب المحنة المشتركة لتلك اللحظة التي تعرض فيها لمحاولة الاغتيال.

سألته بقلق وهي تنظر إليه: «ألم يحدث شيء آخر اثناء غيابي؟ هل ثمة تهديدات جديدة؟»

هز رأسه قائلاً: «تظن الشرطة انها قبضت على الرجل

الذي كان وراء محاولة اغتيالي، فهم لا يتوقعون ان يجازف بقية افراد العصابة بإعادة المحاولة، لا تقلقي فأنا في امان إذ كان رجال أمن خاص حولي في كل مكان اذهب إليه وذلك اثناء الأسبوعين الأخيرين، فتأكدوا من انني لم أكن مراقباً أو ملاحقاً.»

قالت وهي تنظر حولها، عند وصولهما إلى الرولز رايس: «ولكن اين هم الآن؟»

«لقد طلبت منهم ان يتبعونا في سيارة أخرى، والآن لا تقلقي فلم يعد هناك أي خطر.»

تمتمت تقول: «هذا ما كنت تقوله من قبل.»

قالت له بأدب وسائقه يضع أمتعتها في صندوق السيارة: «من الشهامة منك ان تأتي لاستقبالي في المطار، هل هي أمك التي اخبرتك في أي طائرة سأصل؟»

«نعم، لماذا لم تخبريني انت؟»

قالت: «لم يخطر هذا في بالي مطلقاً.»

كانت تكذب ما جعل نيكولاس ينظر اليها ساخراً بينما كان يساعدها في الصعود إلى السيارة ثم يجلس بجانبها.

قال: «لقد تحدثت أليسا مع أمي هاتفياً، البارحة، من القاهرة قائلة انها ستذهب إلى جزر المارتينيك لترسم، حيث ان توم تيرني سينتقل من الفيلا في عطلة هذا الأسبوع، فتصبح خالية لها. وقد اقترحت على امي ان تلحق بها إلى هناك، ولكن أمي أصيبت بانفلونزا مزعجة، فهي تلازم الفراش.»

«نعم، لقد اخبرتني أليسا بذلك، أرجو ان تعتني تلك المرأة التي احضرتها مكان السيدة غرانت، بها جيداً.»

«وأنا أرجو ذلك، يبدو ان أمي تحب السيدة فيريس تلك،

انني لم أر تلك المرأة بعد، ولكن لديها شهادات خدمة ممتازة كما تقول أمي، انها في غاية الكفاءة...»

اخذت جينا تتأمل وجه نيكولاس الجاد وقد تأثرت بمقدار اهتمامه بأمه وبكل ما يتعلق بها، وإذ انتبه إلى تحديقها هذا، نظر اليها وقد ضاقت عيناه: «كيف كان انسجامك مع أليسا؟»

«كالسمن والعسل.»

«أحقاً؟» وبدت عليه الدهشة، أتراه كان توقع منها ان لا تحب أليسا، لا لشيء إلا لأنها أخته؟ حسناً، فهو هنا مخطىء جداً، فقد اصبحتا صديقتين حميمتين اثناء الأسبوعين اللذين أمضتاهما معاً في مصر، مبحرتين في النيل في باخرة قديمة تسير بالمجاذيف.

سألها نيكولاس: «هل كان هناك أناس كثيرون على متن الباخرة؟»

«قيل ان هناك ما بين العشرين والثلاثين راكباً.»

«هل غالبيتهم متزوجون؟»

لم تفتها اللهجة التي رافقت سؤاله هذا، فرمقته خفية من تحت اهدابها، ثم قالت بوجه خالٍ من التعبير: «اغلبهم.»

«وهم أيضاً اكبر سناً منك ومن أليسا، كما أتصور، فنوع الاشخاص الذين يقومون عادة بمثل هذه الرحلات هم في منتصف العمر أو اكثر.»

فأومأت قائلة: «كان أغلبهم اكبر سناً، وقد أقاموا مرتين أمسيات موسيقى كلاسيكية يرافق ذلك مغنٍ وعازف على البيانو.»

بدا الارتياح على وجهه، ولكنها لم تكن قد انهت كلامها بعد، فقالت: «من حسن الحظ انه كان هنالك شاب أو اثنان.»

ردد كلامها مقطباً جبينه: «شابان؟»

«كان هناك مرشد الباخرة، الدكتور هيث... وهو بسن أليسا تقريباً، وبالغ الجاذبية.»

فقال متجهماً: «آه، أحقاً؟»

«والمرشد السياحي، جوليان... وهو أقرب إلى سني أنا، وقد مضت عليه سنتان في عمله ذاك في تلك السفينة، قال انه لم يصدق حظه السعيد عندما رآني وأليسا، نسير معاً على سطح السفينة.»

قال نيكولاس بابتسامة لاذعة: «أرجو ان لا تخبريني بأنك أمضيت إجازة حب شاعرية.»

فضحكت قائلة: «لقد كنت قلت لي أن ابتعد عن كل شيء واستمتع بإجازتي، حسناً، لقد استمتعنا جداً أنا وأليسا.»

أما الذي لم تخبره به فهو ان الدكتور هيث كان متزوجاً وله عدة أولاد صغار ولم يبد أي اهتمام بها أو بأليسا ما عدا انهما في مجموعته السياحية.

كانت جيناً تعلم انها لن تنسى أبداً مناظر النيل الرائعة التي كانتا تمران بها والسفينة تنساب بهما اثناء حديثهما، كانت الصور تتلألأ في ذاكرتها... غابات القصب، الضفاف الموحلة، اشجار النخيل، ثور يسير ببطء وبشكل دائري يضخ مياهاً موحلة إلى الأرض الجافة، القرى ذات البيوت الطينية، والدجاج منتشر يلتقط طعامه والأولاد يلعبون خارج بيوت ذات سطوح مسطحة تعلوها ابراج الحمام.

كانت مصر مزيجاً غريباً من الماضي السحيق والعصر الحديث... فهناك ناطحات السحاب، القطارات السريعة وزحام حركة السير في القاهرة، من ناحية ومن ناحية

أخرى حياة الفلاحين في القرى والتي لا يبدو أنها تغيرت منذ عهد الفراعنة، قال نيكولاس وهو يتأملها: «لقد عدت إذن من رحلتك راضية عن نفسك تماماً.»

«انني مسرورة جداً لذهابي، اذا كان هذا ما تعنيه، كان عليّ ان اعرف أليسا حقاً، وذلك بالحديث معاً ساعات طويلة.»

«عن مصر؟»

فابتسمت له بزرانة: «وعن ذلك أيضاً.»

قال مفكراً: «ولماذا نظرة الشعور بالذنب هذه منك والتي تشبه نظرة قطة أكلت القشدة؟ ما الذي حدثتك عنه أليسا؟»

«فلنقل انها اعطتني رأيها فيك بصفتها اختك.» قالت له ذلك مازحة لتغيظه بينما كانت السيارة تقف خارج المبنى الذي يسكنان فيه، ورآهما الحارس يصلان فأسرع نحوهما ليأخذ الحقائب من السائق، وهو يقول: «سأصعد بها إلى الشقة حالاً، يا سيدة تيريل.»

فقالت باسمة: «شكراً.»

وفي المصعد، قال نيكولاس بلهجة عادية: «لقد حدث الكثير اثناء غيابك في مصر، ويجب ان نتعشى معاً هذه الليلة لكي أتمكن من اخبارك بكل شيء.»

لم ترفض، فقالت: «في أي وقت؟»

«سأمر عليك في الساعة السابعة، وإلى ذلك الحين لا تبدإي في افراغ امتعتك وتنظيم كل شيء... ان عليك ان ترتاحي بعد ذلك الطيران المتعب.»

«ان أول ما سأفعله هو اخذ حمام طويل، وبعد ذلك ادخل السرير ساعتين.»

اخذت بنصيحة نيكولاس فلم تفرغ امتعتها... فهذا يمكن ان

تقوم به غداً، ملأت حوض الحمام ووضعت فيه مساحيق العطور، فشعرت بالإسترخاء والراحة. كانت مسرورة جداً لقيامها بهذه الرحلة إلى مصر، لأنها عرفت الكثير عن نيكولاس. كانت لدى أليسا ذكريات خاصة عن أخيها في طفولته وصباه وفتوته ما جعل جينا تراه من نواح كثيرة مختلفة.

وأخيراً خرجت من الحوض كارهة، ثم استلقت على سريرها وجذبت فوقها الغطاء، ثم استغرقت في النوم.

أيقظها رنين الهاتف، كانت الغرفة مظلمة فأضاءت النور ونظرت إلى الساعة وهي ترفع سماعة الهاتف، كانت الساعة السادسة تقريباً، ولا بد أنها نامت لمدة ساعة ونصف.

قالت: «آلو.»

أجابها صوت روز: «جينا، هل عدت؟ لقد قالت صوفي انك ستعودين هذا النهار... لماذا لم تخبريني فنستقبلك في المطار؟»

«لم أشأ إزعاجك لاحتمال ان تكوني في العمل، أين اصبحت خطة الزفاف؟»

«حسناً، ان قائمة المدعوين تكبر وتكبر حيث ان أقارب ومعارف دانيال كثيرون، وعدا ذلك فكل شيء حسن، كيف كانت إجازتك؟ وما رأيك في مصر؟ ألم يكن كلامي صحيحاً عن حرارة الجو وكثرة البائعين؟»

«كان صحيحاً تماماً، ولكنني عشقت ذلك البلد، فقد شعرت وكأنني أعيش في الاحلام.»

«انني مسرورة لاستمتاعك بالإجازة، اسمعي، السبب في اتصالي بك هو... لقد اتصل بييت بالمكتب عصر هذا اليوم.»

شهقت جينا بعجب: «بييت؟ هل أنجبت هيزل؟»

فضحكت روز: «انت سريعة الاستنتاج.»

«كيف كان ذلك، وكيف حال هيزل؟»

«المولود ذكر وهيزل بأتم خير، لقد كان بييت متحمساً للغاية حتى لتظنين انه لم يولد لرجل طفل من قبل، لقد قال انه حاول الاتصال بك إلى البيت فلم يحصل على جواب وهكذا اتصل بالمكتب وكنت انا موجودة من باب المصادفة فأخذنا نثرثر معاً، قال ان هيزل بقيت في المخاض حوالي ست ساعات، ولم يحدث لها أية مشاكل، وكان وزن الطفل خمسة أرطال فقط لأنه جاء مبكراً عن موعده.»

«هذا ما ظننته، ربما انتقالها إلى هولندا وكل ذلك التغيير في وضعها، جعل الطفل يأتي مبكراً، لا بد ان تركها الوطن نهائياً جعلها تشعر بكثير من لوعة الفراق.»

فقالت روز: «ربما.»

«ألم يفكرا في اسم له بعد؟»

«بييت يريد ان يسميه نيكولاس... هل تظنين نيكولاس سيعجبه ذلك؟»

«انه ونيكولاس صديقان منذ سنوات طويلة.»

«إلى ان أعلن بييت انه سيترك العمل عنده ليقيم شركة خاصة به، لا تقولي ان نيكولاس لم يعتبر ذلك خيانة له، لأنني أعرفه جيداً واعرف انه لا ينسى أبداً.»

«آه، لقد بقي فعلاً مستاءً مدة طويلة، ولكنني واثقة من انه لم يعد كذلك الآن.»

عندما وصل نيكولاس عند الساعة السابعة تماماً، فتحت له الباب وهي تخبره بولادة هيزل لطفلها، ولكن دون أن تخبره بأن بييت اخبرها بأنه سيطلق عليه اسمه.

قال دون ان تبدو عليه أية دهشة: «أعلم ذلك فقد اتصل بي بييت هاتفياً وقال انه سيطلق على الطفل اسم نيكولاس.»

أشرق وجه جينا بالابتسام فسألها وقد ضاقت عيناه: «لماذا هذه الابتسامة؟»

قالت: «لأنني مسرورة جداً بمجيء الطفل، إلى أين سنذهب هذه الليلة؟»

فقال بلهجة ماكرة: «إلى مطعم فرنسي صغير أعرفه.» لم تدهش وهي ترى نفسها تدخل إلى مطعم بيير بعد عشر دقائق، كان المطعم نصف خالٍ، وكانوا قد حجزوا لنيكولاس المائدة المعتادة. قرر نيكولاس ان يكون عشاءه هو الطبق الخاص لهذا اليوم، وذلك بعد مراجعة قائمة الطعام، ثم سألها عما إذا كانت تريد نفس الشيء.

قالت بذعر: «انه ذو حراريات مرتفعة بالنسبة إليّ، ولكنني سأطلب سمك السلمون المقلي فقط والفاكهة، هذا إلى زجاجة من المياه المعدنية.»

جاء النادل أخذ منه أوامرهما، ثم توارى مرة أخرى، بينما جاء نادل آخر يحضر اليهما المقبلات، وبينما كانت جينا تتذوق انواعها بشوكتها، نظر نيكولاس من فوق كتفها ثم ابتسم واخذ يلوح بيده محيياً شخصاً ما.

التفتت جينا فرأت كوليت تسي مقبلة، كانت ترتدي ثوباً صينياً هذه الليلة ذا لون فيروزي رائع الجمال، وتحته سروال فضفاض.

تمتم نيكولاس يقول برقة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة: «انها كوليت، ألا تبدو مذهلة الجمال هذه الليلة؟»

نظرت إليه جينا هازئة، كانت تعلم غرضه من وراء هذا

القول، فهو يتعمد إثارة غيرتها، وهذا لن يحدث بعد الآن، وجعلته نظراتها الهازئة يدرك ذلك قبل ان تسأله: «كيف يسير كتابها الذي يبحث عن سيرة أسرتك؟»

لوى نيكولاس فمه، واتكأ إلى الخلف وقد بدا الجمود على أساريره: «آه، انك تعرفين بأمر الكتاب؟ اظن أليسا هي التي اخبرتك بذلك.»

قالت: «لقد اخبرتني أليسا بأشياء كثيرة.»

«أحقاً؟ يجب علي ان اشكر أختي لهذا، عندما أراها، لقد كنت طلبت منها أن تكون كتوماً وتراقب حديثها اليك.»

«اعلم ذلك، فقد اخبرتني هي به، ولكن كما قالت، يمكنك ان تعطيها أوامر ولكن هذا لا يعني انها ستنفذها، لقد قلت انك تريدني ان اعقد صداقة مع اختك، وقد فعلت، وقد عرفنا بعضنا البعض جيداً جداً، ثم...»

وسكتت عندما احضر النادل الطعام بما في ذلك سلطة الفواكه.

قال نيكولاس: «ما الذي كنت ستقولينه عندما أحضر النادل الطعام؟»

حملقت جينا فيه قائلة: «كنت أريد القول ان أليسا لم تفهم لماذا لم تكن انت تريدني ان اعرف بأن كوليت تكتب كتاباً عن أسرة كاسبيان، وتريد ان تقابل والدتك وشقيقتك ما جعل أمك تأتي مع أليسا إلى لندن.»

فقال: «ان كوليت لا تريد اعلان هذا الأمر. انها تريد ان تنهي الكتاب وتطبعه وتبدأ بنشره قبل ان تذاع كلمة عنه، فهي تخاف ان يسبقها احد إلى هذه الفكرة حالما يعلمون بما تفعل، فبعض كتاب السير اولئك يمكنهم إنجاز كتاب

بظرف اسابيع قليلة... وبإمكانهم ان ينشروا كتابهم قبلها، فهي تقول انها بطبيعتها، ليست سريعة في الكتابة، ولكنها مؤكد انها تريد ان تقوم بدراسة شاملة مفصلة قبل ان تكتب كلمة واحدة، وقد طمأنتني إلى ان الكتاب سيكون جيداً.»

قالت جينا: «انا واثقة من ذلك، فهي ذات كفاءة بالغة. رغم ان هذا أول كتاب تقوم بتأليفه حسب علمي.»

«نعم، لقد اخبرتني بذلك، ولكنها تخصصت في الكتابة عن الشخصيات، ولديها اسلوب حسن وليست مجرد كاتبة مستأجرة، وعندما جاءت إليّ تطلب مني إذناً لتأليف كتاب عن الأسرة، ترددت في البداية واستغرقت وقتاً في التفكير في ذلك، ولم أوافق إلا على نقاط معينة.. أولها ان اطلع على المخطوط حتى قبل ذهابه إلى الناشر، وثانيها ان بإمكاني ان أصر على تغيير أي قسم منه لا يعجبني...»

حدقت جينا فيه متفكهة: «يمكنني ان أرى انك لا تنوي ان تستغل أية فرصة.»

بدا العنف في نظراته: «ولماذا عليّ ان اسمح لها بأن تكتب عني ما تشاء؟ ان ما أرجوه هو ان هذا الكتاب عندما ينشر، سيمنع أي شخص آخر من تأليف كتاب.»

«ان الاكثر احتمالاً هو انها ستثير كاتبي السير التافهين لكي يحققوا في خلفياتك لكي يعثروا على فضيحة ما، لم تجرؤ كوليت على الاتيان على ذكرها.»

فقال ببرودة: «ليس هناك أي فضائح.»

«حتى ولا عدة صديقات منتشرات في انحاء اوروبا؟» قالت ذلك تغيظه فالتمعت عيناه وهو يقول: «هل يزعجك هذا لو كان صحيحاً؟»

«ولماذا يزعجني؟»

تجهم وجه نيكولاس وتابع يقول بإيجاز: «كما انني قلت لكوليت أيضاً ان عليها ان تتحدث للناس الذين اختارهم، فأنا لا أريد ان يزخر هذا الكتاب بالأقاويل عن فضائح من أعدائي، فقد رأيت كثيراً من السير الذاتية من ذلك النوع ما جعلني لا أريد لنفسي مثلها.»

سألته بدهشة: «وهل هذه أول سيرة ذاتية لك؟» فأومأ بينما أقبل النادل ليرفع الأطباق الفارغة.

سقطت منشفة جينا على الأرض، فانحنت لتلتقطها، ومن زاوية عينها رأت كوليت تتناول العشاء مع رجل لا تعرفه.

سألت نيكولاس: «من هو ذلك الرجل الذي مع كوليت؟»

نظر نيكولاس عبر الغرفة، ثم هز كتفيه: «لا اتذكر اسمه، ولكنني رأيته في انحاء باربري وارف عدة مرات هذا الأسبوع، وذلك في طابق المحررين، انه سريع العمل أيضاً إلا اذا كان يعرف كوليت قبل التحاقه بالعمل عندنا.»

قالت: «اتعني انك لم تحضره من إحدى صحفك الأخرى؟»

قال بحدة وقد قطب جبينه: «لا بد انه مراسل جديد، وكان عليك أن تعلمي الآن انني لا اتدخل في مستوى عمل كهذا، فأنا أنقل فقط كبار الموظفين وعادة لمدة سنة أو نحوها فقط، فأنا أحب ان احضر موظفي الكبار إلى هنا فهذا يمنحهم خبرة في الأوضاع والتقنيات الأخرى وتساعدهم على تحسين لغاتهم واتساع آفاقهم..»

قاطعته: «ولكنك لا تفعل هذا مع الموظفين الانكليز.»

فقال بفروغ صبر: «بل افعل طبعاً، فقد ابتدأت انقل موظفين انكليز إلى أوروبا ولكن هذا ليس سهلاً تماماً لأن

قليلاً منهم من يحسن لغة غير الانكليزية، وهذا هو السبب في انني ابتدأت بإحضار كبار موظفي صحفي الأوروبيين إلى هنا، وذلك لأجعل الموظفين الانكليز يدركون أهمية تعدد اللغات ويبدو ان هذا ما حصل، فقد ابتدأوا الآن يتعلمون لغات أخرى بمعدل مدهش، وقد تأثرت كثيراً بالطريقة التي استيقظ فيها الانكليز اخيراً إلى حقيقة انهم أوروبيون وان الانكليزية ليست هي اللغة الوحيدة في العالم، وأنا أتلقى الآن طلبات كثيرة لنقلهم إلى أوروبا، وأنا أرسل منهم بمعدل واحد أو اثنين شهرياً كما أظن.»

قالت جينا وكأنها موشكة على البكاء: «هذا صحيح فروز ستسافر إلى باريس.»

«انك ستفتقدينها.»

تنهدت قائلة: «نعم، هيزل أولاً، والآن روز... انني اكره التغيير حيث يتوارى الناس من حياتي ما يجعلني مكتئبة.»

ابتسم لها نيكولاس مسرياً عنها: «جينا، ان اوروبا تتقلص كل يوم، وستتضاعف سرعة هذا الأمر خلال العشر سنوات القادمة ما يجعل زيارة روز في باريس أو هيزل في هولندا ليست اصعب من الذهاب إلى شاطىء البحر في لندن، حالياً فالطائرة تصل بك إلى شيفول في هولندا، مثلاً في نحو ساعة أو اكثر قليلاً ومن ثم تذهبين بالسيارة إلى ميدلبورغ حيث تسكن هيزل، وذلك في وقت قصير لا يذكر، وهكذا يمكنك الذهاب والعودة في يوم واحد، عند الضرورة.»

قالت: «سنذهب أنا وروز، لنرى الطفل وذلك حالما نتمكن من الحصول على إجازة عدة ايام.»

«بل عليكما ان تمكثا هناك مدة اطول فتريا هيزل

والطفل، وتتفرجا على المكان الذي تعيش فيه، وتعرفا احوال بييت ومدى تقدم عمله...»

فنظرت اليه باشمئزاز: «اتريدني ان اكون مخبرة سرية لأجلك؟ أتريد ان يفشل عمل بييت لكي يعود إليك؟»

احمر وجه نيكولاس واخذ يمر على شعره بيده متوتراً وهو يقول: «اتظنينني حقوداً بذلك الشكل؟ انك مخطئة، فأنا لا اعدو ان اكون مهتماً به... ذلك اننا انا وبييت، صديقان منذ سنين طويلة، ويهمني أمره كثيراً، فإذا انا سألته عن احواله مباشرة فهو لن يخبرني إذا كانت احواله سيئة، فكرامته تأبى عليه ذلك.»

في هذه الاثناء اقبل النادل بطلبهما الثاني من الطعام، فأخذت جينا تحدق في السلمون المقلي الذي امامها وهي تفكر في ما قاله نيكولاس لتوه، ثم تمتمت وهي تلتقط شوكتها: «انا آسفة، يا نيكولاس، انني افهمك بالطبع، فأنا اشعر بنفس الشيء نحو روز.» ثم تناولت لقمة من السمك، وتنهدت قائلة: «انه رائع، كيف ترى الروستو عندك؟»

«لذيذاً جداً.» ثم أردف باختصار: «خذي إجازة اسبوع لتذهبي إلى هولندا وذلك في أي وقت تشائين.»

قالت جينا ضاحكة: «ولكنني عدت لتوي من الإجازة.»

«خذي إذن عطلة اسبوعية طويلة.»

«نعم، اظن هذا ما علينا ان نفعل، ان روز ترى ان بإمكاني ان اذهب إليها في باريس ومن ثم نذهب إلى هولندا بسيارتها.»

فقال: «هذا حسن، وقد يكون اسرع من السفر بالطائرة أو القطار، إذ عليك ان تمكثي وقتاً طويلاً في انتظار موعد

الطائرة، ودوماً هناك تأخير في المواعيد، هذا عدا عن الوقت الذي يذهب سدى في انتظار استئجار سيارة في المطار.»

كانا قد اوشكا على الانتهاء من تناول العشاء عندما ظهر شخص بجانب مائدتهما، وقال بلطف ساخر: «مساء الخير لكما معاً، لقد حاولت لفت نظركما من وسط القاعة ولكنكما كنتما مستغرقين في الحديث حتى انكما لم تلحظاني.»

رفعت جينا نظرها إليه مجفلة وقد شحب وجهها: «سير ديرموت!»

نظر السير ديرموت إلى عينيها الذاهلتين ثم قال برقة: «نعم، لقد عدت، فقد عدت بالطائرة منذ عدة ايام، كيف حالك يا جينا؟ تبدين شديدة السمرة.. سمعت انك كنت في مصر، فهل امضيت وقتاً جميلاً هناك؟ وكذلك انا في الجزر الكاريبية، يجب ان نلتقي في أسرع وقت ممكن لكي نتبادل الصور التي التقطناها اثناء الإجازة.»

شعرت جينا بعيني نيكولاس تراقبانها وقد بدا العنف في عينيه عندما أدرك المعاني المزدوجة في صوت السير ديرموت. ها قد عاد السير ديرموت قد أصبح قوياً نشيطاً مرة أخرى، ومستعداً لابتداء معركة مفتوحة في حربه ضد مؤسسة كاسبيان وهو يتوقع منها الآن ان تساعده في تدمير نيكولاس.

الفصل التاسع

اتصل السير ديرموت بها هاتفياً في الصباح التالي، قائلاً بحزم وإيجاز: «يجب أن نتحدث، يا جينا، وفي أقرب وقت. ماذا لو تناولنا العشاء معاً هذه الليلة؟»

«ولكنني مدعوة هذه الليلة أنا ونيكولاس لتناول العشاء في منزل المحافظ.»

عند ذلك سألها: «في أي ليلة يكون لديك فراغ قبل اجتماع مجلس الإدارة القادم؟» وبهذا لم يترك أمامها خياراً آخر سوى اعطائه موعداً على كره منها.

فقال وهو يضع السماعة: «إذن، فالاربعاء موعدنا.»

وضعت جينا السماعة بدورها وهي تتنهد.

نظرت إليها صوفي، والتي كانت خلف مكتبها المواجه لها، نظرت إليها متسائلة: «هل ثمة مشاكل؟»

«ومن هو الخالي؟»

«هل يمكنني المساعدة؟»

ابتسمت جينا شاكرة: «لا أظن ذلك. ولكن شكراً للطفك هذا.» ونظرت إلى ساعتها: «يجب أن أسرع، فإن لدي اجتماعاً مع لجنة عمال المطابع الساعة الحادية عشرة.»

في طريقها لتناول الغداء مع روز بعد انفضاض الاجتماع، صادفت كوليت تسي خارج مطعم توريلي.

سألتها كوليت بابتسامة متوترة هادئة: «هل استمتعت بعشائك مع نيكولاس؟»

«نعم، وهل استمتعت أنت أيضاً بعشائك؟» لم تكن جينا عمياء فلا ترى العداء في ابتسامة هذه المرأة. كما كانت عينا كوليت اللوزيتان تتألقان بشعور عنيف... أهي الغيرة؟

أجابت المرأة: «استمتعت جداً.»

«من كان ذلك الشاب الأشقر الذي كنت معه؟ إنني لم أعرفه، هل يعمل في باربري وارف؟»

«نعم.»

لكن جينا لاحقتها بالأسئلة وهي تحاول الإبقاء على ابتسامتها: «وماذا يفعل؟»

«يكتب عن الشخصيات الهامة.»

«آه، وما اسمه؟» كانت جينا تعلم أن كوليت تحاول إذلالها، ولكنها لم تستسلم بعد.

أجابت كوليت على كره منها: «بيرن ليندل.»

«اسم غير عادي هل هو انكليزي؟»

أجابت كوليت بشيء من السخرية: «حسناً، إنه ليس صينياً.» فتظاهرت جينا بالضحك.

«هذا طبيعي ما دام له ذلك الشعر الأشقر والعينان الزرقاوان. كل ما في الأمر انني لم أعرف إسمه وكذلك نيكولاس يبدو أنه لم يعرفه، هو أيضاً.»

ازدادت الحدة في نظرات كوليت إليها: «هل كنت ونيكولاس تتحدثان عنا؟»

فأدركت جينا، من التعبير الذي بدا على وجه كوليت، أنها اخطأت في قولها ذاك: «لقد سألت نيكولاس عما إذا كان يعرفه، وهذا كل شيء، فقال إنه سبق ورآه من قبل. هل له مدة طويلة يعمل معنا؟»

أجابت كوليت: «إنه هنا منذ أسابيع وهو موهوب رغم أنه لم يبدأ بعد بشكل جدي. ولكنني واثقة من ذلك.»

قالت جينا ضاحكة: «أهو موهوب بقدر ما هو جذاب؟»

لكن كوليت لم تضحك: «إن اهتمامي به هو من ناحية العمل، لا غير. والآن أرجو المعذرة فأنا مستعجلة لشراء شطائري والعودة لتناول الغداء في المكتب.»

استدارت كوليت على عقبيها ودخلت إلى مطعم توريلي بينما سارت جينا نحو مطعم بيير عبر ساحة بلازا وقد توهج وجهها وتملكتها التعاسة.

عندما أخبرتها أليسا أن نيكولاس يكثر من مقابلة كوليت لا لشيء إلا لأنها تقوم بكتابة كتاب عن أسرته، رأت كيف أن نيكولاس قد استغل هذا الوضع ليثير غيرتها إذ يجعلها تظنه مفتوناً بكوليت.

وعندما اكتشفت أنه كان يقوم نحوها بالاعيب احتيالية، ثار غضبها، وتلاشى شعورها بالغيرة وفكرت في الانتقام منه. كانت أليسا قد وعدتها بأن لا تخبر أخاها بأنها نبهتها إلى حقيقة الأمر، وهكذا انتظرت منه جينا أن يأتي على موضوع كوليت أمامها، لتفجر بالونه بسخريتها.

لقد كان تخطيطها ذاك مبعث تسلية لها. وكذلك رؤية وجهه عندما أدرك أنها تعلم الحقيقة. ولكن لم يخطر في بالها قط أن تنظر إلى الوضع من الزاوية التي تراه فيها كوليت، ولكن كان عليها أن تفعل ذلك. كان عليها أن تدرك أن كوليت أيضاً ستسيء فهم اهتمام نيكولاس بها، وأنها الآن تتألم. كيف يقوم نيكولاس بعمل كهذا؟ لقد كانت أحياناً تشعر باليأس من فهمه... ومن فهم كل الرجال.

كانت روز في انتظارها، فلوحت لها بيدها من مائدة في الزاوية. وعندما اتجهت جينا نحوها، وقع نظرها على توم بيرني الذي حياها بابتسامة عريضة: «مرحباً.»

فوقفت تقول له: «إذن فقد عدت أنت أيضاً. كيف حالك يا توم؟ هل استمتعت بإجازتك في المارتينيك؟»

«كانت رائعة، هل ترين؟» وأمال وجهه، الذي لوحت بشرته الشمس، نحو الضوء، فضحكت جينا: «نعم، فقد صرت أسمر.»

نظر إليها ملياً، ثم سألها: «إلى أين أرسلك الرئيس الكبير؟ إنك أنت أيضاً اكتسبت لوناً حسناً.»

«إلى مصر، ولكنني كنت أحاول البقاء بعيداً عن الشمس قدر إمكاني، فإن بشرتي تضرها أشعة الشمس.» وسكتت لحظة ثم عادت تقول: «هل حصلت على معلومات جديدة بالنسبة إلى مافيا شرق لندن؟»

فهز رأسه نفياً: «عدا عن كتابتي تقريراً عن محاكمة الرجل الذي أطلق الرصاص على نيكولاس كاسبيان.»

«إنني مسرورة لسماع ذلك.»

قال عابساً: «نعم، فذلك الأمر أثار الأمور بكل تأكيد، ولكن حصولي على المعلومات أصبح مشكلة... فلا أحد يريد أن يراه أحد معي، هذه الأيام خصوصاً في شرق لندن. لقد ابتدأ الجميع يتجنبونني وكأنني طاعون.»

فابتسمت له بعطف: «مسكين توم، ولكنهم سرعان ما ينسون كل شيء، فلا تقلق.»

قال دون أن يبدو عليه الاقتناع: «أرجو أن يكون كلامك صحيحاً. ولكن عليّ الآن أن اعتمد على الشرطة في المخفر

في الحصول على أي خبر مهما كان ضئيلاً، وهذا لن يصل بي إلى نتيجة. فهم يلقمونني نفس الأخبار التي يلقمون بها أي مراسل جنائي آخر.» نظر خلفها وإذا بوجهه يتغيّر: «آه، جاءت رفيقتي للغداء، أخيراً.»

فالتفتت جينا وإذا بها ترى وجهاً صغيراً تحيط به خصلات شعر ذهبي، وقد دخلت لتوها الى المطعم ووقفت عند الباب تنظر حولها.

ناداها توم: «شارون، أنا هنا.» فالتفتت الفتاة وإذا بها تجفل لرؤية جينا معه.

قالت جينا بلباقة كيلا تفسد عليهما حبهما المبتدىء: «عليّ أن اذهب لمقابلة روز... إلى اللقاء، يا توم.»

وعندما وصلت إلى المائدة، استقبلتها روز بابتسامة عريضة: «هل كنت تثرثرين مع توم بيرني؟ الأفضل أن لا تدعي نيكولاس يراك معه. ولكنه يبدو بصحة حسنة، ويا ليت كل رجالنا بصحته وحيويته، كما أن اسمرار البشرة يلائمه. ولكن من هي تلك المراهقة التي معه؟»

قالت جينا: «ليس لدي فكرة عنها.»

«تبدو وكأنها في الثانية عشرة من عمرها.»

نظرت إليها جينا هازئة، فقد كانت تعرف أن تعليقات روز لاذعة تماماً بالنسبة إلى النساء الأخريات، وخصوصاً الجميلات منهن: «ربما توم يحب الفتيات الصغيرات.»

أجابت روز وهي تلقي بقائمة الطعام جانباً بعد أن قررت ما تريده: «نعم، إنه من ذلك النوع، أليس كذلك؟ فهو يفضل فتاة قنوعة فيربت على رأسها، على المرأة الناضجة والتي ربما تطلب منه الكثير.»

سألتها جينا ضاحكة: «مسكين توم، أتراه أساء إليك بشيء؟»

شاركتها روز الضحك وهي تقول: «لا تهتمي به، فمزاجي سيء اليوم. دعينا نتحدث عن شيء بهيج... متى سنقوم بتلك الرحلة إلى هولندا لنرى طفل هيزل؟»

* * *

عندما حل يوم الاربعاء التالي، وصلت جينا إلى منزل السير ديرموت تلبية لدعوته للعشاء وإذا بها تبغت وهي تجد هناك ان الضيوف الآخرين كانوا فيليب سليد وخطيبته سوكي ووالديها، السيد والسيدة تاماكي.

قال السير ديرموت عندما وقفا وأخذا ينحنيان لها بأدب، قال لها بلطف: «أظنك قابلت السيد والسيدة تاماكي من قبل، أليس كذلك يا جينا؟»

فبادلتهما جينا الانحناء وهي تبتسم، ثم قالت: نعم، كيف حالكما؟ ما أجمل أن أراكما عدتما إلى لندن بهذه السرعة، وأرجو أنكما تستمتعان بهذه الزيارة.»

جلست جينا على كرسي إلى جانب السيدة تاماكي. إنها حتى الآن، لم تسمع السيدة تاماكي تنطق بكلمة واحدة ما جعلها تتساءل عما إذا كانت تتحدث الانكليزية.

«هل زرت لندن مرات كثيرة، يا سيدة تاماكي؟»

ابتسمت السيدة تاماكي بحياء، ثم همست تقول بصوت حاد، وانكليزية مهشمة: «إن زوجي هو الذي يأتي إلى هنا، بينما أبقى أنا في كاليفورنيا، فأنا أكره ركوب الطائرات.»

سألتها جينا بعطف: «أتخافين من الطيران؟ إنني أفهم

شعورك، فقد ابتدأت أنا أخاف بعد ان اختطف الإرهابيون طائرة كانت فيها صديقة لي حميمة وكانت اصابتها خفيفة لحسن الحظ، ولكن يجب أن أقول إنها جعلتني أتوقف عن الطيران مدة طويلة.»

بدا الارتباك على السيدة تاماكي، فرمقت زوجها بنظرة جانبية جعلته يقول لجينا: «من الأسف أن لغة زوجتي الانكليزية محدودة فهي لا تستطيع أن تفهم جيداً ما تقولين.» ثم أخذ يتحدث إلى زوجته باليابانية، فاستمعت هذه إليه وقد تغير وجهها، ثم عادت تنظر إلى جينا وهي تومىء برأسها باسمة: «هذا أمر سيء... سيء جداً... فعلى الطائرات تحدث أشياء كثيرة سيئة. اختطاف تفجير سقوط من الجو... بالنسبة إلي، أنا أفضل البقاء على الأرض.»

تدخلت سوكي قائلة: «إن أمي تداوم على محاولة تعلم الانكليزية، ولكن ذاكرتها سيئة جداً، فهي تنسى اكثر ما تتعلمه، خصوصاً وخادمتها يابانية وأكثر أصدقائها من اليابانيين. فهي ليس لديها الدافع للتعلم كما كان لي أنا في ذهابي إلى المدرسة في أميركا.»

«هذا صحيح.»

«ولكن ليس بالنسبة إلى الأصدقاء.»

نظرت إليها جينا باستغراب: «إنني واثقة من أن لديك كثيراً من الأصدقاء، هذا عدا المعجبين، فأنت جميلة جدا.»

قالت سوكي بابتسامة لطيفة: «شكراً.»

«هل ستعيشان بعد الزواج، أنت وفيليب، في لندن أم ستعودان إلى أميركا للعيش هناك؟» نظرت جينا إلى فيليب الذي كان يجلس بجانب سوكي.

فأجاب فيليب: «إننا نفكر في الإقامة في لندن.» وتبادل النظرات مع السير ديرموت، ثم عاد يلتفت إلى جينا قائلاً بابتسامة حارة: «هذا في الواقع ما نريد أن نتحدث معك عنه، يا جينا. وأنا مسرور لإثارتك الموضوع. ذلك أنه منذ عقد خطوبتنا ووالد سوكي حائر في نوع هدية الزفاف التي سيقدمها. فهي كما تعلمين، ابنته الوحيدة ولهذا يريد أن تكون هديته إليها شيئاً غير عادي. وحيث أن سوكي طموح جداً، فهي تريد أن تحصل على عمل مثير غير عادي هنا، وذلك بعد زواجنا، والعمل الذي تفهمه حقاً هو الصحافة.» وسكت لحظة ثم تابع يقول متردداً: «أما ما تريد أن تقوم به فهو... أن تشترك في... في إصدار سنتنال، يا جينا.»

ابتسمت له جينا بشيء من الحيرة: «هل هي تريد مني أن أقدم لها وظيفة في الصحيفة؟» وحولت نظراتها إلى سوكي متسائلة: «أي نوع من الوظائف، بالضبط؟»

فضحكت سوكي بمرح: «وظيفة؟ كلا، كلا يا جينا. ليس هذا ما أريده.»

فازدادت حيرة جينا، وأخذت تنقل نظراتها بينهما: «كلا؟ ما الذي نتحدث عنه إذن.»

فقال السيد تاماكي بصوته الجازم: «صحيفة سنتنال. إننا نتحدث عن سنتنال نفسها.»

فحدقت جينا إليه، وفجأة، أخذت تدرك ما يريدون... ففتحت فمها ذاهلة.

بدت السخرية في ابتسامته: «إننا نريدها.» شحب وجهها ولم تستطع أن تتكلم، ثم عاد فتوهج احمراراً. لقد كان نيكولاس قال إن السيد تاماكي ربما يفكر في شراء

الصحيفة، فظن عند ذاك أنه يعاني من جنون العظمة. ولكنه كان على حق.

وقال فيليب بسرعة: «إنك تعلمين طبعاً أنني أملك عدداً من الأسهم في الشركة فأنا أملك الموازنة في السلطة بينك وبين كاسبيان، ويمكنني اعطاء الأسهم هذه لسوكي...»

قالت سوكي بهدوء وعيناها تلمعان: «ولكنها ليست كافية، إذ يجب أن تكون لي السيطرة عليها وهذا يعني التخلص من كاسبيان. إن هذا أمر سهل حقاً، كما ترين، وذو فائدة لك. إننا نريدك أن تبيعينا أسهمك ونحن سندفع لك ثمنها بسعر السوق حالياً.»

كانت جينا ما زالت تقلب الأمر في ذهنها وقد أدركت كيف أن فيليب والسير ديرمرت كانا يقودانها إلى هذه النهاية بحديثهما عن القيام بعصيان في مجلس الإدارة والتصويت ضد نيكولاس، بينما هذا الأمر في ذهنهما طوال الوقت، ولكنهما أخفيا الأمر عنها إلى أن ظنا أن الوقت قد أصبح مناسباً.

نقلت نظراتها بين سوكي والدها، فتبين لها الشبه بينهما، ورأت ابتسامة الرضا والكبرياء، على شفتي ابنته، وفي عيني السيد تاماكي. شعرت جينا بالشفقة على فيليب. فقد كان يتزوج امرأة غاية في الجمال ولكن داخل ذلك الجسم الجميل، كانت هناك إرادة مخيفة بصلابة الماس. فهل يدرك هو ذلك؟ أم أن جمالها أعماه؟

تدخل السير ديرموت قائلاً: «فكري في ذلك، يا جينا.» وابتسم لها بحرارته المعتادة، فتملك جينا شعور مفاجيء بالكراهية له.

ما هو الفرق بينه وبين نيكولاس؟ فقد كان السير

ديرموت يكذب عليها، ويتآمر من خلف ظهرها، تماماً كما اقنعها بالتآمر من وراء ظهر نيكولاس.

وشعرت فجأة بوخز في ضميرها... ما هو الفرق بيني وبينه؟ وبيني وبين نيكولاس؟ إننا نحن جميعاً نخون بعضنا البعض، ونكذب ونحوك المؤامرات.

قال السير ديرموت بلطف: «جينا، إنني أعلم أن السنة الماضية كانت مزعجة جداً بالنسبة إليك. وقد تابعت العمل الذي شعرت أن عليك متابعته، أي العمل بجانب كاسبيان رغم ما في ذلك من إرهاق اعصاب بالغ بالنسبة إليك إذ كان عليك أن تتشاجري معه بسبب التغيير الذي كان يحدثه في سنتنال، خارج خط الأسرة والوفاء لها...»

تدخل السيد تاماكي قائلاً بجد: «إننا نحترمك لهذا السبب.»

وعندما نظرت إلى عينيه السوداوين اللامعتين، شعرت بأنه يعني ما يقوله حقاً، وكان هو يتابع قوله: «وأنا أيضاً أعتبر العائلة قبل كل شيء، يا سيدة تيريل. ولكن هناك طريقة أخرى أمامك للبقاء وفية لأسرة زوجك الراحل، حيث أنك، لأجلهم، تريدين أن تخرجي نيكولاس كاسبيان من الصحيفة. حسناً، بيعي لنا أسهمك ودعينا نتخلص منه لأجلك.»

فأومأ السير ديرموت، قائلاً: «جينا، لقد كنت أقسمت على أن تجعلي نيكولاس يدفع ثمن تسببه بموت السير جورج، أليس كذلك؟ بيعي أسهمك للسيد تاماكي، وعندما يفقد كاسبيان سيطرته على الصحيفة تكونين قد انتقمت لتسببه في موت السير جورج.»

فهزت جينا رأسها ببطء: «لا استطيع أن أبيع... فقد ترك لي الرجل العجوز هذه الأسهم لأنه كان يثق بي.»

قال السير ديرموت بحدة: «كان يثق بأنك ستقومين بعمل الأفضل بالنسبة إلى سنتنال، وهذا يعني أن لا تسمحي لكاسبيان بإدارتها، يا جينا. جينا، أنا أعلم أنك تعبت من الشجار مع كاسبيان. فقد بدا هذا واضحاً تماماً في المدة الأخيرة فلماذا تكرهين الانضمام إلينا ضد كاسبيان؟ إنني أرى أنك تشعرين بالذنب حتى حين تتحدثين عن ذلك معنا، ويبدو أن ليس بإمكانك أن تقرري ماذا تريدينه بالضبط، وهل أن تكوني معه أم معنا. وهو ليس غبياً، أليس كذلك؟ فهو يحوم حولك ويؤثر عليك رغم معرفتك بما فعله للسير جورج.»

إحمر وجه جينا وحولت نظراتها بعيداً، وقد أفزعها أن تدرك أن السير ديرموت قد أحس بمشاعرها نحو نيكولاس.

ثم عاد السير ديرموت يقول بلطف وهو يراقبها بدقة: «لا يمكنك أن تثقي به، وأنت تعلمين هذا، فلا تدعيه يخدعك كما فعل من قبل بالسير جورج، لا تنسي هذا. بيعي اسهمك للسيد تاماكي، ودعي لنا أمر التداول مع كاسبيان وهكذا يمكنك السفر بعيداً ونسيان كل شيء عن سنتنال وكاسبيان وكل ذلك العمل.»

عضت جينا شفتها وهي ترى المنطق الغريب في هذا. واختلطت الأفكار المتضاربة في رأسها. هذا صحيح، فهي إذا باعت أسهمها فسترتاح من عبء باهظ أثقل كاهلها منذ وفاة السير جورج منذ أكثر من عام، هذا إلى أنها سترتاح من وخز الضمير الذي ما انفك يعذبها في الشهور الأخيرة بسبب حبها لنيكولاس، والذي هو نوع من الخيانة لذكرى زوجها وأسرته، كما أنه سيكون بإمكانها التخلص من هذا الشعور السخيف في أنها ستكون مذنبة إذا هي تآمرت مع السير ديرموت وفيليب سليد ضد نيكولاس بينما هو نفسه

كان قد تآمر ضدها وضد السير جورج. ولكن الحب لم يكن يعرف المنطق في جنونه ومفاجآته، وهي قد اتعبها حقاً ما تشعر به من آلام بسبب حبها هذا لنيكولاس.

فجأة قال السيد تاماكي بصوته العميق: «سيدة تيريل، لقد تعلق قلب ابنتي بهذا الأمر، قد اكون افرطت في تدليلها ولكنني حاولت دوماً أن أحقق لها مطالبها... فهل ستبيعينني اسهمك يا سيدة تيريل؟»

تنهدت جينا: «لا يمكنك أن تتوقع مني أن أقرر الأمر هنا وفي هذه اللحظة، يا سيد تاماكي فأنا بحاجة إلى وقت لأفكر في الأمر. وأناقشه مع المحامي ومستشاري الخاص.»

أجفل السير ديرموت. «الأفضل ألا تتحدثي بهذا الأمر إلى أحد يا جينا، فإذا اشتم كاسبيان رائحة خطتنا هذه، فهناك المصيبة.»

«سأكون في غاية التكتم، فلا تقلق.»

فقال السير ديرموت: «ولكن الأمر...»

قاطعه السيد تاماكي قائلاً بلهجة قاطعة: «متى سنعرف منك الجواب؟»

نظرت جينا إليه مترددة: «بعد عدة أيام.»

«حسناً جداً. إن اجتماع مجلس الإدارة سيكون يوم الأربعاء القادم، فاعلمينا بالجواب يوم الاثنين.»

الفصل العاشر

لم تكد جينا تدخل مكتبها في الصباح التالي حتى تصاعد رنين الهاتف. وكانت المتكلمة هي روز: «لقد تمكنت من الحصول على إجازة في عطلة الأسبوع هذه، ابتداء من الجمعة، فلماذا لا نذهب معاً إلى هولندا لنرى هيزل والطفل؟»

تملكت جينا الدهشة: «عطلة هذا الأسبوع؟ اليوم هو الخميس، أتعنين أننا سنذهب غداً؟»

فضحكت روز: «نعم، يا غبية نذهب غداً، فهل لديك فراغ أم لا؟»

أخذت جينا تقلب صفحات مفكرتها: «كلا، لا شيء هام لدي بحيث لا أستطيع إلغاءه، ولكن يا روز، نحن لم نحجز تذاكر طيران ولا غرفة في الفندق، أو أي شيء...»

وتلاشى صوتها ونيكولاس يفتح الباب ثم يقف عند العتبة يحدق إليها. وأخذ قلبها يخفق بسرعة.

كانت روز تقول: «ليس ثمة مشكلة في حجز تذاكر طائرة أو غرف في الفنادق في هذا الوقت من العام. فهل تريدين الذهاب أم لا؟»

قال جينا بصوت خافت: «طبعاً أريد الذهاب.» فقد توترت أعصابها لرؤية نيكولاس واقفاً ينظر إليها بهذا الشكل.

سألها بحزم: «أين ستذهبان؟»

«انتظري لحظة يا روز.» ازاحت سماعة الهاتف عن اذنها

قبل أن تجيب نيكولاس قائلة: «إلى هولندا لرؤية هيزل والطفل.» وإذ رأته يقطب جبينه، سارعت تقول: «أنا أعلم أنه كان ينبغي أن اتقدم بالطلب في وقت مبكر ولكن هل استطيع أن آخذ نهار غد عطلة.»

لقد أخذت جينا تفكر في أن روز قدمت لها فرصة سانحة تهرب فيها عدة أيام مبتعدة عن باربري وارف ولندن وكل شيء، وبهذا تتمكن من اعمال فكرها في هذه الدوامة دون ضغط من نيكولاس أو السير ديرموت أو فيليب سليد.

فسألها: «كم ستبقيان هناك؟»

«عطلة نهاية الأسبوع فقط ويمكننا العودة نهار الإثنين.»

وضع يديه في جيبيه مستنداً إلى الباب، ثم قال ببساطة: «سآخذكما بطائرتي إلى هناك وأعيدكما.»

فتحت جينا فمها ذاهلة، ثم أدركت ما يعنيه: «هل تعني انك سترسلنا في طائرتك الخاصة؟ حسناً هذا سيكون لطفاً بالغاً منك...»

قاطعها قائلاً: «كلا، بل سآخذكما بنفسي، ألا تعلمين انني أحسن قيادة الطائرات؟ لا ضرورة لهذا الخوف في عينيك، فأنا ماهر تماماً حتى ولو قلت هذا عن نفسي، فأنا اقود طائرتي منذ سنوات حتى انني لا اتذكر ساعات الطيران التي قمت بها. ويمكنني ان اشتغل طياراً فيما لو خسرت كل اموالي غداً.»

سكت وهو يتقدم إلى مكتبها قائلاً: «ناوليني تلك السماعة.»

«روز، انا نيكولاس اتكلم، اسمعي، أريد ان اذهب انا أيضاً، وأرى ان نذهب جميعاً بطائرتي إلى أقرب مطار من ميدلبورغ في هولندا.»

سكت لحظة يستمع إلى ما كانت روز تقوله، هذا بينما

كانت جينا تنظر إليه متأملة وقد تنازعتها العواطف والرغبات، منذ البداية لم تكن عواطفها واضحة نحوه وذلك لتناقضها وتعقدها، فقد كانت هناك صفات فيه لم تكن تحبها، وكذلك نواح من طباعه كانت تسبب لها القلق والخوف، ومع ذلك...

ومع ذلك عندما تكون بقربه كانت تشعر دوماً بذلك الألم الغريب داخلها ومنذ وفاة السير جورج لم تكن تكافح نيكولاس بل شعورها نحو نيكولاس، وكان هذا الجهاد يرهقها ويضعفها يوماً بعد يوم وكذلك كانت قدرتها على البقاء بعيدة عنه.

وكان هو يقول لروز: «سأتحدث إلى بييت بنفسي هذا النهار وسأخبره بقدومنا وأتأكد من قدرتهم على استقبالنا حيث الطفل مازال في الأيام الأولى من عمره، وقد يريدنا بييت وهيزل ان نؤخر ذهابنا اليهم إلى حين يعتادان وجود الطفل، وإذا كان واثقاً من رغبة هيزل في رؤيتنا الآن فسأسأله عن اسم احسن فندق قريب منه، ثم اعود اليك لأخبرك بالنتيجة.»

وضع السماعة ثم التفت اليها قائلاً: «اردت ان اتحدث إلى روز بنفسي.»

وعندما احتجت على ذلك، قال بلهجة ساخرة: «اتصلي بها مرة أخرى فيما بعد اما الآن فأريد ان اتحدث اليك.»

سكت لحظة وقد بدت الحدة في عينيه، «اين كنت في الليلة الماضية؟»

فشعرت بوجهها يتوهج ولم تستطع مواجهة نظراته فأدارت بصرها عنه وهي تسأله «لماذا تسأل؟»

فقال: «لأنني اتصلت بك عدة مرات.»

قالت وقد كرهت منه هذا الاستجواب وكأنها في محكمة: «ألم أعد استحق حياة خاصة بي؟ كنت اتناول العشاء مع أحد الأشخاص.»

«من هو؟» خرج هذا السؤال كطلقة بندقية ما جعلها تجفل، ثم تقول: «لا تكلمني بهذه الحدة، ليس واجباً عليّ ان اخبرك بكل ما أفعل.»

سألها بنفس الخشونة: «هل كنت مع توم بيرني؟» وجعلتها الدهشة لهذا السؤال تضحك قائلة: «كلا.»

كان ضحكها لأنه كان مخطئاً وبعيداً عن الحقيقة كلياً، فقد كانت خائفة من ان يكتشف، بطريقة ما، انها كانت مدعوة إلى العشاء مع السير ديرموت وفيليب سليد وتاماكي، وانه يعلم بالمؤامرة واشتراكها فيها، وجعلها الشعور بالذنب ترتجف وتشعر بالبرد، أما الآن فقد تملكها الارتياح.

أخذ هو يحملق فيها: «ما الذي يضحكك؟»

انتبهت جينا إلى نفسها على الفور وقد تلاشى شعورها بالارتياح لتعود إليها سحب الخوف والشعور بالذنب، ان نيكولاس سيعلم سواء عاجلاً أم آجلاً، بما يحدث وراء ظهره.

قالت بصوت أجش: «لا شيء، لا شيء مضحكاً على الاطلاق.» وقبل ان يسألها عما تعنيه بكلامها هذا، أسرعت تسأله: «ولكن أين تقع مدينة ميدلبورغ بالضبط؟»

«انها في جنوب هولندا قريبة من ساحل بحر الشمال، ان ميدلبورغ غير بعيدة عن حدود بلجيكا، كذلك، ولو كان لدينا وقت لذهبنا بالسيارة متخذين طريق الساحل الشرقي، ولكن بما أن ليس لدينا سوى عطلة آخر الأسبوع فسنذهب

بالطائرة ومن ثم نستأجر سيّارة.» ونظر إلى ساعته، «سأتصل الآن ببييت، هل لك ان تطلبي لي قهوة، من فضلك؟»

دخل إلى مكتبه الخاص، بينما اخذت هي تنظر في أثره، انه لن يصفح عنها أبداً، إذا هي باعت اسهمها للسيد تاماكي، ولكنها إذا لم تفعل، إذا هي أدارت ظهرها إلى كل ما كان يهم آل تيريل، اذا هي حنثت بيمينها في الأخذ بثأر السير جورج، فكيف ستتمكن من الصفح عن نفسها؟ من أي زاوية نظرت فيها إلى الأمر، لم تكن تجد لها مستقبلاً مع نيكولاس... لقد كان ثمة اشياء كثيرة تفصل بينهما.

* * *

كانت المتاجر تبقى مفتوحة مساء كل خميس وذلك حتى الثامنة مساء، وهكذا خرجت جينا وروز من العمل مباشرة إلى التسوق لشراء هدايا لهيزل والطفل، ووجدتا ما تريدانه بسرعة، وكان عبارة عن ملابس للطفل، ثم أشترت جينا لهيزل زجاجة من عطر شانيل، عطر هيزل المفضل بينما اشترت لها روز قرطين رائعي الجمال.

وصلوا إلى ميدلبورغ عصر يوم الجمعة، وذلك بالسيارة خلال الريف الأخضر الجميل، سائرين على طرق تحفها سواتر رملية وحواجز على ضفاف الأنهار، قد بنيت كما قال نيكولاس، بعد عواصف هائلة اغرقت السواحل بأجمعها وذلك في سنة ١٩٥٠ حيث طاف بحر الشمال فوق الأراضي، مدمراً كل ما في طريقه، قاتلاً عدة آلاف من الناس.

قالت جينا غير مصدقة: «ولكنه يبدو مسالماً بالغ الهدوء.»

فقال نيكولاس: «حالياً، نعم، ولكن ليس من الحكمة التقليل من شأن البحر وقوته.» وألقى إليها بنظرة جانبية من تحت أهدابه: «أو من شأن أي من قوى الطبيعة.»

احمر وجهها قليلاً، ما كان بحاجة إلى ان يثير الأمور بالتلميحات، فقد كانت تدرك جيداً المغامرة التي تقدم عليها في محاربتها قوى الطبيعة التي يعنيها نيكولاس إذ لم تكن تجهل ان الحب من القوى البدائية كالبحر ومثله تدميراً، وتظاهرت بأنها لم تلاحظ تحديقه بها، وسمرت عينيها على المناظر الريفية الخضراء التي كانوا يمرون بها.

كانت روز في المقعد الخلفي من السيارة التي كان نيكولاس استأجرها وقد بدا عليها الإرهاق، وكانت جينا دهشت وهي ترى شحوب وجهها عندما انطلقت بهم الطائرة من لندن، مدركة ان روز كانت شديدة التوتر منذ اصبحوا في الجو، وإذ سألتها جينا عن السبب، اعترفت هذه بأنها اصبحت تخاف من السفر بالطائرة منذ اختطاف طائرتها في العام الماضي.

سألتها جينا بذعر: «ولماذا لم تقولي ذلك؟»

فهزت روز كتفيها: «ان عملي يحتم علي السفر بالطائرة على الدوام، ولهذا عليّ ان اتخلص من هذا الخوف، واظن هذا سيخف مع الأيام.»

سألت روز نيكولاس الآن بصوت خافت مرهق: «كم بقي علينا أن نسير لكي نصل إلى ميدلبورغ؟»

قال نيكولاس: «لقد اوشكنا على الوصول، الآن.» نظر اليها في المرآة باهتمام، ورأت جينا هذه النظرة فأدركت ان نيكولاس شعر بخوف روز من الطيران رغم انها هي لم

تذكر خوف صديقتها من ذلك، وكان هو يتابع قائلاً: «قريباً سنصل.»

ولكنه، بشكل ما، فاته الانعطاف نحو منزل بييت وهيزل، فوجدوا انفسهم في مدينة صغيرة من مدن القرون الوسطى ذات معبد يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني عشر، ومنازل قديمة يشرف عليها برج لا بد ان علوّه يتجاوز الألف قدم، ثم جعلت عرقلة حركة السير نيكولاس يستغرق وقتاً في استعادة طريقه نحو مقصده ما كلفه جهداً وارتفاعاً في حدة الطبع.

كان بييت وهيزل يسكنان خارج المدينة، في منزل قديم مبني بالحجر قالت هيزل انه كان يوماً ما مخزنا للغلال في مزرعة، وقد اصلحه بييت وجعل له مظهراً عصرياً جاعلاً منه بيتاً جميلاً ومكان عمل في الوقت نفسه، حيث ان شركتهما سيكون مقرها هنا.

خرج بييت لاستقبالهم وهم يوقفون السيارة امام منزله فصافحهم وقد أشرق وجهه وبان السرور على وجهه لرؤيتهم، وكانت عيناه الزرقاوان متألقتين بينما شعره الأشقر يلمع في الضوء الباهت.

«ما اجمل ان أراكم هنا، وكم سيسعد هذا هيزل، انها ما زالت تشعر بشيء من الضياع كما اظن، ولكنها مع مجيء الطفل، لن يعاودها ذلك الشعور بالوحدة.»

نظرت اليه جينا بسرعة وقلق، هل كانت هيزل تشعر بالوحدة والضياع منذ انتقالها إلى هنا؟ ورأى بييت نظراتها هذه، فابتسم يطمئنها: «لا تقلقي، يا جينا، فهذا طبيعي حيث ان هولندا بلد غريب بالنسبة اليها، ولكنها لن

تلبث ان تحب هذا المكان، ذلك لأن هيزل لها صفات الهولنديات رغم ولادتها في انكلترا.»

ضحكت جينا، وعاد هو يقول غامزاً بعينه: «نعم، هذا صحيح، ففيها كل فضائل الهولنديين، فهي مجتهدة في العمل، وتحب النظام كثيراً، كما انها بالغة العناية والحذر...»

فزمجر نيكولاس قائلاً: «كفى مرحاً بأهل بلادك ودعنا ندخل، فأنا أكاد أموت عطشاً.»

«آه، طبعاً، هيا تفضلوا بالدخول... تفضلوا، لا بد انكم تشعرون بالبرد بعد قطعكم كل ذلك الطريق من روتردام... هل استغرق ذلك منكم وقتاً طويلاً؟»

قالت جينا: «كان بإمكاننا ان نكون هنا منذ ساعات لو ان نيكولاس لم يدخل إلى المدينة ويحاول أن يدور ويدور في شوارعها ذات الاتجاه الواحد كي يخرج منها مرة أخرى.»

ضحك بييت: «هل فعلت ذلك حقاً، يا نيكولاس؟»

فقال نيكولاس بجفاء: «نعم، ولكنني لم افعل ذلك بإرادتي، بل ضيعت الطريق بسبب جدالي مع جينا.»

قالت جينا: «آه، انه ذنبي إذن؟ أليس كذلك؟ كان عليّ ان ادرك ذلك.»

فقالت روز بلباقة: «ولكن ميدلبورغ مدينة بالغة الجمال، وأنا مسرورة إذ جلت في شوارعها، واحب ان أرى أكثر أثناء وجودي هنا.»

قال بييت: «يجب عليك ذلك فهناك الكثير مما يستحق الرؤية، فقد أعادوا بناء قلبها إلى ما كان عليه في العصور الوسطى وذلك بعد الحرب... فقد تدمر قسم منه، ولكن هل

تعلمين؟ ما زال بإمكانك ان تري آثار المياه على جدران بعض البيوت في المدينة حيث صدع الحلفاء السدود مغرقين المدينة بالطوفان وذلك في الأيام الأخيرة من الحرب في أوروبا.»

هتفت جينا مذهولة: «آه، ما افظع هذا.»

فقال بييت: «نعم، هذا كان رأي البعض منا.» وكان يسير امامهم داخلاً إلى المنزل من الباب الكبير إلى ممر معتم ذي قناطر خشبية وهو يقول مخاطباً نيكولاس: «كل هذا هو المخزن القديم، وقد اضفت أنا بناءً جديداً في الخلف وإلى الجنب.» وكان نيكولاس ينظر في أنحاء المكان باهتمام.

سألت جينا: «أين هيزل والطفل، انني بأشد اللهفة لرؤيتهما.»

فابتسم بييت لها بحرارة: «في الطابق الأعلى، فاصعدا اليهما، لقد أمرها الطبيب بالراحة أثناء النهار، ولهذا فأنا اجعلها تبقى في الفراش قدر المستطاع، ولكن هذا ليس سهلاً فأنت تعرفين مقدار عنادها.»

وجدا هيزل في الفراش في غرفة نوم جديدة وردية اللون تسبح في الضوء من نافذتين عاليتين معقودتين، وكانت سمعتهما قادمتين على السلم، فنادت تقول: «هنا يا جينا.»

دفعتا الباب فوجدتاها جالسة في السرير مستندة إلى الوسائد خلفها. ومنحتهما ابتسامة مشرقة: «لشد ما أنا مسرورة برؤيتكما.»

فعانقتها جينا: «كم تبدين جميلة، ان الأمومة تناسبك.» ثم نظرت بشوق إلى السرير المتأرجح القائم بجانب السرير: «هل هو هنا؟»

كانت تتدلى حول السرير ستائر بيضاء شفافة تمكنت من ان ترى من خلالها ارتفاعاً خفيفاً تحت الأغطية البيضاء.

أجابت هيزل: «نعم، وهو نائم الآن.» ومالت تزيح جانباً احدى الستائر، فتقدمت جينا وروز على اطراف اصابعهما تتفرجان عليه.

قالت روز: «لم أتوقع أن اجده صغيراً إلى هذا الحد، فهو يبدو كالدمية.» وكان هذا صحيحاً.

قالت جينا: «انه رائع الجمال، وهو سيكون أشقر مثل والده.» وتمنت من كل قلبها لو ترفع الطفل بين يديها وتحس بأنفاسه على وجنتها، فقالت: «لا استطيع الصبر على احتضانه.» فابتسمت لها هيزل، بينما قالت روز وهي تلوي شفتيها: «لا أدري ما الذي يجعل المرأة تشعر باللهفة لاحتضان طفل حديث الولادة.»

فقالت جينا برقة: «الغريزة.»

تبادلت هيزل وجينا النظرات، وقالت جينا: «انني افتقدك حقاً، صحيح ان صوفي جيدة في وظيفتها، إلا انها ليست مثلك.»

«ولكنها جيدة في عملها، أليس كذلك؟ انني مسرورة لهذا، فقد ظننت انها ستخاف من نيكولاس، اعني ان غاي فوكنر الذي كانت تعمل معه من قبل، لم يكن بمثل خشونة وفظاظة نيكولاس، فقد كنت أنا نفسي اخاف من إثارة استياء نيكولاس، ذلك ان بإمكانه ان يكون بالغ الحقد والانتقام.»

ارتجفت جينا وهي تسمع هذا، فنظرت اليها هيزل بدهشة: «هل تشعرين ببرد؟ كنت اظن البيت دافئاً تماماً.»

فقالت جينا: «هذا صحيح، فهو دافىء تماماً.»

نظرت اليها هيزل متفحصة: «هل ثمة شخص يخيفك؟»

عادت جينا ترتجف مرة أخرى، فقد كانت الحقيقة هي ان جينا كانت خائفة من ان يكون كلام هيزل صحيحاً، وان نيكولاس لن يصفح عنها أبداً إذا هو رآها تخونه وذلك ببيع أسهمها إلى تاماكي...

عادت هيزل تقول بلباقة عندما رأت ارتباك وتكدر جينا وعدم رغبتها في الحديث، قالت تغير الموضوع: «سيكون بإمكاننا اثناء وجودك هنا، ان نثرثر لساعات فتخبريني عن كل اخبار باربري وارف، وكل ما أتمناه هو لو انك تتمكنين من الاقامة هنا مدة أطول، هل عليك ان تعودي إلى لندن يوم الاثنين؟»

«ثمة اجتماع لمجلس الإدارة صباح الاربعاء وعلينا ان نعود لهذا السبب.» قال نيكولاس ذلك وهو يقف عند العتبة، فأجفلت جينا بعنف وقد توترت اعصابها، منذ متى هو موجود هنا؟ وحاولت ان تتذكر ما كانتا تتحدثان عنه خوفاً من أن يكون نيكولاس قد سمع شيئاً.

بدا السرور على هيزل لرؤيته: «مرحباً، كنت اتساءل أين عسى ان تكون؟ انني أريد ان أشكرك لاحضارك جينا وروز لزيارتنا، فقد كنت متلهفة لكي أريهما طفلي.»

«كان هذا مبعث سرور لي إذ عليّ انا أيضاً ان احضر للتهنئة.»

وتقدم نحوهن وهو يقول مخاطباً هيزل: «تبدين رائعة يا هيزل، فالأمومة زادتك جمالاً.» وكان يحمل السلة التي كانت تحتوي على الهدايا التي كانت الفتاتان احضرتاها معهما وهو يقول لهما: «لقد نسيتما هذه.»

اخذت هيزل تفتح علب الهدايا وقد تملكها السرور وبدت عليها لهفة الاطفال، هاتفة تبدي اعجابها بالهدايا.

عندما انتهت من إبداء شكرها للفتاتين، ألقى نيكولاس إليها على السرير بمغلف كتب عليه اسمها «هيزل» بخطيده، وسمعت خشخشة في داخله وهو يلقي به، فنظرت إليه بحيرة: «ما هذا؟»

«افتحيه وانظري بنفسك.»

التقطت سكيناً لفتح المغلفات كان موضوعاً على المنضدة بجانب السرير، وفتحت المغلف وإذا بها تجد مجموعة مفاتيح في علاقة ذهبية، التقطتها هيزل مستغربة وهي تنظر اليه متسائلة: «لماذا هذه؟ لا افهم شيئاً.»

فضحك لها قائلاً: «انها مفاتيح سيارة، كما ترين، لقد تحدثت بذلك مع بييت لأعلم ان كنت تحسنين القيادة.»

فشهقت غير مصدقة: «مفاتيح سيارة؟» تبادلت جينا وروز نظرات الإستغراب، بينما تابع هو يقول ببساطة: «انها مفاتيح السيارة التي طلبتها لك من الوكالة، وقد اخترتها بيضاء اللون، ولكن اذا كنت تريدين لوناً آخر فيمكنك الاتصال بهم لذلك، إن طراز هذه السيارة يناسبك تماماً إذ تمتاز بفسحة كبيرة في المؤخرة لعربة الطفل والأغراض التي تشترينها من السوق وما أشبه، وكل ما يبقى عليك هو ان تتصلي بالوكالة تطلبينها فيأتونك بها.»

قالت هيزل وقد شحب وجهها واخذت ترتجف من الإثارة: «لا... لا أدري كيف اشكرك.»

«لا حاجة بك لذلك فقد أردت ان اهديك شيئاً ينفعك، فتذكرت شيئاً كان بييت قاله عن انه يبحث لك عن سيارة

مستعملة حيث انك لا تملكين سيارة حالياً، وبما انك تسكنين في الريف، فستكونين بحاجة اليها عندما يأتي الطفل، وبهذا انتهت مشكلتي.»

«ان كرمك مذهل... شكراً يا نيكولاس، فهذه افضل هدية احصل عليها، ثم...»

في تلك اللحظة استيقظ الطفل واخذ يصرخ باكياً، فهتفت هيزل وهي تستدير نحوه: «آه، كلا.» ولكن قبل ان تصل إليه كان نيكولاس قد سبقها فرفعه من السرير وكأنه اعتاد ذلك طوال حياته، هذا بينما كانت هيزل تنظر اليه مبهوتة وهو يناغيه ففتح الطفل عينيه وكف عن الصراخ وهو يحدق في وجه نيكولاس.

اخذت جينا تنظر إلى الرقة في عينيه والابتسامة على شفتيه، وقد خفق قلبها، كان اكثر الأشخاص الذين عرفتهم في حياتها تناقضاً، وسهولة في استجلاب حب الآخرين.

اثناء هذه الزيارة، استطاعت ان تنفرد بهيزل ساعة حدثتها فيها عن مسألة بيع اسهمها في سنتنال، وانصتت اليها هيزل مجفلة وهي تمعن النظر فيها، لتقول أخيراً: «يمكنني ان أرى ان ذلك سيرفع عن كاهلك ذلك العبء الذي تنوئين به، يا جينا، وذلك بتخلصك من تلك الأسهم، واظنك مقيدة بتلك المسؤولية التي انتقلت اليك بصفتك آخر افراد أسرة تيريل، هذا إلى شعورك بأن عليك ان تجعلي نيكولاس يدفع ثمن سلبه الشركة من السير جورج، فإذا تخلصت من الأسهم هذه، فستتخلصين من كل تلك المشكلات.»

«نعم.» قالت جينا ذلك مفكرة في ان ذلك قد يجعلها تعرف

ما اذا كان نيكولاس يحبها حقاً أم لا، فيمكنها اختبار ذلك إذا لم تعد تملك تلك الأسهم، كانت ترى هناك اسباب كثيرة تجعلها تبيع اسهمها إلى السيد تاماكي.

كان بييت متلهفاً إلى ان يرى نيكولاس المباني التي كان يقوم بتصميمها، كما كانت روز مستمتعة بمساعدة هيزل في اعمال البيت ورعاية الطفل، إلى ان حل مساء يوم الاثنين وعادوا جميعاً إلى لندن بطائرة نيكولاس.

كانت روز ما تزال تشعر بالخوف من الركوب في الطائرة، فوضعت سماعات الراديو في اذنيها لكي تغطي صوت المحرك، ثم أغمضت عينيها توحي إلى نفسها بأنها ليست في الجو على الاطلاق، هذا بينما جلست جينا بجانب نيكولاس تنظر اليه وهو يقود الطائرة، والقوة والثقة تتجليان في يديه القويتين وحركاتهما الواثقة، ان بإمكانها ان تفضي اليه بورطتها، كما فعلت مع هيزل، وتسأله عما عليها ان تفعل، ولكنه طبعاً، كان هو أصل هذه الدوامة وآخر شخص يمكنها ان تحدثه بذلك، ولكن حتى التفكير في طلب ذلك منه، كان يدل على مقدار ثقتها به.

التفت نيكولاس اليها فجأة، وهو يزيح عن اذنيه السماعتين اللتين كانتا فوق أذنيه. «اتحبين تعلم الطيران؟»

فالتمعت عيناها الخضراوان: «انا؟ لشد ما احب ذلك، ولكن هل هذا صعب؟»

فتمتم قائلاً: «ان كل شخص يمكنه ان يتعلم الطيران، على ان لا ينسى أبداً قوة الآلة التي يتعامل معها.»

مد يده يمسك بيدها ويضعها على المقود ويبقيها هناك

لكي تشعر بقوة الآلة وتذبذبها، تحت راحتها، نظر اليها بجانب عينه فرأت ما في نظرته تلك من سخرية.

«يسرني ان اعلمك في أي وقت.»

قالت: «هل انت مؤهل؟»

أجاب ببطء: «وبامتياز.»

«وهل علمت نساء أخريات؟»

«قليلات منهن، ولم اتلق أية شكوى، وما أن تبدأ الواحدة منهن بالتعلم، حتى تعشق ذلك وتستمر فيه إلى النهاية.»

سحبت جينا يدها وهي تقول بجفاء: «شكراً لتبرعك بتعليمي، وهذه شهامة منك، ولكن ليس لدي مزاج حقيقي لمثل هذه الهواية الجميلة.»

«آه، ولكنك ستكونين تلميذة ذكية.»

فازداد احمرار وجهها: «لا أدري ان كان يطمئنني ان اعلم انه كان لديك تلميذات كثيرات في الماضي.»

قال نيكولاس برزانة وهو ينظر اليها مقطباً جبينه: «كان هذا منذ وقت طويل يا جينا.»

فأخذت تحدق إلى السماء الزرقاء خارج الطائرة دون أن تجيب.

ولكنه عاد يقول بإصرار: «منذ تعارفنا، أنت وأنا، لم اعرف امرأة سواك.»

أدارت اليه وجهاً معذباً، وقالت بصوت مرتجف: «وكيف استطيع ان اصدقك؟ كيف يمكنني ان اصدقك على الاطلاق؟ وذلك بعد ان كذبت عليّ من قبل؟»

عاد يحاول الامساك بيدها مرة أخرى ولكنها دفعت يدها عنه بشدة، قائلة: «كلا، يا نيكولاس. دعني وحدي.»

«جينا، أرجوك.» ثم سكت وهو يتنفس بعنف لحظة عاد بعدها يقول: «ليس هذا بالوقت أو المكان المناسب لمثل هذا الحديث، ولكن يجب ان نتحدث، يا جينا، فقد اقتربت من حافة الجنون لطول انتظاري لك أن تقرري أمرك بشأني، وهل ستقبلين حبي أم لا، انني لن انتظر اكثر من ذلك.»

لم تجب، وعضت شفتها السفلى إلى ان أدمتها، لم يعد على نيكولاس ان ينتظر اكثر من ذلك، وفجأة، أدركت ما عليها ان تفعل، لم يعد امامها سوى خيار واحد، لقد كان نيكولاس على حق، فان الوضع بينهما قد طال أمده، وإذا هي لم تفعل شيئاً في هذا الشأن، فستظل غير واثقة من حقيقة عواطفه نحوها، انها ستبيع اسهمها إلى السيد تاماكي، وبهذا ستعلم ما اذا كان نيكولاس يحبها حقاً، أم انه يريدها مجرد شريكة في مؤسسته.

وعندما عادت إلى شقتها، وجدت جهاز الإجابة في الهاتف مليئاً باتصالات من السير ديرموت وفيليب سليد، طالبين معرفة ما قررته، وان تجيبهما، وكانت جينا من الإرهاق بحيث لم تستطع ذلك، فاغتسلت ثم ذهبت إلى الفراش في حالة من الاكتئاب.

صباح اليوم التالي، توجهت باكراً إلى مكتبها، وأمضت اكثر ساعات الصباح في اجتماع مع مدققي الحسابات الذين كانوا يعملون في ضبط حسابات الشركة للعام الماضي، وكان ذلك اجتماعاً ضرورياً رغم ان جينا كان عليها ان ترغم نفسها على بالغ اليقظة والاهتمام بما يقولون.

تناولت الغداء مع نيكولاس في غرفة الاجتماع مع المحاسبين، ليعودوا بعد ذلك إلى اكمال الجزء الباقي من المناقشات، وكان نيكولاس معهم هذه المرة أيضاً.

كانت جينا تنظر إلى الساعة طوال الوقت، وتملكها الإرتياح عندما انفض الاجتماع الساعة الخامسة عصراً.

عندما عادت إلى مكتبها، قالت لها صوفي: «لقد جاءتك اتصالات من عدد من الناس، اجبت البعض منهم، ولكن كل شخص في هذه القائمة أخذ بالاتصال طوال النهار قائلين ان من الضروري الاتصال بهم قبل اجتماع الغد.»

تكهنت جينا بالأسماء المسجلة في القائمة حتى قبل الاطلاع عليها، فأخذت القائمة من صوفي وهي تتنهد، وإذ أخذت تقرأ الورقة، دخل نيكولاس ثم وقف خلفها بصمت، وقبل ان تنتبه إلى وجوده، اخذ يقرأ الأسماء بصوت مرتفع.

«ديرموت، سليد، سوكي تاماكي... لماذا هذه اللهفة منهم للتحدث اليك قبل اجتماع مجلس الإدارة، يا جينا؟»

استدارت اليه وقد التهب وجهها، بينما انسحبت صوفي من الغرفة بلباقة متمتمة برغبتها في الاستعداد للذهاب إلى بيتها.

عاد هو يسألها متفحصاً أساريرها: «حسناً، ما سبب كل هذا؟ يا جينا؟»

ابتلعت ريقها، ثم تمتمت شاعرة وكأنها حيوان وقع في الفخ: «ان السيد تاماكي يريد أن يشتري اسهمي في سنتنال.»

سحب نيكولاس نفساً عميقاً، ثم قال: «إذن فقد كنت انا على حق، كنت اعرف ان هذا آتٍ، وقد سبق واخبرتك من قبل، لقد اخذت التقط بعض الاشارات والدلالات من ديرموت وسليد، حتى أدركت انهم يحوكون مؤامرة ما... وتكهنت بأن تاماكي كان وراء ذلك، وكان هذا هو النتيجة المنطقية الوحيدة لتكهناتي تلك.»

تلاشى الإحمرار من وجه جينا وأصبح شاحباً الآن، شاعرة ببرودة الثلج في جلدها.

اشتد العنف في نظرات نيكولاس، نظر إليها وكأنها غريبة عنه، وقد ارتسم على وجهه الغضب والعداء، لقد اختفى الآن كل أثر للحب في ملامحه وهو يسألها: «انه ينتظر الجواب، أليس كذلك؟ وهذا هو سبب كل هذا الاستعجال، انه يريد ان يعلم وذلك قبل اجتماع مجلس الإدارة صباح الغد.» وسكت منتظراً جوابها، ولكنها لم تستطع النطق... فقد شعرت بجفاف شديد في حلقها، وقد امتلأ فمها برماد الحزن والألم.

«والآن، ماذا سيكون جوابك له، يا جينا؟ نعم، أم لا؟»

عندئذ همست تقول: «نعم، سأبيع.»

الفصل الحادي عشر

كانت جينا من الإنزعاج بحيث لم تعد ذلك المساء إلى بيتها، إذ كانت تعلم انها لو كانت موجودة لاتصلوا بها، السير ديرموت أو فيليب أوسوكي يطلبون معرفة جوابها أو ربما يأتون اليها لمعرفة ذلك، ورغم انها قررت بيع اسهمها، الا انها ما زالت لا تستطيع مواجهة الكلام في هذا الأمر، واستعجالهم لها بالتوقيع وانهاء كل شيء.. ولم تستطع احتمال وجودها وحدها، أيضاً، اذا هي ذهبت إلى الفندق، كما كانت فكرت في البداية، وبدلاً من ذلك، اتصلت بروز التي اجابتها دون ان تسالها عن الأسباب، انها ترحب بها.

كان دانيال هناك، فترك الفتاتان معاً بلباقة، وجلس في المطبخ يطهي العشاء لهم جميعاً.

قالت لها روز بعد ان شرحت جينا لها الأمر: «واظن ان نيكولاس كان بالغ الغضب.»

فضحكت جينا بعنف: «هذا تقليل منك لحالته، لقد ظننت لحظة انه سيضربني.»

«وهل فعل؟»

«يبدو انه كان يقاوم رغبته في ذلك، ولكنه ما لبث ان تمكن من السيطرة على نفسه.»

نظرت اليها روز بفروغ صبر: «وماذا كنت تتوقعين، يا جينا؟ انك تعلمين انه يريد شراء هذه الأسهم منك، فلماذا

تبيعينها لتاماكي بينما تعرفين ما سيكون عليه غضبه لذلك وفقدانه السيطرة على نفسه؟»

«ذلك ما قاله لي، لقد عرض علي ضعف ماسيعرضه عليّ تاماكي من ثمن.»

«اتمزحين؟ هذا يعني ان الأمر جاد للغاية، انه خائف من تاماكي ويرى انه سيخسر الصحيفة.»

أومأت جينا برأسها مكتئبة وهي تنهي قهوتها، شاعرة بالحيرة والمزيد من الكدر والاكتئاب والبرد الشديد.

قالت روز فجأة: «اتمنى لو تغيرين رأيك، انك تعرفينني حيادية بالنسبة لنيكولاس كاسبيان، فانا اعرفه منذ وقت بعيد واعرف ان بإمكانه ان يكون وغداً حقوداً، ولكنه صحافي جيد، وعليّ ان اعترف بأنه كان ذا نفع لسنتنال...»

«ما هذا الكلام، يا روز؟ لقد كنت سمعتك تطلقين عليه كل انواع الشتائم لما فعله بالصحيفة.»

«لم أكن أدرك قصده في البداية، ولكنني عندما لمست خططه وقد تجسمت اعمالاً، تأثرت جداً، فأنا الآن أوافقه على جعل الصحيفة أوروبية، فهو يمنح المحررين مزيداً من الفرص ما كانت لتسنح لهم من قبل، أنا آسفة يا جينا، ولكن عليّ ان اكون صادقة، فتحت حكم آل تيريل، كانت الصحيفة جامدة متحجرة و... حسناً، كانت قصيرة النظر بالنسبة لكل ما هو ليس انكليزياً تماماً...»

فثار غضب جينا: «كانت افكارهم نتيجة الزمان والمكان فماذا كنت تتوقعين غير ذلك؟»

«هذا صحيح، لم يكن لديهم فكرة عما يعني كون الشيء اوروبياً، وربما لا تدركين كم يثير ذلك التعصب وضيق

الأفق، من غيظ، نعم، انني اعلم ان كل الدول تميل إلى ذلك، انظري مثلاً إلى برامج التليفزيون الفرنسي، انهم لا يهتمون بغير الأخبار الفرنسية اعرف ذلك، ولكن الوقت قد حان لكي نغير كل هذا، وكاسبيان يبذل جهده في سبيل ان يرى ذلك التغيير في الصحيفة. انظري كيف اصبح بإمكان الموظفين ان يتحولوا بحرية من صحيفة إلى أخرى من صحف كاسبيان، فيكتسبون خبرة من الطريقة التي تصدر بها بقية البلاد صحفها، وينظرون إلى مشاكل العالم من زوايا مختلفة، ويعملون مع آخرين من أوطان أخرى، ومن ثم يعودون بتلك الخبرة إلى بريطانيا فيجعلوا سنتنال من كبريات الصحف الانكليزية المتفهمة لكل ما يهم العالم ويدور حولهم.»

قالت جينا ثائرة: «انك في جانب نيكولاس.» ومن عتبة الباب، كان دانيال يصفق بيديه: «انت تصلحين لعضوية البرلمان، يا عزيزتي.» وضحك فالتفتت اليه روز ضاحكة هي الأخرى. «هل كنت فخمة الألفاظ؟ ربما ولكنني كنت أعني كل كلمة اقولها، وإذا كنت بجانب نيكولاس، فماذا في ذلك؟ انني اوافقه على كل ما يفعله، واظنه بالغ الذكاء، والآن هل العشاء جاهز؟»

«انك تتكلمين كامرأة فرنسية حقيقية. الطريق إلى قلبها هو معدتها، نعم يا عزيزتي العشاء جاهز، والآن كفى تهديداً لجينا وهيا إلى العشاء قبل ان يبرد.»

لم تنم جينا جيداً في تلك الليلة، فقد بقيت الاحلام المضطربة تراودها دون انقطاع، وفي الصباح توجهت إلى مكتبها متأخرة عن العادة ومعها روز ودانيال، واللذان

كانت ساعات عملهما مختلفة قليلاً، في التحرير، عن بقية الموظفين.

عندما دخلت إلى قاعة الاجتماع، وجدت معظم المدراء قد اجتمعوا هناك، كل العيون اليها، ودون ان تنظر في اتجاههم، كانت تعلم ان فيليب وتيري كالفيرت كانا واقفين في مجموعة مع السير ديرموت، فشعرت بأعينهم تتسمر عليها، ثم تقدم السير ديرموت نحوها وقد توترت ملامه وتوهجت بالغضب.

ثم أخذ يهمس وهو يقبض على ذراعها بقوة: «أية لعبة تقومين بها، يا جينا، فأنا مازلت احاول الاتصال بك هاتفياً منذ يوم الاثنين، ولا بد انك تلقيت رسالتي الهاتفية... فلماذا لم تجيبي؟ لا أدري نوع هذه اللعبة التي تفكرين فيها، ولكن ليس ثمة وقت للعبة الهر والفأر هذه، اننا نريد ان نعلم... هل ستبعيني أم...؟» وسكت حين دخل نيكولاس القاعة خلفه.

اخذ نيكولاس ينقل بينهما عينين ملتهبتين وهو يومىء برأسه: «سير ديرموت ما هو شعورك هذا الصباح؟ أجاهز للمعركة؟»

ارتسمت على شفتي السير ديرموت ابتسامة شاحبة مرة: «آمل ان نظفر باجتماع بالغ الأهمية، على كل حال، يا نيكولاس، بما في ذلك بعض المفاجآت.»

فقال نيكولاس: «ليس ثمة ما يشكل مفاجأة بالنسبة إلي، يا ديرموت، هل لنا ان نجلس جميعاً؟» وأشار إلى جينا بأن تتقدم ثم سار بجانبها إلى رأس المائدة.

دعا نيكولاس المجتمعين إلى التمسك بالنظام، فجلس

كل منهم في مكانه، ثم جلست صوفي خلف نيكولاس واخذت تقرأ تفاصيل الاجتماع السابق وذلك بصوتها الهادىء الحذر، ثم امسك نيكولاس بالبرنامج المطبوع والموضوع امامه وهو يقول: «ان أول المواضيع امامنا، كما نرى هو تقرير مدققي المحاسبة، واظن لديكم جميعاً ما يكفي من الوقت لدراسته.»

اخذوا جميعاً يفتحون الملفات البيضاء المحتوية على التقرير المطبوع، وفتحت جينا نسختها بحركة آليه، وكان فيليب سليد جالساً بجانبها، وفجأة إذا به يدس في يدها بقطعة ورق، وكما كانت تتوقع، وجدتها ورقة من السير ديرموت يقول فيها (نعم، أم لا؟) واخذت هي تنظر اليها بعينين لا تريان.

كانت مناقشة التقرير في أوجها، فقد كانت هناك مجموعة من الآراء ووجهات النظر، ولكن كثيراً ممن كانوا حول المائدة كانوا يولون اهتماماً اكبر لمراقبة جينا وانتظار جوابها للسير ديرموت.

وما لبث نيكولاس ان قال في الوقت الذي كان واعياً فيه تماماً إلى ما يجري في القاعة، قال: «بما ان هذا التقرير مؤقت وليس لدينا وقت كافٍ لاستيعاب محتوياته فأنا اقترح اما ان نرجىء مناقشته إلى يوم آخر، وإما ان ننتظر التقرير النهائي.»

كان ما يزال متمسكاً بالمظهر الهادىء الساخر والذي جعله مشابهاً لوالده، بالرغم من عدم تشابههما، في الواقع كثيراً، وتابع يقول: «هل نصوت لذلك برفع الأيدي لصالح انتظار التقرير النهائي.»

ارتفعت الأيدي فأخذت صوفي تعدها وانتظر نيكولاس قليلاً، ثم قال: «وأيضاً لصالح مناقشة هذا التقرير المؤقت في الاجتماع التالي؟»

ارتفع عدد آخر من الأيدي، فأخذت صوفي تعدها، ثم سأل نيكولاس بأدب: «هل أنت ممتنعة عن التصويت، يا جينا؟»

ابتلعت جينا ريقها، ثم رفعت بصرها اليه تسأله: «هل تشتري أسهمي؟»

امسك المجتمعون في القاعة انفاسهم، ثم انفجر فيليب قائلاً وقد شحب وجهه: «جينا، هذا غير ممكن.»

لم ينطق السير ديرموت بكلمة، وإنما أخذ يحدق فيها وقد تحجرت ملامحه.

بقيت عينا جينا مسمرتين على نيكولاس، بينما اخذ هو يبادلها النظر بجمود، واخيراً قال بصوت هادىء ثابت: «ليس هذا بالمكان ولا بالوقت المناسبين لمناقشة موضوع كهذا.»

فأسرع فيليب يقول ويداه على المائدة ترتجفان: «هذا صحيح، فالمكان غير مناسب وكذلك الوقت.»

سكت نيكولاس لحظة، ثم اضاف يقول بنفس الصوت الهادىء العفوي: «ولكنني اظن الظروف غير عادية، وبما ان كل ما نقوله في هذا الاجتماع سيكون مسجلاً، فجوابي هو نعم، سأشتري اسهمك وذلك بالثمن الذي كنت عرضته عليك الليلة الماضية.»

نهض السير ديرموت وعيناه تشعان غضباً على جينا: «لا يوجد سوى كلمة واحدة تصف عملك هذا، وهو (الخيانة)..

فانت قد خنت آل تيريل وذلك لأجل اموال كاسبيان القذرة... وربما كان هذا هدفك على الدوام وذلك منذ البداية، واظنه أيضاً سبب زواجك من جايمس تيريل... لأجل ثروة جده، حسناً، من حسن الحظ ان تيريل العجوز ليس هنا اليوم فيرى ما فعلته، أيتها الحقيرة المخادعة.»

شحب وجه جينا واخذت ترتجف ولكن دون ان تنطق بكلمة، ولكن نيكولاس نهض واقفاً وقد تجهم وجهه واخذ يزمجر قائلاً: «هذا يكفي، يا ديرموت، لو كنت من عمري لرميتك أرضاً... ولكن أخرج من هنا قبل ان آمر بطردك.»

أخذ السير ديرموت يحدق إليه وقد تقبضت يداه، ثم ما لبث ان هز كتفيه، واستدار خارجاً من القاعة دون كلمة أخرى، ليتبعه بعد ذلك بلحظة، فيليب الذي قلب كرسيه اثناء نهوضه بسرعة وذلك بين همس المجتمعين وتعليقاتهم والذين كانوا ينظرون إلى ما كان يحدث.

ثم سأل نيكولاس بهدوء: «هل نتابع اجتماعنا هذا؟» ولكن جينا لم تكن تملك هدوءه، فنهضت واقفة ثم هربت من القاعة خوفاً من الانفجار في البكاء امام الجميع.

اخذت معطفها ثم خرجت تتمشى على ضفة النهر، متفرجة على طيور النورس تتقاتل على قطعة خبز، وعلى اشعة شمس الشتاء الباردة وهي تتحرك فوق المياه، وحولها كانت لندن، مدينة السبعة ملايين نسمة، تهدر بحركة السير المزدحمة، ولكن السكون البالغ كان يسود جو الحديقة ما جعل جينا تشعر بالوحدة والضياع.

ما الذي ستفعله الآن؟ فهي لم تعد الآن مالكة معظم الأسهم في الشركة، وهذا يعني انها فقدت مكانها في مجلس

الإدارة، وكذلك أية سلطة كانت لها، كما ان ليس بإمكانها البقاء في وظيفتها، فهي لم يعد بإمكانها متابعة العمل عند نيكولاس ورؤيته كل يوم، ان عليها ان ترحل... ولكنها في هذه اللحظة، لم تستطع ان تتصور المستقبل مختلفاً عن الماضي إلى هذا الحد، تتصوره مستقبلاً من دون نيكولاس. شعرت بالدوار وابتدأ كل شيء يتحرك امامها، فتوقفت عن السير واستندت إلى مقعد خشبي وهي ترتجف شاعرة بالغثيان، «جينا، ماذا حدث؟»

كان صوت نيكولاس أشبه بهزة كهربائية، فرفعت رأسها وهي تستدير نحوه وقد اتسعت عيناها الخضراوان في وجهها الشاحب، ثم همست من بين شفتيها الشاحبتين: «اذهب عني، يا نيكولاس، ارجوك، أريد ان أبقى وحدي فترة.»

«البرد شديد هنا، هذا بينما لم تقفلي أزرار معطفك.» مد يديه يقفل أزرار معطفها وكأنها طفلة.

«شعرت بالقلق عليك عندما لم اجدك في المكتب، ثم رأيتك من النافذة، ما الذي تفعلينه هنا؟ ان الهواء قارس.»

نظرت إليه بمرارة: «لقد حصلت على ما كنت دوماً وراءه، وهي السيطرة الكاملة، فلا حاجة بك للإستمرار في الإدعاء، باهتمامك بما يحدث لي.»

نظر في عينيها وقد توترت ملامحه، ومضت لحظة ظنت فيها انه لن يقول شيئاً، بل سيستدير مبتعداً عنها، ما جعلها تشعر بألم هائل وكأنها تموت في اعماقها.

ثم سألها بصوت خافت أجش: «هل تتزوجينني، يا جينا؟» فاشتد الألم الذي تشعر به حتى كادت تصرخ،

شاعرة بأنه لا يطلب منها الزواج إلا إداء لواجب الشهامة بعد ان انقذت سلطته على سنتنال.

فهمست تقول: «كلا... كلا، كلا.»

قال وهو يهزها: «اسكتي، يا عزيزتي.»

صرخت فيه وهي تدفعه في صدره محاولة الهرب: «كلا، بل أسكت انت، ولا تعاملني بخشونة، ولا تضايقني اذهب واتركني وحدي.»

كان وجه نيكولاس قد توهج غضباً وهو يجيبها بحدة قائلاً: «ما الذي عليّ ان افعل لأبرهن لك عن حبي، ايتها المرأة العنيدة الغبية، لقد حاولت ذلك طوال السنين الماضية، محاولاً كل ما استطيعه لأريك ما اشعر به نحوك، ولكن كل ما حصلت عليه في كل مرة كنت أراك فيها هو صفعة على وجهي.»

«هذا صحيح، فابدأ بتخويفي الآن، فأنا كنت اعرف انك ستفعل ذلك سواء عاجلاً ام آجلاً، فهذه هي طبيعتك اذا لم تحصل على ما تريد.»

«انك تدفعينني إلى الجنون، ايتها العنيدة، اقول لك وللمرة المئة يا جينا، انني احبك، فهل تتزوجينني؟»

«لا أدري، لا استطيع ان اقرر.»

ضحك نيكولاس: «انك تجعلينني اما اضحك واما ان ارغب في تحطيم الأشياء.»

ألقى نظرة على مبنى المجمع المشرف عليهما، ثم عبس: «ولكن بامكان أي كان ان يرانا من نوافذ باربري وارف، وربما الألوف يراقبوننا الآن، هيا بنا، سآخذك إلى بيتك حيث بإمكاننا ان نتحدث في هذا الأمر وحدنا.»

رفضت قائلة: «كلا، يا نيكولاس فأنا لن اذهب معك إلى البيت، اتظنني لا اعلم طريقتك في اقناعي؟ لا تقلق، فأنا سأحفظ عهدي لك وابيعك اسهم تيريل، انني لن اغير رأيي، فأنت قد انتصرت وبالتالي لم يعد عليك ان تتظاهر بالحب لي.»

توترت ملامحه والتهبت عيناه: «انسي كل شيء عن الأسهم تلك، انسي سنتنال انسي تيريل، واصغي إليّ، يا جينا.» سكت قليلاً ثم عاد يقول، كلمة كلمة، بغضب: «انا... احبك.»

حدقت إليه وهي ترتجف، وتتمنى لو انها تصدقه.

انتظر نيكولاس وهو ينظر إليها وقد شحب وجهه ثم تركها قائلاً: «سأعيد اليك الأسهم، جميعها، بما في ذلك الأسهم التي اشتريتها من السير جورج، فخذي سنتنال، خذيها لك هذه اللعينة التي دمرت حياتي.»

ثم سار مبتعداً عنها وهي تحدق اليه غير مصدقة.

ثم اخذت تركض: «نيكولاس، انتظر... انا احبك يا نيكولاس... انا احبك...»

عندئذ استدار اليها، يواجهها مشرق الوجه.

وفيما بعد في بيتها قال لها بصوت أجش: «كانت تلك اكبر مغامرة قمت بها في حياتي.»

فابتسمت قائلة: «هل كنت تعني ذلك حقاً؟ هل كنت ستعيد إلي كل اسهم سنتنال، ام ان تلك كانت لعبة أخرى منك؟»

«اما زلت لا تثقين بي؟»

اجابته على الفور: «بل أثق بك، يا نيكولاس.»

فتنهد ولكنه ابتسم لاوياً شفتيه: «عجباً، حسناً، امنحيني

فرصة ابرهن لك على ان بامكانك ذلك، وهو كل ما احتاجه، ولكننا لم نتناول غداءنا بعد.»

فقالت ضاحكة: «هل انت جائع.»

«نعم، ولكن ليس للطعام، جينا، لشد ما احبك، اتعلمين؟ عندما تركتك مبتعداً، كنت اشعر وكأنني سائر إلى المشنقة، لم اكن اعرف كيف ستكون ردة الفعل لديك، وما اذا كنت فقدتك ام ان تصرفي كان صواباً، ما اذا كنت صدقت حينذاك انني احبك، شعرت، وقد تملكني الخوف من انني لن اراك بعد ذلك على الاطلاق، وعند ذلك اذا بك تركضين خلفي، واذا بكل شيء يتغير على الفور...»

فقالت تغيظه مازحة: «اتعني انك فزت بمغامرتك تلك؟ ما الذي كنت ستفعل لو انك خسرت؟»

«لا ادري، كنت سأغادر انكلترا إلى ان اعثر على جريدة أخرى اشتريها؟ ولكن ليكن في علمك انني ما كنت سأبقى مالكاً سنتنال اذا كان هذا يعني انني سأفقدك... بالمناسبة ما زلت مصمماً على ان امنحك كل اسهمي، وستكون هدية الزفاف مني اليك، وسأجعلك تأخذين مكاني بصفتي رئيس مجلس الإدارة، انك ستصبحين امرأة قوية ذات نفوذ يا جينا.» ونظر اليها باسماً ثم سألها: «ما هو شعورك إزاء هذا؟»

قالت له بذهول: «انا... رئيس مجلس الإدارة؟ لا يمكن ان تكون جاداً.»

فضحك، ثم عاد يقول برزانة: «انني جاد طبعاً، فقد كنت ادربك على هذا منذ استلمت الصحيفة، لم تكوني مستعدة لذلك منذ عام، ولكنك كذلك الآن، لقد تأثرت بطريقة معاملتك

لعمال المطابع، ومدققي الحسابات، في اجتماعات مجلس الإدارة... انك ستصلحين تماماً لذلك العمل، يا جينا، لقد اصبح بإمكاني الآن ان اركز على هدفي الأوروبي التالي بعد اطمئناني إلى ان سنتنال اصبحت في أيدٍ أمينة، ذلك انني أمضيت الكثير من وقتي، العام الماضي، في لندن.»

اخذت تراقبه وقد تملكها القلق وتوترت ملامحها: «هل كل هذا يعني انني لن أراك كثيراً في لندن من الآن فصاعداً.»

قال وعيناه تلمعان: «هل تسألينني عما اذا كنت سأصبح زوجاً غائباً عن بيته؟ كلا يا حبيبتي، فستريننني كثيراً، فلا تقلقي.»

* * *

كان زواجهما في أوائل شهر يونيو، في يوم كان حافلاً بالعواصف عند الفجر، ولكنه ما لبث ان صحا واشرقت الشمس عندما وصلت جينا إلى حيث مراسيم عقد الزواج، وذلك في سيارة الرولز رايس البيضاء، ولكن زواجهما لم يكن زفافاً اجتماعياً، فقد كان معظم المدعوين ممن يعملون في سنتنال أو احدى صحف مؤسسة كاسبيان الدولية.

وكانت جينا قد طلبت من ديسموند إيميري، والد روز، ان يصبح وكيلها اثناء عقد القران، وعندما ارتجف هو قائلاً ان هذه اصعب مهمة في حياته، نظرت إليه متوسلة: «ليس لدي سواك اتخذه مكان أبي، فقد عرفتك اكثر مما عرفت أي رجل آخر، ثم انك قد اصبحت رجلاً خبيراً بذلك حيث انك سبق وكنت وكيلاً عن ابنتيك روز وايرينا من قبل.»

كان قد جرى لروز ودانيال عرس كبير فخم في باريس

حضره أقرباء دانيال الفرنسيين من مختلف المناطق الفرنسية، وكانت وصيفتا العروس جينا وهيزل.

سارت جينا بجانب ديسموند ايميري إلى حيث كان نيكولاس واقفاً بانتظارها بجانب رجل الدين لكي يتم عقد القران، وكانت هي ترتجف، شاعرة بأنها لن تصل أبداً.

لقد كانت رحلة طويلة وذلك منذ اللحظة التي تعارفا فيها في المكان الذي يقوم فيه الآن مبنى مجمع باربري وارف وذلك ذات يوم شتوي عاصف الرياح إلى هذه اللحظة الآن حيث سيقفان معاً لعقد قرانهما، لم تكن حلمت قط بهذه النهاية.

وكان هو قد طلب من بييت ان يكون وصيفه كما كانت جينا طلبت من هيزل ان تكون وصيفتها.

تم عقد القران بسرعة، ثم ذهبا إلى مكتب تسجيل الزواج بصحبة والدة نيكولاس وشقيقتيه وصهره وبعض الشهود.

كانت شقيقتا نيكولاس قد عانقتاها، وكذلك والدته التي قالت لها وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «كان عرساً جميلاً، ما اشد سعادتي، يا جينا.»

في طريق العودة إلى مجمع باربري وارف ليكونا في حفلة الاستقبال التي أقيمت في فندق باربري وارف، استند نيكولاس إلى الخلف وهو يقول: «انني مرهق للغاية، فهذا كان اطول يوم مرّ بي في حياتي حتى الآن، ومع ذلك لم ينته نصفه بعد.»

سألته جينا: «اتراك غيرت رأيك في الزواج مني؟»

فمنحها ابتسامة مشرقة: «آه... يا جينا.»

ووقفت بهما السيارة حينئذ امام المبنى فاستقام

نيكولاس في جلسته ووضع قبعته على رأسه: «ها قد وصلنا.»

كانت جينا قد أمضت اسابيع تخطط لهذا اليوم الكبير، فتختار قائمة الأطعمة، وترتب أمر فرقة الموسيقى، وتشتري ملابس جديدة لشهر العسل، وكان أصعب عمل هو كتابة قائمة المدعوين، لأنه لم يكن بالإمكان دعوة الجميع، ولكن أي شخص تركوه كان سيستاء جداً.

اخذت ونيكولاس في استقبال المدعوين عند الباب، واخذت الوجوه تتوالى امام ناظريها وبعضها مجهول منها، إذ عدا عن افراد أسرته، فقد كان نيكولاس دعا كثيراً من اصدقائه والذين لم تكن جينا تعرف معظمهم.

كانت ايرينا اخت روز غير الشقيقة، قد جاءت من اسبانيا مع زوجها استيبان والذي كان ذات يوم مدير التسويق في سنتنال، وبدت ايرينا اكبر سناً من آخر مرة رأتها جينا فيها، فقد انضج الزواج ملامحها الرقيقة، ولكن لم يكن ثمة شك في سعادتها الغامرة، وكان يبدو على استيبان الرضى الكامل.

قالت جينا لأيرينا ضاحكة: «لقد اصبحنا انا وانت، بمثابة اختين الآن بعد ان اصبح والدك وكيلي عند عقد الزواج.»

أجابت ايرينا: «لقد اصبح ذا خبرة تامة الآن في هذه المهمة، بعدي وبعد أختي روز، مسكين أبي، فهو يبدو في غاية الضيق بثيابه الرسمية هذه، فهو لا يرتاح إلا اذا كان مرتدياً بنطلون جينز وكنزة.»

سألتها جينا: «هل اعجبتك الحياة الزوجية؟»

فابتسمت ايرينا بخجل: «تماماً. إلى اللقاء فيما بعد، وأتمنى لك السعادة، يا جينا.»

لم يكن لدى جينا اقارب تدعوهم، ولكنها عزت نفسها بدعوة كل اصدقائها في الصحيفة، صوفي التي جاءت طبعاً مع زوجها غاي فوكنر، وفاليري كولينوود والتي كانت اصبحت الآن من الكاتبات القياديات وذاعت شهرتها في عالم الصحافة، وقد جاءت مع زوجها جيب كولينوود، والذي يعمل في قسم إدارة الأعمال في سنتنال.

وعلى نفس مائدة صوفي وفاليري، كانت هناك مولي تتألق بشعرها الأسود وجمالها الرائع، وهي زوجة الممثل الشهير ماك كاميرون، والذي كان يبدو غاية في التألق والجاذبية والاطمئنان أيضاً وذلك منذ زواجه بميلي.

وامامه كانت تجلس كوليت تسي، وإذ رأتها جينا غاضت ابتسامتها.

كان نيكولاس قد قال لها بجفاء وهو ينظر إلى قائمة المدعوين: «يجب ان نوجه أيضاً الدعوة إلى كوليت، كما تعلمين.»

قالت جينا وهي تبتسم له: «آه، طبعاً، كيف نسيت ذلك؟» وضحك هو بمكر إذ كان يعلم تماماً سبب اغفالها ذلك، وقال لها: «انها يا عزيزتي، تقوم بكتابة سيرة أسرة كاسبيان، وعلينا دعوتها ولو لهذا السبب وحده، هذا عدا عن انها رئيسة قسم التحرير عن الشخصيات بينما أنت دعوت كل رؤساء التحرير، وسيكون اغفالها مدعاة للانتقاد.»

تناولت جينا القائمة واضافت اليها اسم كوليت تسي.

سألها نيكولاس متردداً: «لا أظنك تمانعين حقاً في دعوتها، أليس كذلك؟»

فهزت رأسها نفياً، قائلة بأسف: «كلا، فالعداء كله هو من ناحية كوليت، وليس من ناحيتي.»

كانت تعلم ان عليها في النهاية ان تدعو كوليت إلى حفلة الزفاف، ولكنها كانت خائفة من ان تفسد كوليت، بشكل ما نهارها فقد كان مجرد وجودها هنا في حفلة الاستقبال، يجعلها تشعر بعدم الارتياح.

عندما صافحتها كوليت عند الباب، مهنئة، لم يكن أمام جينا ما تفعله سوى الابتسام لها وهي تقول: «شكراً لمجيئك.» ذلك ان كوليت لم تمنحها فرصة تقول لها أكثر من ذلك، فقد تمتمت ببعض كلمات المجاملة ثم تابعت سيرها.

نظرت جينا إلى الرجل الجالس بقربها فعرفته كان احد المراسلين، وهو الرجل الأشقر الذي كان يرى دوماً بصحبة كوليت أثناء الأشهر الأخيرة، وتساءلت جينا عما اذا كانت علاقتهما جادة، أم لعل طموحها البالغ اكبر من ذلك.

مالت روز على جينا تهمس في أذنها: «هل تلك هي ساندرا الشهيرة كنة السيدة توريلي صاحبة المطعم والتي طالما تكلمت ضدها بانتقاد مر؟»

فنظرت جينا إلى امرأة ممتلئة الجسم: «نعم، انها هي، والحق مع حماتها إذ تتحدث ضدها، مسكين روبرتو زوجها.»

تمتمت روز تقول: «ولكنه مجنون بها حباً، ولا شك انها ذات جاذبية خارقة، رغم فساد ذوقها في الملابس، ألا تظن ذلك يا نيكولاس.»

نظر نيكولاس إلى المرأة، ولوى شفتيه: «حسناً، ان

ليست حسب ذوقي في النساء، ولكنها قد تكون جذابة لنوع معين من الرجال، ولا يدهشني عدم حب حماتها لها.»

قالت له جينا وهي تنظر اليه من خلال اهدابها: «قد تحبها حماتها إذا هي انجبت لزوجها طفلاً.»

بدا الاهتمام على وجه والدة نيكولاس: «ولكن لا يبدو عليها انها من النوع الذي ينجب اطفالاً، وهذا أمر محزن جداً، فكل امرأة تحب ان يكون لها احفاد، وأرجو ان يكون لي حفيد منك الآن، يا نيكولاس قبل ان اكبر في السن ولا يعود بإمكاني الاستمتاع بالأطفال.»

فقال محتجاً: «امنحينا بعض الوقت، فنحن تزوجنا لتونا.»

قالت الأم بحزم: «حسناً، لا تتأخر طويلاً.»

فقالت جينا: «كلا، لن نتأخر.» فألقى نيكولاس عليها نظرة جانبية وهو يبتسم بجفاء: «أحقاً؟ كنت اظنك سيدة اعمال؟ ما الذي يحدث لوظيفتك إذا كان لك طفل؟»

قالت جينا: «سيكون لي الاثنان، قد يستلزم هذا مزيداً من العناية والحذر، ولكنني لا افهم لماذا لا استطيع ان اجمع بين الإمومة والعمل.»

فقال نيكولاس، رافعاً حاجبيه: «لا اتذكر اننا سبق وتناقشنا في هذا الموضوع، أهو قرار يختص بالمرأة وحدها، أم انه من المسموح لي بالإدلاء بوجهة نظري فيه؟»

قالت وقد احمر وجهها وشجعتها نظرات والدته: «سنتحدث في ذلك هذه الليلة.»

فقال: «هذا ما لن تفعله هذه الليلة بالتأكيد.»

توهج وجه جينا عندما تصاعد الضحك حول المائدة، ثم

تقابلت نظراتها بنظرات نيكولاس فتوقفت عن التنفس، ومرت لحظة رأت نفسها فيها وحدهما وقد اختفى كل من في القاعة.

كانت رحلة طويلة، طويلة، ولكنهما في النهاية حطما العوائق التي كانت تقف بينهما، وتلاشى كل ما كانا يشعران به نحو بعضهما البعض من غضب وكراهية وحزن، ولم يبق سوى السعادة والهناء.

تمت

www.elromancia.com